سورة الإنسان

[٩٩٤] ك . . أخرج ابن المنذر عن ابن عباس[1] في قوله: ﴿وَأَسِيرًا﴾[2] قال: لم يكن النبي [ﷺ] يأسر أهل الإِسلام ولكنها نزلت في أساري أهل الشرك كانوا يأسرونهم في العذاب فنزلت فيهم فكان النبي [ﷺ] يأمر بالإصلاح إليهم.

[٩٩٥] ك . . وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال: دخل عمر بن الخطاب على النبي [ﷺ] وهو راقد على حصير من جريد وقد أثر في جنبه فبكى عمر فقال له: **«ما يبكيك»** قال: ذكرت كسرى وملكه وهرمز وملكه وصاحب الحبشة وملكه وأنت رسول الله [ﷺ] على حصير من جريد؟! فقال رسول الله [ﷺ] **«أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة»** فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾[3].

[٩٩٦] ك . . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه فأنزل الله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[4].

* * *

---

[٩٩٤] (١) بالأصل (ابن جرير).

(٢) سورة الإِنسان: الآية (٨).

[٩٩٥] (٣) سورة الإِنسان: الآية (٢٠).

[٩٩٦] (٤) سورة الإِنسان: الآية (٢٤).

(٧٦) سورة الإنسان مدنية
وآياتها إحدى وثلاثون

● **سورة** الدهر من السور المدنية ، وهي تعالج أموراً تتعلق بالآخرة ، وبوجه خاص تتحدث عن نعيم المتقين الأبرار ، في دار الخلد والإقامة في جنات النعيم ، ويكاد يكون جوُّ السورة هو جو السور المكية لإيحاءاتها وأسلوبها ومواضيعها المتنوعة .

● **ابتدأت** السورة الكريمة ببيان قدرة الله في خلق الإنسان في أطوار ، وتهيئته ليقوم بما كُلِّف به من أنواع العبادة ، حيث جعل الله تعالى له السمع والبصر وسائر الحواس ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سَميعاً بصيراً﴾

● **ثم تحدثت** عن النعيم الذي أعده الله في الآخرة لأهل الجنة ﴿إنَّ الأبرارَ يشربون مِنْ كأسٍ كان مزاجها كافوراً . عيناً يشربُ بها عبادُ اللهِ يُفجِّرونَها تفجيراً﴾ .

● **ثم ذكرت** أوصاف هؤلاء السعداء بشيءٍ من الإسهاب ، فوصفتهم بالوفاء بالنذر ، وإطعام الفقراء ابتغاء مرضاة الله ، والخوف من عذاب الله ، وذكرت أنَّ الله تعالى قد آمنهم من ذلك اليوم العبوس الذي تكلح فيه الوجوه ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً . ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه

الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ..﴾ الآيات .

● **وأشادت** – بعد ذكر أوصافهم – بما لهم عند الله من الأجر والكرامة في دار الإقامة ، وبما حباهم الله من الفضل والنعيم يوم الدين ﴿وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً . متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً . ودانيةً عليهم ظلالها وذلّلت قطوفها تذليلاً﴾ .

● **وتتابعت** السورة في سرد نعيم أهل الجنة في مأكلهم ، ومشربهم ، وملبسهم ، وخدمهم الذين يطوفون عليهم صباح مساء ﴿ويُطاف عليهم بآنيةٍ من فضةٍ وأكواب كانت قواريرا . قوارير من فضةٍ قدَّروها تقديراً . ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً . عيناً فيها تسمى سلسبيلاً . ويطوف عليهم ولدانٌ مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾

وختمت السورة الكريمة ببيان أن هذا القرآن تذكرة لمن كان له قلبٌ يعي ، أو فكر ثاقب يستضيء بنوره ﴿إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً . وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً أليماً﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدهر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[١]

قوله عز وجل: **هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**، فـ"هل"، و"مَن"، و"لعل" من الله تعالى واجب، وحقه[2] أن يُنظَر أن لو كان مثلُ هذا الكلام من مستفهم ما الذي كان يقتضى من الجواب؟ فإذا قال الإنسان لآخر: من أظلم ممن افترى على الله كذبا؟ فجوابه أن يقول: لا أحدَ أظلمُ منه؛ وإذا قال لآخر: هل أتاك حديث فلان؟ فحق المجيب أن يقول: إن كان قد أتاه حديث فلانٍ: قد أتاني، وإن كان لم يأته فحقه أن يسأله كيف كان حديثه ليعرفه. فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتاه خبر الإنسان فمعنى قوله: **هل أتى على الإنسان**، أي قد أتى على الإنسان، وإن لم يكن أتاه فحقه أن يسأل حتى يُبَيَّن[3] له. وقيل: الإنسان آدم عليه السلام.

ثم لقائل[4] أن يقول: كيف[5] قال: قد **أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**، فهو إن لم يكن شيئا مذكورا[6] في ذلك الوقت لم يكن إنسانا، وإذا لم يكن إنسانا لم يأت عليه حين من الدهر وهو إنسان، وإن كان في ذلك الوقت مخلوقا فقد صار مذكورا، وإذا صار مذكورا فقد أتى عليه حين من الدهر وهو مذكور، فما معناه؟

---

[1] ر – سورة الدهر؛ ث + وهي إحدى وثلاثون.

[2] ن + وحقه.

[3] ر م: أن يسأله حتى تبين؛ ن: حين يتبين.

[4] ر م: ثم القائل.

[5] جميع النسخ: أن كيف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦و.

[6] ر ث م – مذكورا.

قيل فيه من أوجه. أحدها أن يكون قوله عز وجل: **هل أتى على الإنسان**، أي على ما منه الإنسان وهو الأصل الذي خلق منه آدم عليه السلام وهو التراب. فقال: **لم يكن شيئا مذكورا**، على الاستصغار لذلك الأصل إذ التراب لا يذكر في الأشياء المذكورة.[1] وإلى هذا يذهب أبو بكر الأصم. والوجه الثاني قيل: قد أتى على الخلق حين من الدهر[2] لم يكن الإنسان فيه شيئا مذكورا[3] في تلك الخلائق. والوجه الثالث قد أتى عليه حين من الدهر و لم يكن مذكورا في الممتحنين؛ وهذا في كل إنسان لأنه ما لم يبلغ لم يجز عليه الخطاب ولم يكن مذكورا في الممتحنين، فالله تعالى[4] خلق الخلائق ليعبدوه[5] بقوله: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ،[6] فقوله: لِيَعْبُدُونِ، إذا صاروا من أهل المحنة، فإلى أن يَبْلغ قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن مذكورا في جملة مَن خُلقوا للعبادة. *والله أعلم*.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٢]

وقوله عز وجل: **إنا خلقنا الإنسان من نطفة**، والإنسان[7] لم يكن إنسانا في النطفة ولا في العَلَقة ولا في المُضْغَة ولكن المقصود من إنشاء النطفة والعلقة هذا الإنسان. والعواقب في الأفعال هي الأوائل في القصد والمراد، فاستقام إضافته إلى ما ذكرنا كما رجع إليه القصد من إنشائها. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم[8] أنه قال: «إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فإن كان رشدا فأَمْضِه وإن كان غيا فانْتَهِ»،[9] فألزم النظر في العواقب. فثبت أن المقصود من فعل أهل التمييز العاقبةُ، وإذا كانت العاقبة مقصودا إليها في الابتداء صارت العاقبة كالموجود[10] في الابتداء، لذلك استقام إضافة الإنسان إلى النطفة والعلقة والمضغة.

[1] ث – المذكورة.
[2] ن: من الد.
[3] م: مذكرا.
[4] ر: قال الله تعالى.
[5] ن: ليعتذره.
[6] سورة الذاريات، ٥٦/٥١.
[7] ن + والإنسان.
[8] ن: عليه السلام.
[9] *الزهد والرقائق* لابن المبارك، ٤١٤؛ وانظر: *مصنف عبد الرزاق*، ١٦٥/١١.
[10] ن ث: كالموجودة.

ثم قوله عز وجل: **إنا خلقنا الإنسان من نطفة**، منصرف إلى أولاد آدم، فيكون المعنى من الإنسان أولادَه. ثم ذكر لهم[١] ابتداء أحوالهم وما ينتهي إليه[٢] عاقبتهم وهو الموت ليتّعظوا به[٣] ويتذكروا. ووجه الاتعاظ هو أنهم إذا علموا ابتداء أحوالهم وعلموا ما ينتهي إليه عاقبتهم علموا في الحال التي هم فيها أن أنفسهم في أبدانهم ليست لهم بل عارية في أبدانهم -إذ[٤] لم يكن منهم صنع[٥] في الابتداء- وأمانة.[٦] والحق على الأمين أن يقوم بحفظ الأمانة ورعايتها وألا يخون[٧] صاحبها فيها. فإنْ هو خانها[٨] ولم يتولَّ / حفظها لحقته[٩] المَسبّة[١٠] والمذمة،[١١] [٨٧٥و] وإن حفظها ورعاها حق رعايتها استوجب الحمد والثناء من صاحبها. والحق على المستعير أن يتمتع بالعارية وينتفع بها إلى الوقت الذي أُذن له وأن لا يُضيعَها، فإن ضيعها[١٢] لحقته الغرامة والضِّمان بتضييعه إياها. وكذلك إذا علموا أنها في أبدانهم[١٣] عارية وأمانة علموا[١٤] أن عليهم رعايتها واستعمالَها في الوجه الذي أُذن لهم فيها لئلا يلحقهم[١٥] التَّبِعة في العاقبة ولا يلزمَهم المسبّة[١٦] والمذمة في ذلك في الدنيا والآخرة. ***والله أعلم***.

والثاني أن النظر في ابتداء الخلقة وإلى[١٧] ما يصير عند انقضاء الأمر يدعو إلى إيجاب القول بالبعث وإلى التصديق بكل ما يأتي به الرسل من الأخبار. وذلك أن التأمل في ابتداء الخِلقة

[١] ث م: ذكرهم.
[٢] ر ن م: إليهم.
[٣] م - به.
[٤] ر ث م: إذا.
[٥] ن: صنيع.
[٦] ن: أو أمانة.
[٧] ن: وأن لا يجوز.
[٨] م: خانهم.
[٩] ر م: لحقه.
[١٠] ر ث م: المسبتة.
[١١] م: والذمة.
[١٢] ن - فإن ضيعها.
[١٣] ن: في أيديهم.
[١٤] م: عملوا.
[١٥] ر م: لا يلحقهم؛ ن: لئلا يخلفهم.
[١٦] ث م: المسبتة.
[١٧] ر م: إلى.

يُظهر عجيب قدرة الله تعالى ولطيف حكمته ويُعلِم أن الذي بلغت حكمتُه[1] هذا المبلغ لا يجوز أن يقع قصده من إنشاء الخلق للإفناء خاصة لخروجه عن حد الحكمة، فيحملهم ذلك[2] على القول بالبعث. ولأن النظر في ابتداء الخلقة والنظر إلى ما يرجع إليه بعد الوفاة مما يمنع الافتخار والتكبر، لأن إنشاءه كان من نطفة يستقذرها الخلائق ومن علقة ومضغة يستخبثهما[3] كل أحد وبعد الممات يصير جيفة قذِرة. ومن كان هذا شأنه لم يحسُن التكبر في مثله، فكان في تذكير أوائل الأحوال وأواخرها موعظةٌ لهم ليتّعظوا ويتبصروا وتعريفٌ لهم أن التكبر لا يحسن من أمثالهم، فيحملهم ذلك على التواضع وترك الافتخار والتجبر. *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **أمشاجٍ نبتليه**، والأمشاج الأخلاط. ثم الأخلاط تقع[4] بوجهين. أحدهما في اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، والثاني تقع[5] في الأحوال؛ وهو أن النطفة إذا حوّلت علقةً لم تحول[6] بدفعة واحدة بل هي تَغلُظ شيئا فشيئا حتى إذا تم غِلظها صارت علقة، وكذلك العلقة يدخل فيها التغير شيئا فشيئا حتى إذا تم التغير فيها حالت مضغة فهذا هو الاختلاط في الأحوال. فمنهم من قال: الأخلاط الطبائع الأربع[7] التي عليها جُبل الإنسان. ومنهم من صرف الخلط إلى[8] الألوان، فذكر أن ماء الرجل أبيض يخالطه حُمْرةٌ وماء المرأة أحمر يخالطه صُفْرةٌ.[9] وقوله عز وجل: **نبتليه**، أي[10] بالخير والشر والأمر والنهي. ثم الابتلاء هو الاستظهار لما خفي من الأمور، والله تعالى لا يخفى عليه أمر فيحتاج إلى استظهاره. ولكنه يبتليه[11] ليَظهر للمبتلَى[12] ما كان خفيا عليه بفعله وتركِه. وأما الخلق فهم يمتحنون ويُبتلون ليظهر لهم ما كان خفيا عليهم،

---

[1] ن – ويعلم أن الذي بلغت حكمته.

[2] ر م – ذلك.

[3] ر ث: يستحيشها؛ ن م: يستخبثها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٦ظ.

[4] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] جميع النسخ: يقع. والتصحيح من المرجع السابق.

[6] جميع النسخ: لم يحول. والتصحيح من المرجع السابق.

[7] ر م: الأربعة.

[8] ر ث م – إلى.

[9] ن: أصفر.

[10] ر م – أي.

[11] جميع النسخ: نبتليه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧و.

[12] ر ث م: للمبتلا.

فيكون الابتلاء منصرفا إليهم لا إلى المبتلي[١] والممتحِن. والثاني أن الابتلاء لما كان لاستظهار ما خفي من الأمور وذلك يكون بالأمر والنهي، فسمى الأمر من الله تعالى والنهي لعباده ابتلاءً لمكان الأمر والنهي لا على تحقيق معنى الابتلاء منه. وقال[٢] الحسن: لما صلح أن يضاف الاستخبار[٣] إلى الله تعالى وإن كان هو خبيرا عما استخبر، فجائز أن يضاف إليه الابتلاء أيضا وإن كان هو بالذي ابتلاه عالما بصيرا. ولأن الذي يظهر[٤] من العبد بعد الابتلاء من الفعل كان غائبا فالله تعالى يعرفه شاهدا بفعله[٥] فقبل ذلك كان يعرفه غائبا، لأن معرفة ما يكون أن يُعرف فقبلَ[٦] كونه غائب وبعد كونه شاهدٌ.[٧] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **فجعلناه سميعا بصيرا**، أي جعلنا له سمْعا يميز بين ما يؤدي إليه سمعُه وجعلنا له بَصَرًا[٨] يُبصر به ما أدى [إليه][٩] بصر الوجه ليضع كل شيء موضعه. وذلك هو بصر القلب وسمع القلب؛[١٠] لأنه قد خص البشر بالابتلاء لمكان بصر الباطن والسمع الباطن، ألا ترى أن البهائم لها البصر[١١] الظاهر وكذلك السمع [الظاهر].[١٢] ويحتمل أي جعلناه سميعا بصيرا يبصر به[١٣] ما له وما عليه وما ينفعه وما يضره. ثم أنشأ فيه السمعَ والبصرَ ولا يَعرف[١٤] كيفية السمع والبصر الذي جعَل فيه ولا مائيته[١٥] ولا مِمَّ[١٦] هو لطفا منه ليُعلم أنه منشئ الكيفيات والمائيات وأنه يتعالى عن الوصف له بالكيفية والمائية.

---

[١] جميع النسخ: المبتلا. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧و.
[٢] م: قال.
[٣] ن: الاستحسان.
[٤] ر م – ولأن الذي يظهر.
[٥] ر ث: يفعله.
[٦] جميع النسخ: مثل. والتصحيح مستفاد من المرجع السابق.
[٧] جميع النسخ: كونه غائب وبعد كونه شاهد.
[٨] ن – أي جعلنا له سمعا يميز بين ما يؤدى إليه سمعه وجعلنا له بصرا؛ م: بصيرا.
[٩] الزيادة من المرجع السابق.
[١٠] ث – وسمع القلب.
[١١] جميع النسخ: بصر. والتصحيح من المرجع السابق.
[١٢] الزيادة من المرجع السابق.
[١٣] ر ث – به؛ ن – يبصر به.
[١٤] أي لا يعرف الإنسان.
[١٥] ن: ولا ما يتته.
[١٦] ر ن: ولا ممر.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[٣]

ثم قال تعالى: **إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا.** يحتمل قوله تعالى: **إنا هديناه السبيل**، أوجها ثلاثةً. أحدها هديناه السبيل لإصلاح بدنه ومعاشه؛ أو هديناه السبيل الذي يصلون[١] به إلى استبقاء النسل والتوالد إلى يوم التّناد؛ أو هديناه[٢] السبيل الذي يرجع إلى إصلاح[٣] دينهم وأمر آخرتهم باكتساب المحامد والمحاسن. ثم قوله: **إما شاكرا وإما كفورا**، أخبر أنه قد بين لهم السبيل وهداهم إليه. ثم منهم من يختار الشكر له[٤] ومنهم من يختار الكُفران له. ثم بين ما أعد للكفور منهم وما أعد للشكور وهو ما قال: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا.[٥] ثم قوله: **إنا هديناه السبيل**، إن كان المراد منه[٦] الطريق فكأنه قال: إنا بينا كلا الطريقين[٧] فإن سَلك طريقَ كذا واختاره يكون شاكرا، وإن سلك طريق[٨] كذا واختاره يكون كفورا. ثم بين لكل طريق الذي سلكه جزاءً وثوابا.

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾[٤]

[٨٧٥ظ] ثم قوله عز وجل: **إنا أعتدنا للكافرين / سلاسل وأغلالا وسعيرا**، ففيه إنباء أن أيديهم تغلّ ويُشدّون بالسلاسل، فلا يتهيأ لهم أن يَقُوا العذاب عن أوجههم.[٩] ثم قرئ سَلَاسِلَ لأنها غير منصرفة، وقرئ سلاسلا[١٠] وصَرَفوه بناء على أن الأسماء كلها منصرفة إلا نوعا واحدا. وقال الزجاج: السلاسل، لا تنصرف لأنه لا فعل لها لكن صَرَفها هاهنا لأنها من رءوس الآيات.[١١] وقيل: لأنه جعله رأس الآية.[١٢]

---

[١] ث + إليه.
[٢] ر ن م: وهديناه.
[٣] ر ن م: يرجع إصلاح.
[٤] ث + ومنهم من يختار كفر له.
[٥] الآية التالية.
[٦] ن – منه.
[٧] جميع النسخ: الطريق. والتصحيح من حاشية *الشرح*، ورقة ٣٠٧و.
[٨] ر – كذا واختاره يكون شاكرا وإن سلك طريق.
[٩] ر م: عن وجوههم.
[١٠] م: سلاسل. *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٤.
[١١] قوله: ﴿سلاسل وأغلالا وسعيرا﴾ الأجود في العربية أن لا يصرف سلاسل، ولكن لما جعلت رأس آية صرفت ليكون آخر الآي على لفظ واحد (*معاني القرآن وإعرابه* للزجاج، ٥/ ٢٥٨).
[١٢] أي أول كلمة القسم الثاني من الآية، وهو «سلاسلًا وأغلالًا وسعيرًا».

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[٥]

وقوله عز وجل: **إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا**، فمنهم من ذكر أن الكافور شيء أعده الله تعالى لأهل كرامته لم يُطلع عباده على ذلك في الدنيا. ومنهم من ذكر أن الكافور شيء[١] جرى ذكره في الكتب المتقدمة فذُكر ذلك في القرآن. ومنهم من قال: إنه عين من عيون الجنة، ومنهم من صرفه إلى الكافور المعروف لكن قيل إنه كناية عن طِيب الشراب. وقيل: إنه كناية عن برودة الشراب، لأنه ذُكر أن ذلك الشراب في طبعه كالكافور، لأن ألذّ الشراب عند الناس البارد منه لا أن يكون في نفسه باردا. وذكروا أن الكأس لا يسمى كأسا حتى يكون فيها خمر.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[٦]

وقوله عز وجل: **عينا يشرب بها عباد الله**، ومعناه [يشرب] منها لا أن يقع شربهم بها، وسميت العين عينا لوقوع العين عليها.[٢] وقوله عز وجل: **يفجرونها تفجيرا**، ففيه إخبار أن ماء العيون جارية يفجرونها من حيث شاءوا. ثم المراد من ذكر العباد هاهنا هم الذين أطاعوا الله وقاموا بوفاء ما عليهم، وهم الذين قال الله تعالى [فيهم]: إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ.[٣]

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٧]

وقوله عز وجل: **يوفون بالنذر**، والنذر هو العهد. فجائز أن يكون أراد[٤] به الوفاء بكل ما أوجب الله تعالى من الفرائض والحقوق، فيكون فرائضه عهده، كقوله عز وجل: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي.[٥] وجائز أن يكون أراد بالنذر ما أوجبوا على أنفسهم من القُرَب سوى ما أوجبه[٦] الله تعالى عليهم. فيكون فيه إخبار أنهم قاموا بأداء الفرائض وتقربوا إلى الله تعالى[٧] مع ذلك بِقُرَبٍ[٨] أُخَرَ،

[١] ث – أعده الله تعالى لأهل كرامته لم يطلع عباده على ذلك في الدنيا ومنهم من ذكر أن الكافور شيء.
[٢] ر م – عليها.
[٣] سورة الحجر، ٤٢/١٥.
[٤] ر: المراد.
[٥] سورة البقرة، ٤٠/٢.
[٦] جميع النسخ: ما أوجبها.
[٧] ن – عليهم فيكون فيه إخبار أنهم قاموا بأداء الفرائض وتقربوا إلى الله تعالى.
[٨] ر م: يقرب.

فاستوجبوا المدح بوفائهم بما أوجبوا على أنفسهم. وقال: [وَرَهْبَانِيَّةً] ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا،[١] فلحقهم الذم لما لم يقوموا برعاية حقه، ليس بإيجابهم على أنفسهم ما لم يوجبه الله تعالى عليهم.

وقوله عز وجل: **ويخافون يوما كان شره مستطيرا**، قيل:[٢] استطار شر ذلك اليوم فملأ السماوات والأرضين وكلَّ[٣] شيء، حتى انشقت السماوات[٤] وتناثرت النجوم[٥] وبُسّت الجبال.[٦] ومعناه أن هول ذلك اليوم قد عم وفشا في أهل السماوات والأرض حتى خافوا على أنفسهم. وقيل: سمي **مستطيرا**، أي طويلا، ويقال: استطار الرجل[٧] إذا اشتد غضبه، واستطار الأمر، أي اشتدّ، فسمى **مستطيرا** أي شديدا.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٨]

وقوله: **ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا**، فالحب يتوجه إلى معانٍ[٨] يتوجه إلى الإيثار مرة، وإلى ميل النفس وركون القلب أخرى، ومرة يعبر به عن الشهوة فالمراد من الحب هاهنا الشهوة، فيكون قوله عز وجل: **على حبه**، أي على شهوتهم وحاجتهم إليه. وقيل: ويطعمون في حال عزة الطعام، وقيل: أي يطعمون الطعام على حبهم لها وحرصهم عليها، ليس أن يطعموا عند الإياس من الحياة على ما روي في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أفضل الصدقة أن تتصدق[٩] وأنت صحيح شحيح تَأْمُل العيش وتخشى الفقر».[١٠]

[١] سورة الحديد، ٥٧/٢٧.

[٢] ن: قبل.

[٣] ر م: والأرضين كل.

[٤] يقول الله تعالى: ﴿وانشقت السماء فهي يومئذ واهية﴾ (سورة الحاقة، ٦٩/١٦).

[٥] ﴿إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت﴾ (سورة التكوير، ٨١/١-٢).

[٦] ﴿إذا رُجّت الأرض رَجًّا وبُسّت الجبال بَسًّا﴾ (سورة الواقعة، ٥٦/٣-٤).

[٧] ن: للرجل استطار.

[٨] جميع النسخ: إلى معاني. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧ظ.

[٩] ر ن م: أن يتصدق.

[١٠] روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أن تَصَدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغِنى، ولا تُمْهل حتى إذا بلغت الحلقومَ قلتَ: لفلان كذا ولفلان كذا، وقد كان لفلان». (*مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٢٣١؛ و*صحيح البخاري*، الزكاة ١١؛ و*صحيح مسلم*، الزكاة ٩٢).

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾[٩]

وقوله: **إنما نطعمكم لوجه الله**، قيل: إنهم لم يتكلموا بهذا اللفظ أعني **إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**، الآية، ولكن علم الله تعالى ذلك من قلوبهم فأثنى عليهم بذلك ليرغب في ذلك الراغبون، ألا ترى أنهم كانوا يطعمون الأسارى ولا يُطمَع من الأسارى المجازاة والشكر ليُعلَم أنهم لم يقصدوا به إلا[1] وجه الله تعالى والتقرب إليه. والمجازاة هي المكافأة لما أُسْدي إليه، والشكر هو الثناء عليه والنشر منه.[2]

﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[١٠]

وقوله عز وجل: **إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا**، فمنهم من جعل هذا نعتا لذلك اليوم، فيكون معناه أن هذا اليوم وهو يوم القيامة من بين سائر الأيام كالإنسان العبوس من بين[3] غيره. ومنهم من صرفه إلى الخلائق، فيكون معنى قوله تعالى: **يوما عبوسا**، أي يوما يَعبِس فيه وجوه الخلائق لا أن يكون اليوم بنفسه عبوسا، وهو كقوله تعالى: وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا،[4] أي يُبصَر فيه. وتقول[5] العرب: ما زال الطريق يَمُرّ منذ اليوم، على معنى يمر الناس فيه. فيرجع هذا إلى وصف ما يكون عليه ذلك اليوم؛ على ما ذكرنا أن الله تعالى ذكر اليوم بالأحوال التي يكون عليها حال ذلك اليوم، فمرة قال: وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى،[6] ومرة قال: يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ،[7] وغير ذلك من الآيات. وقوله عز وجل: **قمطريرا**، قيل: شديدا، وقيل: القمطرير الذي يَقْبِض الوجه بالبسور والعبوسة، ويروي ما بين العينين.[8] وقيل: القمطرير المشوه[9] على أهل النار. وقيل: القمطرير هي كلمة من كتب الأولين.

---

[1] ر م – إلا.

[2] ر: واليسر عنه؛ ن: والبشر عنه؛ ث: والبر عنه؛ م: والبسر عنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧ظ. الشكر عرفان الإحسان والنشر منه. والشكر من الله: المجازاة والثناء الجميل (*لسان العرب*، «شكر»). ومعنى «النشر» هنا هو تحديث نعمة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ (سورة الضحى، ١١/٩٣).

[3] ر م – بين.

[4] ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا﴾ (سورة يونس، ٦٧/١٠).

[5] ن: ويقول.

[6] سورة الحج، ٢/٢٢.

[7] سورة القارعة، ٤/١٠١.

[8] وفي التنزيل العزيز: ﴿إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا﴾، جاء في التفسير أنه يُعَبِّس الوجه فيجمع ما بين العينين، وهذا شائع في اللغة (*لسان العرب*، «قمطر»).

[9] ر م: المشوة؛ ث: المقمطرير المشوة.

﴿فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[١١]

[٨٧٦و] وقوله عز وجل: **فوقاهم الله / شر ذلك اليوم**، فجائز أن يكون الوقاية منصرفة إلى الموعود في ذلك اليوم[١] من العقوبة والنكال، لا أن يكونوا وُقُوا من هول ذلك اليوم فلا يرون الجحيم ولا أهوالَها. وجائز أن يكون وقاهم عما كانوا يخافون من المشقة[٢] لدى[٣] الحساب، كقوله: إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ؛[٤] فكأنهم يخافون على أنفسهم المناقشة في الحساب، فإذا رأوا سيئاتهم مغفورة وحسناتِهم متقبَّلة[٥] سُرُّوا بذلك ووُقُوا شره. وجائز أن يكونوا أُومنوا من أهوال القيامة وأفزاعها حين نُشروا من القبور وتلقتهم[٦] الملائكة بالبِشارة، كما قال: إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ.[٧] وقوله عز وجل: **ولقَّاهم نضرة وسرورا**، فالسرور عبارة عن انتفاء الحزن عنهم، والنضْرة[٨] أثر[٩] كل نعيم. وقيل: نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم.

﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **وجزاهم بما صبروا**، أي على الطاعات وصبروا عن معاصي الله، **جنة وحريرا**، أي جزاهم جنة وجزاهم حريرا. فذكر الحرير لأن الجِنان إنما يذكر في موضع التطرب والتنعم بالمآكل والمشارب[١٠] دون التنعم باللباس، فوعد لهم اللباس من[١١] الحرير مع ما جزاهم الجنة.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **متكئين فيها على الأرائك**، نذكر[١٢] تفسيرها بعد هذا إن شاء الله تعالى. وقوله عز وجل: **لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا**، لأنه لا شمس فيه ولا زمهرير

---

[١] ر ث م – اليوم.
[٢] جميع النسخ: من التبعة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٧ظ.
[٣] ن: لذي.
[٤] سورة الحاقة، ٦٩/٢٠.
[٥] ر: مثقيلة؛ ن: متضاعفة.
[٦] ر ن: وتلقنهم.
[٧] سورة الأنبياء، ٢١/١٠١.
[٨] ر: والنضر.
[٩] ر: ذا أثر.
[١٠] م: والمشرب.
[١١] ر + اللباس؛ م – من.
[١٢] جميع النسخ: يذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.

بل يكون ظلها دائما ممدودا. فجائز أن يكون المراد منه أن ضياء الجنة ليس بالشمس ولكن بما خلقت مضيئة، لأن الشمس في الدنيا يقع بها الضياء فيكون ضياء النهار بالشمس. وذكر أنهم لا يرون فيها الزمهرير ليُعلم أن لذاذة شراب الجنة وبرودته بالخِلقة لا أن تكون[1] برودتها بتغير[2] يقع في الأحوال على ما يكون عليه شراب أهل الدنيا، أو يكون ذَكَر هذا ليعلموا أنهم لا يُؤْذَون بِحَرّ ولا برد.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **ودانية عليهم ظلالها**، فجائز أن يراد به أنها دانية من هؤلاء الذين سبق نعتهم وهم الأبرار، كقوله عز وجل: إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ،[3] أو ذكر[4] أن ظلالها دانية لأنها لو لم تكن[5] دانية لكان لا يقع لهم بها انتفاع. وقيل: هي ظلال غصون الأشجار قريب منهم لأن للجنة[6] نورا[7] يتلألأ فيقع بالأشجار ظلالٌ، على ما جاء في الخبر أنه لو أُلقي سوار[8] من الجنة في الدنيا لأضاءت الدنيا ولغلب[9] ضوءها ضوءَ الشمس[10] ونحو[11] ذلك، فيقع للأشجار[12] فيها ظلال، كما يشتهونه في الدنيا ليس على ذلك شمس ولا قمر.[13]

وقوله عز وجل: **وذُلِّلَت قطوفها تذليلا**، فجائز أن يكون أريد بالتذليل التليين، أي لُيِّنت فلا يَردّ أيديَهم عنها شوك. وقيل إن أشجارها ليست بطوال لا يُنال ثمارُها إلا بعد عَناءٍ وكَدٍّ بل قريبة من أربابها، يقال: حائط ذليل، إذا لم يكن عاليا في السماء. وقيل: **ذللت**، أي سويت الأشجار لا يتفاوت بعضها بعضا، يقول أهل المدينة: إذا استوت عُذوق النخلة تذَلَّلت النخلة.

[1] جميع النسخ: لا أن يكون. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.
[2] ن ث: يتغير.
[3] سورة الأعراف، ٥٦/٧.
[4] م: وذكر.
[5] جميع النسخ: لو لم يكن. والتصحيح من المرجع السابق. ن + لأنها لو لم يكن.
[6] ر ن ث: لأن الجنة.
[7] ث: نور.
[8] ر: مسوار.
[9] جميع النسخ: ويغلب. والتصحيح من المرجع السابق.
[10] انظر: *مسند أحمد بن حنبل*، ١٦٩/١، ١٧١؛ وسنن *الترمذي*، الجنة ٧.
[11] جميع النسخ: ويجوز. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.
[12] جميع النسخ: الأشجار. والتصحيح من المرجع السابق.
[13] ن: ليس ذلك على شمس أو قمر.

وقيل: **ذللت**، أي سخرت، والتذليل التسخير، فيتناولون[1] منها كيف شاءوا، إن شاءوا تناولوها وهم قيام وإن شاءوا تناولوها وهم جلوس أو نيام على الفُرُش. وجائز أن يكون تسخيرها على ما ذكر عن بعض المتقدمين أن شجر[2] الجنة عروقها من فوقٍ وفروعها من أسفلَ والثمار بين ذلك.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾[١٥] ﴿قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[١٦]

وقوله تعالى: **ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب**، فتأويل الأكواب يذكر في سورة "هل أتاك حديث الغاشية".[3] ثم أخبر أن تلك الأكواب قوارير من فضة. قيل هي من فضة ولها صفاء القوارير يرى ما فيها من الشراب من خارجها لصفائها. ثم الآنية من الفضة في أعين أهلها أرفع وأشرف من الإناء المتّخذ من التراب، فكذلك الصفاء الذي يكون بالفضة أبلغ وأرفعُ في أعين أهلها من الصفاء الذي يقع بالقوارير، [فيخبر أن صفاءها صفاء القوارير وإن كانت من فضة. وقرئ][4] "قواريرَ قوارير من فضة" على الأصل المعهود أنه لا ينصرف. وقرئ قوله: **قواريرا**، على الوقف عليه موافقا لآخِرِ سائرِ الآيات.[5] وقرئ "قواريرا" بالتنوين عند الوصل أيضا،[6] لأنه رأس الآية. وقوله: **قدروها تقديرا**، أي جعلت على قدر رَيّهم.[7] وقيل: يُسْقَون على القدر الذي قدروه في أنفسهم وحدّثت به أنفسهم فلا يقدِّرون في قلوبهم مقدارا إلا أُتُوا بها على ذلك.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾[١٧] ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾[١٨]

وقوله: **ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا**، فمنهم من زعم أن العرب كانوا إذا أعجبهم شراب نعتوه وقالوا كالزنجبيل، فخرجت البِشارة من الوجه الذي تَرغب[8] في مثله الأنفس.

---

[1] ن ث: فيتناولوا.
[2] م: شجرة.
[3] انظر الآية ١٤ من سورة الغاشية.
[4] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٨و.
[5] ن: موافقا لسائر.
[6] *المبسوط في القراءات العشر* لابن مهران، ٤٥٤؛ و*النشر في القراءات العشر* لابن الجزري، ٢/٢٩٥.
[7] ر: على قدريتهم.
[8] جميع النسخ: يرغب.

ومنهم من ذكر أن الزنجبيل والسلسبيل واحد وهما اسم العين. ومنهم من ذكر في السلسبيل أي سَلْ سبيلا إلى ذلك العين. وقال قتادة: أي سَلِسَلة السبيل مستعذب ماؤها.[١] وقيل: سلسبيلا شديد الجِرْية.[٢]

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾[١٩]

وقوله: **ويطوف عليهم ولدان مخلدون**، ذُكر الولدان لا أن يكون[٣] فيها وِلَادٌ ولكنهم أُنشئوا ولدانا، فيخلَّدون كذلك [لا][٤] يَكبُرون ولا يَهْرَمون. وجائز أن يكون الولدان ولدان الكفرة الذين ماتوا في الدنيا صغارا / فلا يكون لهم في الجنة آباء ليُرْفَعوا إلى درجة الآباء [٨٧٦ظ] فيجعلهم الله تعالى خَدَما[٥] لأهل الجنة.

وقوله عز وجل: **إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا**، فمنهم من يقول: إن الله تعالى شبّه[٦] حسنهم بحسن اللؤلؤ المنثور إذ أحسن ما يكون اللؤلؤ إذا كان منثورا. فجائز أن يكون هؤلاء الولدان فضِلوا في الحسْن[٧] على سائر الجواهر التي تكون[٨] في الجنة كما فضل الدرُّ في الدنيا على سائر الجواهر. ومنهم من يقول: إنهم ما لم يَطُوفوا فمن رآهم حَسِبهم[٩] لؤلؤا منثورا وإذا طافوا وتحركوا فحينئذ يُعْلَمون أنهم ولدان.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[٢٠]

وقوله: **وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا**، قيل: هما اللذان لا نعت لهما ولا وصف. وقيل: المُلْك استئذان الملائكة عليهم، وملوك الدنيا وإن علت رتبتهم لم يملكوا الاحتجاب

---

١ عن قتادة قوله: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلا﴾ عينا سَلِسَة مستقيدا ماؤها (*تفسير الطبري*، ٢٩/٢٧١).

٢ قال ابن عباس: سَلْسَبيلاً يَنسَلُّ في حُلوقهم انْسِلالاً. وقال أبو جعفر محمد بن علي: معناها لَيِّنة فيما بين الحَنْجَرة والحلق. وأما من فسره "سَلْ رَبَّكَ سَبيلاً إلى هذه العين" فهو خطأٌ غير جائز. ويقال: عين سَلْسَلٌ وسَلْسالٌ وسَلْسَبيلٌ، معناه أنه عَذْب سَهْل الدخول في الحلق. قيل: جمع السَّلْسَبيل سَلاسِبُ وسَلاسِيبُ، وجمع السَّلْسَبيلة سَلْسَبيلات. وتَسَلْسَل الماءُ جَرى في حَدُور أو صَبَب (*لسان العرب*، «سلسل»).

٣ ر ث م: لا يكون.

٤ الزيادة من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.

٥ ث: خدها.

٦ ن م: يشبه.

٧ ن – في الحسن.

٨ جميع النسخ: يكون. والتصحيح من المرجع السابق.

٩ ن ث: حسنهم.

من دخول الملائكة عليهم بغير استئذان، والمَلِك هو الذي له[1] نفاذ الأمور. وجائز أن يكون ذكَرَ النعيمَ والملكَ الكبيرَ على معنى أنه لا ينقطع عنهم بل إذا رأيتهم أبدا رأيتهم في نعيم وملك كبير.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٢١]

وقوله تعالى: **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق**، فجائز أن يكون أراد بالعالي ما عَلَا من المكان الذي هم فيه. فيخبر أن في أعلى أماكنهم ثيابٌ خضرٌ من سندس كما هو في المكان الذي سَفَل[2] موضعَ جلوسهم، لأنهم يكونون على الأرائك والأحجال، فيكون ما تحت الأحجال والأرائك من الأماكن زرابيُّ مبثوثة ونمارقُ مصفوفة ويكون عاليها كذلك.[3] فإن كان على هذا فلا فرق بين أن يكون فُرُش ذلك المكان من حرير وديباج غليظ -إن أريد بالإستبرق[4] الديباج الغليظ- وبين أن يكون من ديباج رقيق إذ كل ذلك مما يُرغب في مثله. ***والله أعلم***. وقيل: **عاليهم**، أي أعلى ثيابهم سندسٌ خضر وإستبرق، وقال بعضهم: عالِيَ أنفسهم ثيابُ سندسٍ. ومنهم من صرف السندسَ إلى اللباس والإستبرقَ[5] إلى ما بُسط، لأن الديباج الغليظ مما لا يرغب الأنفس إلى لبس مثله؛ فجمع بين ما يُلبس وبين ما يُفرش وبَيَّن الفعل في أحدهما ولم يذكر في الآخر. ومنهم من قال: **عاليهم**، هم الولدان يطوفون من أعاليهم. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **وحُلُّوا أساوِرَ من فضة**، فبشرهم بالأساور من فضة،[6] لأن الفضة مستحسنة بنفسها لبياضها والذهبَ استحسانه لقدره[7] وعزته ليس لنفسه، لأنه أصفر والأعين لا تستحسن[8] هذا اللون، فجرت البِشارة بالفضة لا بالذهب.[9] وقال بعضهم: يُحلَّى الرجال

---

[1] ر م – له.

[2] ر م: أسفل.

[3] لعل المؤلف رحمه الله يشير إلى قوله تعالى: ﴿فيها عين جارية فيها سُرُر مرفوعة وأكواب موضوعة ونَمارق مصفوفة وزرابيُّ مبثوثة﴾ (سورة الغاشية، ٨٨/١٢-١٦).

[4] ر م: بالإستبرق.

[5] ر ن م: والإستبرق.

[6] ر ن ث: من الفضة.

[7] ر: لقدرته.

[8] جميع النسخ: لا يستحسن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.

[9] ر م + وقال بعضهم يحلى الرجال بأسورة بالفضة لا بالذهب؛ ث + وقال بعضهم يحلى بالرجال بالفضة لا بالذهب.

بأسورة من فضة على ما أبيح لهم التحلي بخاتم الفضة[١] في الدنيا وتُحَلَّى النساء بأساور[٢] الذهب على ما أبيح لهن التحلي بها في الدنيا.

وقوله تعالى: **وسقاهم ربهم شرابا طهورا**. قيل: هو الخمر تُطَهِّر[٣] من الآفات ومن كل مكروه وتُطهِّر[٤] قلوبَهم من الغِلّ فيعمل ذلك الشراب في تطهير الظاهر والباطن، وشراب الدنيا يطهر ظاهر البدن وباطنُ البدن ينجس[ه] الشراب. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الرجل من أهل الجنة لَيعطَى قوةَ مائةِ رجل في الأكل والشرب[٥] والجماع» فقال يهودي: إن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حاجة أحدهم[٦] عرق يَفيض[٧] من جسده فيَضْمُر لذلك بطنُه».[٨] والأصل أنك قد ترى الطعام الذي يَطعمه الإنسان في الدنيا يبقى قوته في البدن حتى يظهر ذلك في كل جارحة من جوارحه، وكذلك شهوته تبقى[٩] فيها. ثم يخرج الثُّفْل منها والفضل. فجائز أن يرفع الله تعالى عن ذلك الطعامِ الفضلَ الذي يزايل البدن فيكون[١٠] طعامهم ذلك اللطيفَ الذي يبقى في النفس.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[٢٢]

وقوله عز وجل: **إن هذا كان لكم جزاء**، فجائز أن يكون هذه البشارة خرجت لأهلها في الدنيا. وجائز أن يكون لهم في الآخرة أن هذا الذي أُكْرمتم به من الكرامات جزاء لعملكم وسعيكم في الدنيا.

---

١ ر م – الفضة.
٢ جميع النسخ: بأساوير. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.
٣ جميع النسخ: يطهر. والتصحيح من المرجع السابق.
٤ جميع النسخ: ويطهر. والتصحيح من المرجع السابق.
٥ ر: والشراب.
٦ ن – حاجة أحدهم.
٧ ر ث: يغيض.
٨ عن ابن أبي حاتم قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ فقال: «والذي نفسي بيده إن الرجل منهم لَيُؤتَى قوة مائةِ رجلٍ منكم في الأكل والشرب والجماع والشهوة». قال: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة، والجنة طاهرة ليس فيها قَذَرٌ ولا أذًى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حاجتهم عرق يفيض مثل ريح مسك، فإذا كان ذلك ضَمُر له بطنُه». (*الدر المنثور* للسيوطي، ١٠٠/١؛ وانظر أيضا: *بحر العلوم* للسمرقندي، ١٠٣/٣).
٩ جميع النسخ: يبقى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٨ظ.
١٠ ن: ويكون.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً﴾[٢٣]

وقوله: **إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا**، قيل: فرّقنا عليك القرآن تفريقا. والحكمة في التفريق ما ذكر في آية أخرى[١] وهي[٢] قوله: [وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ[وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا]،[٣] فأخبر أن في التفريق تثبيتا،[٤] فيكون الناس له أوعى وأعرف بمواقع النوازل منه من أن ينزل جملةً واحدة. ثم أضاف التنزيل إلى نفسه هاهنا وأضاف إلى جبريل عليه السلام في قوله عز وجل: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ،[٥] وقوله تعالى: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ،[٦] وقال في آية أخرى:[٧] حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[٨] فأضافه[٩] إلى نفسه. وقال: فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ.[١٠] فهذا كله على مجاز الكلام ليس على الحقيقة، فحق كل من ذلك أن يصرف إلى ما إليه أَوْجَهُ وإلى ما يستجيزه[١١] الناس من التعامل فيما بينهم بذلك الكلام. فإذا قيل: هذا في اللوح [المحفوظ][١٢] فُهِمَ به و أريد منه أنه مكتوب فيه. وقوله عز وجل: حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ،[١٣] معناه:[١٤] حتى يسمع كلاما يدله على كلام الله تعالى، لا[١٥] أن يكون ذلك كلامَه. وأضافه إلى جبريل عليه السلام، لأنه من قِبَله تلقّاه[١٦] لا أن يكون ذلك كلام جبريل عليه السلام.

[٨٧٧و] / ثم قد ذكرنا[١٧] الحكمة في إنزال القرآن مفرّقا قبل هذا الفصل الكافي منه.[١٨]

---

[١] ر ث م + في القرآن.

[٢] جميع النسخ: وهو. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.

[٣] سورة الفرقان، ٣٢/٢٥.

[٤] ر ن م: تثبيت.

[٥] سورة الشعراء، ١٩٣/٢٦-١٩٤.

[٦] سورة الواقعة، ٤٠/٦٩.

[٧] ر ن م – أخرى.

[٨] ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِره حتى يسمعَ كلام الله﴾ (سورة التوبة، ٦/٩).

[٩] ر م: فأضاف.

[١٠] ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ (سورة البروج، ٢١/٨٥-٢٢).

[١١] ر م: وإلى يستجيز؛ ث: وإلى يستخير.

[١٢] الزيادة من المرجع السابق.

[١٣] سورة التوبة، ٦/٩.

[١٤] ر ث م + أنه.

[١٥] م – لا.

[١٦] ر ث م: يلقاه.

[١٧] ر ث م: قد ذكر.

[١٨] انظر: تأويلات القرآن، ٣٧٤/٨، ٢٤٨/١٠-٢٤٩.

ثم جائز أن يكون التفريق لمكان أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لمكانه، لأن الله تعالى يَسّر[١] على نبيه حفظه[٢] حتى كان يَعِي[٣] جميع ما يُنزل إليه جبريل عليه الصلاة والسلام بما يقرأ عليه مرة واحدة، وقيل له: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ،[٤] الآية، فَضَمِن له الحفظ فأمن النسيان. فأما غيره فإنه يشتد عليه أن لو كلفه حفظه بدفعة واحدة فأُنزل مفرَّقا ليكونوا أقدَرَ على حفظه. ولهذا ما كثر حفّاظ القرآن في هذه الأمة وكثر قراؤها وكثر فقهاء هذه الأمة؛ لأن القرآن أُنزل مفرّقا على إثر النوازل فعرفوا مواقع النوازل فوقفوا على معرفة ما أُودع في الآيات لمعرفتهم مواقع النوازل والمنسوخ، ولو نزل جملة واحدة اشتبه عليهم الناسخ من المنسوخ[٥] فأنزل الله تعالى مفرقا ليكونوا بعلم[٦] الناسخ والمنسوخ[٧] أعلم. ولأنه إذا أنزل مفرقا كانوا إليه أشوق[٨] وأرغب منه إذا نزل جملة واحدة. ألا ترى إلى قوله تعالى: وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ،[٩] الآية، فأخبر أنهم يرغبون إلى أن يُنزل عليهم سورة وإن كانوا قد أنزلت إليهم سورة من قبل. وفيه أيضا تخويف للمنافقين كما قال الله تعالى: يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ.[١٠] فكان في إنزاله مفرقا ما ذكرنا من الفوائد والمنافع للمؤمنين. *والله أعلم.*

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فاصبر لحكم ربك**، ففيه أنه ابتلاه بما تكرهه[١١] نفسه ويشتد عليها حتى دعاه إلى الصبر، لأن المرء لا يدعى إلى الصبر على النعم واللذات وإنما يدعى إليه إذا ابتلي بالمكاره[١٢] والبليات.

---

[١] ر: يستر؛ ن: بشر؛ ث: تيسر.
[٢] ن: حفظ.
[٣] ر ث م: بقي.
[٤] ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه﴾ (سورة القيامة، ٧٥/١٦-١٩).
[٥] ر ث م: والمنسوخ.
[٦] جميع النسخ: يعلم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.
[٧] ر م + والله.
[٨] ر ث: أسوق.
[٩] سورة محمد، ٤٧/٢٠.
[١٠] سورة التوبة، ٩/٦٤.
[١١] ر ث م: بما يكرهه.
[١٢] ث: بالمكان.

وقد صبر عليه السلام على المكاره لأنه أمر بمضادّة الجن والإنس فانتصب لهم حتى آذَوه كلَّ الأذى وهموا بقتله. وقوله: **ولا تطع منهم آثما أو كفورا**، كأنه قال: ولا تطع من دعاك[1] إلى ما تَأْثَم فيه أو تكون[2] كفورا، أو لا تُجِبْ الآثم،[3] أو الكفور إلى ما يدعوك[4] إليه.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **واذكر اسم ربك**، يحتمل واذكر[5] باسم ربك، أو صلِّ باسم ربك، كقوله: وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى،[6] أو يقول: **واذكر اسم ربك**، أي كن ذاكرا له في كل وقت. وقوله عز وجل: **بكرة وأصيلا**، البُكرة تحتمل[7] صلاة الصبح، والأصيلُ يحتمل صلاة الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾[٢٦]

وقوله عز وجل: **ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا**، يحتمل صلاةَ الليل: النوافلَ إن كان قوله: وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا،[8] في صلاة الفرائض، وإن لم يكن في ذلك فيكون كأنه قال: واذكر ربك في كل وقت بالليل والنهار؛ أو يقول: فليكن اسم ربك مذكورا حتى لا يخلو ساعة من هذه الساعة إلا وهو[9] مذكور فيها. *والله أعلم*.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا**. حب العاجلة مما طبع به[10] الخلائق؛ لأن كلًّا[11] طُبع على حب الانتفاع والتمتع بالشيء، فلا يلحقهم الذم بحب ما طُبعوا عليه وأُنشئوا. ولكن الذم إنما يلحق[12] من أحب الدنيا واختارها وآثرها على غير الذي

---

[1] ر ث م + إلى ما دعاك.
[2] ر م: أو يكون.
[3] ن: الأثيم.
[4] ر ث م: إلى ما يدعون.
[5] ر ث م – واذكر.
[6] سورة الأعلى، ١٥/٨٧.
[7] جميع النسخ: يحتمل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.
[8] الآية السابقة.
[9] ر م: إلا هو.
[10] ر ث م – به.
[11] جميع النسخ: لأن كل. والتصحيح من المرجع السابق.
[12] جميع النسخ: ولكن إنما يلحق الذم. والترجيح من المرجع السابق.

جعلت له[١] الدنيا وأنشئت، فالدنيا إنما أنشئت[٢] وجعلت[٣] ليكتسب بها نعيم الآخرة والحياة الدائمة اللذيذة، فمن أحبها[٤] لهذا فهو لا يلحقه بذلك ذم ولا تعيير،[٥] ومن أحبها وآثرها لها واكتسبها لها فهو المذموم. وأولئك كانوا مختلفين في ذلك لم يكونوا على فن واحد. منهم من حمل حبه الدنيا على إنكار وحدانية الله تعالى وألوهيته. ومنهم من حمل حبه إياها على تكذيب الرسل والتعادي لهم ومكابرة الحق. ومنهم من حمل حبه إياها على إنكار البعث والجزاء لما عملوا.[٦] ومنهم من حمل حبه الدنيا على التفريق بين الرسل أنكروا بعضا وصدقوا بعضا. وتولد[٧] من حبهم إياها ما ذكرنا فلحقهم الذم لذلك، ولذلك ما ذَكَر من الإنفاق في الدنيا حيث قال: مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ،[٨] الآية. فمن أنفق في هذه الدنيا[٩] لها فتكون[١٠] نفقته ما ذكر، لأنه أنفق لغير ما[١١] جعلت له النفقة، فكان ما ذكر. فعلى ذلك من أحب الدنيا واختارها للدنيا لا لاكتساب ما ذكرنا من النِّعم[١٢] اللذيذة الدائمة والحياة الباقية التي لا انقطاع لها كان على ما ذَكَر.

ثم إذا ذكرت[١٣] الدنيا [في القرآن] ذكرت الآخرة وراءها؛ وإذا ذكرت الآخرة على إثر ذكر الإنسان قيل: "أمامَه"، لأن الإنسان يُقبل إليها، فيكون ذلك أمامَه وقُدَّامَه. وأما عند ذكر الدنيا قيل: "وراءها"، لأنها تَخلُفها،[١٤] وكلُّ من خَلَف آخر يكون بعده ووراءه، لأنه يكون عند فوت الآخر، لذلك كان ما ذكر.

---

[١] ر ث م – له.

[٢] جميع النسخ: واستست فالدنيا إنما أسست. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩و.

[٣] ن – فالدنيا إنما أنشئت وجعلت.

[٤] ر ث م: فمن أحب.

[٥] ن: ولا يعتبر.

[٦] ر م: لما علموا.

[٧] ن ث: تولد.

[٨] ﴿مَثَل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صِرٌّ أصابت حَرْثَ قومٍ ظلموا أنفسهم فأهلكته﴾ (سورة آل عمران، ١١٧/٣).

[٩] ث – حيث قال مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت الآية فمن أنفق في هذه الدنيا.

[١٠] جميع النسخ: فيكون.

[١١] ر ث م: لغيرها.

[١٢] ن: من النعيم.

[١٣] جميع النسخ: إذا ذكر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩ظ.

[١٤] ر ن م: يخلفها؛ ث: يخلقها. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **نحن خلقناهم وشددنا أسرهم،** رجع إلى الاحتجاج عليهم لما أنكروا؛ يقول: يعلمون أنا خلقناهم بدءا ونحن شددنا أسرهم أي قوتهم، أو نحن شددنا خلقتهم، أو نحن[١] وصلنا جوارحهم المتفرقة ومفاصلهم المتشتّتة[٢] بعضَها إلى بعض،[٣] ونحن نبدل[٤] أمثالهم [٨٧٧ظ] / إن شئنا، فما بالهم ينكرون قدرتنا على البعث والإعادة بعد الموت؟ يقول: من قدر على ما ذكر لا يعجزه شيء وهو على البعث أقدر. وقوله عز وجل: **وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا،** يُذكر بعد هذا إن شاء الله تعالى.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **إن هذه تذكرة،** يحتمل[٥] **هذه،** أي هذه السورةَ، لأنه ذكر[٦] في أولها ابتداء إنشائهم وخلقِهم و[في][٧] آخرها أعادتَهم وفي خلالها[٨] جزاءَ صنيعهم الذي صنعوا، فيكون في ذلك تذكرةٌ لهم. ويحتمل قوله: **إن هذه تذكرة،** أي الأنباءَ التي ذكرت في القرآن، أو هذه المواعظُ تذكرة لما لهم وما عليهم، أو تذكرة[٩] لما لله عليهم وما لبعضهم[١٠] على بعض. وقوله عز وجل: **فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا،** هذا يخرج على وجهين. أحدهما يقول: قد مكّن كلًّا أن يتخذ سبيلا إلى ربه، أي لا شيءَ يمنعه عن اتخاذ السبيل إلى ربه إذا شاء، لكن مَن لم يتخذ إنما لم يتخذ لأنه لم يشأ أن يتخذ سبيلا وإلا قد مُكّن له ذلك. والثاني يقول: من شاء اتخاذ السبيل فليتخذ السبيل إلى ربه، على ما نذكر[١١] على الاستقصاء بعد هذا إن شاء الله تعالى.

---

[١] جميع النسخ: ونحن. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩ظ.
[٢] ن: المنشئة.
[٣] ن – إلى بعض.
[٤] ن: نبدل.
[٥] ر م: ويحتمل.
[٦] ن – ذكر.
[٧] الزيادة من المرجع السابق.
[٨] ر ن م: وفي خلال.
[٩] ر ن م: وتذكرة.
[١٠] ن: وأما لبعضهم.
[١١] ر ن ث: على ما يذكر؛ م: على ما ذكر. والتصحيح من المرجع السابق.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٣٠]

ثم قوله تعالى: **وما تشاءون إلا أن يشاء الله**، يقول:[١] -والله أعلم- من شاء اتخاذ السبيل إلى ربه لا يتخذ إلا أن يشاء الله أن يتخذ السبيل إلى ربه فعند[٢] ذلك يتخذ. وهذا على المعتزلة لأنهم يقولون: إن الله تعالى قد شاء لجميع[٣] الخلائق أن يتخذوا إلى ربهم سبيلا لكنهم شاءوا أن لا يتخذوا[٤] فلم يتخذوا. وقد أخبر أنهم لا يشاءون اتخاذ السبيل إليه ولا يتخذون إلا أن يشاء الله لهم اتخاذَ السبيل، فعند ذلك يتخذون ما ذكر ويشاءون.

وقوله عز وجل: **إن الله كان عليما حكيما**، إن الله تعالى لم يزل **عليما**، بصنع خلْقِه من التكذيب له والتصديق ومن[٥] الطاعة له والمعصية، أي على علم منه بصنيعهم أنشأهم وخلقهم، **حكيما**، في فعله ذلك وخلْقِه إياهم على ما علم منهم أن لا يكون،[٦] لأنه[٧] إنما خلقهم وأنشأهم لمنافع أنفسهم ولحاجتهم لا لمنافع ترجع[٨] إليه أو لِمَضارَّ يَدفع عن نفسه. فخلقه إياهم وبعثُه[٩] الرسلَ إليهم على علم بما يكون منهم من التكذيب والرد لا يخرج فعلَه عن الحكمة والحق، بل يكون حكيما في ذلك. وأما من يبعث الرسول في الشاهد إلى من يعلم أنه يكذِّبه ويردُّ رسالته وهديته ويستخفّ به [ففعله هذا] سفه ليس بحكمة، لأنه إنما يُرسل الرسول ويبعث هديته لمنافع تكون[١٠] له،[١١] فعِلْمُه بما يكون منه سفه ليس بحكمة، لذلك افترقا.

﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣١]

وقوله عز وجل: **يدخل من يشاء في رحمته**، هذا على المعتزلة أيضا، لأنه ذكر أنه يدخل من يشاء في رحمته وهم يقولون: قد شاء أن يدخل كلًّا في رحمته لأنه شاء إيمان كلّ منهم،

---

١ ن – يقول.
٢ جميع النسخ: وعند. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣٠٩ظ.
٣ ر: بجميع.
٤ ر م + إلى ربهم سبيلا؛ ر م – لكنهم شاءوا أن لا يتخذوا.
٥ جميع النسخ: من. والتصحيح من المرجع السابق.
٦ جميع النسخ: أن يكون. والزيادة من المرجع السابق.
٧ جميع النسخ: الآية. والتصحيح من المرجع السابق.
٨ جميع النسخ: يرجع. والتصحيح من المرجع السابق.
٩ ن: وبعثة.
١٠ جميع النسخ: يكون.
١١ جميع النسخ: للمرسل.

والله تعالى أخبر أنه يدخل من يشاء في رحمته دل ذلك على أنه لم يشأ أن يُدخل في رحمته مَن علم منه أنه يختار الضلال، ولكن إنما شاء أن يدخل في رحمته من[1] علم منه أنه يختار الهدى، فأما من علم منه اختيار غيره فلا يحتمل أن يشاء ذلك له. *والله أعلم*.[2]

وقوله عز وجل: **والظالمين أعد لهم عذابا أليما**، أي وشاء أيضا من علم منه الضلال أن يعذبه[3] عذابا أليما. وفي حرف ابن مسعود وأُبيّ وحفصةَ رضي الله عنهم: يختص برحمته من يشاء، وهذا الحرف تفسير تأويل الآية. و[يحتمل] أن يكون[4] رحمته هاهنا هو الهدى وسبيلَ الله. ويحتمل أن يكون رحمته[5] جنتَه[6] سميت رحمةً، لأنه برحمته ما يَدخلها[7] أهل الإيمان. والله أعلم بحقيقة ما أراد. *والله الموفق*.[8]

---

[1] ن: حين.
[2] ن ث: والله الموفق.
[3] جميع النسخ: أن يعد له. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٣١٠و.
[4] جميع النسخ: وأن يكون. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] جميع النسخ + هو.
[6] ر م: هو جنة.
[7] ن + إلا.
[8] ر ن – بحقيقة ما أراد والله الموفق؛ ث – والله الموفق.

سورة الإنسان

إحدى وثلاثون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ ﴾

اتفقوا على أن ﴿ هَلْ ﴾ هاهنا، وفي قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴾ [الغاشية: ١] بمعنى قد، كما تقول: هل رأيت صنيع فلان، وقد علمت أنه قد رآه، وتقول: هل وعظتك هل أعطيتك، ومقصودك أن تقرره بأنك قد أعطيته ووعظته، وقد تجيء بمعنى الجحد، تقول: وهل يقدر أحد على مثل هذا، وأما أنها تجيء بمعنى الاستفهام فظاهر، والدليل على أنها هاهنا ليست بمعنى الاستفهام وجهان: الأول: ما روي أن الصديق رضي الله عنه لما سمع هذه الآية قال: يا ليتها كانت تمت فلا نبتلي، ولو كان ذلك استفهامًا لما قال: ليتها تمت، لأن الاستفهام، إنما يجاب بلا أو بنعم، فإذا كان المراد هو الخبر، فحينئذ يحسن ذلك الجواب، الثاني: أن الاستفهام على الله تعالى محال فلا بد من حمله على الخبر.

المسألة الأولى: اختلفوا في الإنسان المذكور هاهنا فقال جماعة من المفسرين يريد آدم عليه السلام، ومن ذهب إلى هذا قال: إن الله تعالى ذكر خلق آدم في هذه الآية ثم عقب بذكر ولده في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، والقول الثاني: أن المراد بالإنسان بنو آدم بدليل قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ فالإنسان في الموضعين واحد، وعلى هذا التقدير يكون نظم الآية أحسن.

المسألة الثانية: ﴿ حِينٌ ﴾ فيه قولان: الأول: أنه طائفة من الزمن الطويل الممتد وغير مقدر في نفسه، والثاني: أنه مقدر بالأربعين، فمن قال: المراد بالإنسان هو آدم قال المعنى: أنه مكث آدم عليه السلام أربعين سنة طينًا إلى أن نفخ فيه الروح، وروى عن ابن عباس أنه بقي طينًا أربعين سنة وأربعين من صلصال وأربعين من حمأ مسنون فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، فهو في هذه المدة ما كان شيئًا مذكورًا، وقال الحسن: خلق الله تعالى كل الأشياء ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر في الأيام الستة التي خلق فيها السموات والأرض وآخر ما خلق آدم عليه السلام وهو قوله: ﴿ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ فإن قيل: إن الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان إنسانًا، والآية تقتضي أنه قد مضى على الإنسان حال كونه إنسانًا حين من الدهر مع أنه في ذلك الحين ما كان شيئًا مذكورًا، قلنا: إن الطين والصلصال إذا كان مصورًا بصورة الإنسان ويكون محكومًا عليه بأنه سينفخ فيه الروح وسيصير إنسانًا صح تسميته بأنه إنسان،

والذين يقولون الإنسان هو النفس الناطقة، وإنها موجودة قبل وجود الأبدان، فالإشكال عنهم زائل واعلم أن الغرض من هذا التنبيه على أن الإنسان محدث، ومتى كان كذلك فلا بد من محدث قادر.

المسألة الثالثة: لم يكن شيئًا مذكورًا محله النصب على الحال من الإنسان كأنه قيل: هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور أو الرفع على الوصف لحين، تقديره: هل أتى على الإنسان حين لم يكن فيه شيئًا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ فيه مسائل:

المسألة الأولى: المشج: في اللغة الخلط، يقال: مشج يمشج مشجًا إذا خلط، والأمشاج الأخلاط، قال ابن الأعرابي: واحدها مشج ومشيج، ويقال للشيء إذا خلط: مشيج كقولك: خليط وممشوج، كقولك مخلوط. قال الهذلي:

كَأَنَّ الرِّيشَ وَالْفُوقَيْنِ مِنْهُ خِلافُ النَّصْلِ شَطَّ بِهِ مَشِيجُ[1]

يصف السهم بأنه قد بعد في الرمية فالتطخ ريشه وفرقاه بدم يسير، قال صاحب (الكشاف): الأمشاج لفظ مفرد، وليس يجمع بدليل أنه صفة للمفرد وهو قوله: ﴿نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ ويقال أيضًا: نطفة مشيج، ولا يصح أن يكون أمشاجًا جمعًا للمشج بل هما مثلان في الإفراد ونظيره برمة أعشار أي قطع مكسرة، وثوب أخلاق وأرض سباسب، واختلفوا في معنى كون النطفة مختلطة فالأكثرون على أنه اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة كقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٧] قال ابن عباس: هو اختلاط ماء الرجل وهو أبيض غليظ وماء المرأة وهو أصفر رقيق فيختلطان ويخلق الولد منهما، فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل، وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة، قال مجاهد: هي ألوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء، وقال عبد الله: أمشاجها: عروقها، وقال الحسن: يعني من نطفة مشجت بدم وهو دم الحيضة وذلك أن المرأة إذا تلقت ماء الرجل وحبلت أمسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم، وقال قتادة: الأمشاج هو أنه يختلط الماء والدم أولاً ثم يصير علقة ثم يصير مضغة، وبالجملة فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم من صفة إلى صفة، ومن حال إلى حال. وقال قوم: إن الله تعالى جعل في النطفة أخلاطًا من الطبائع التي تكون في الإنسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، والتقدير من نطفة ذات أمشاج فحذف المضاف وتم الكلام، قال بعض العلماء: الأولى هو أن المراد اختلاط نطفة الرجل والمرأة لأن الله تعالى وصف النطفة بأنها أمشاج،

---

(١) تقدمت ترجمة الهذلي.

وهي إذا صارت علقة فلم يبق فيها وصف أنها نطفة، ولكن هذا الدليل لا يقدح في أن المراد كونها أمشاجًا من الأرض والماء والهواء والحار.

أما قوله تعالى: ﴿ نَّبْتَلِيهِ﴾ **ففيه مسائل:**

المسألة الأولى: نبتليه معناه لنبتليه، وهو كقول الرجل: جئتك أقضي حقك، أي لأقضي حقك، وأتيتك أستمنحك، أي لأستمنحك، كذا قوله: ﴿ نَّبْتَلِيهِ﴾ أي لنبتليه، ونظيره قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]أي لتستكثر.

المسألة الثانية: نبتليه في موضع الحال، أي خلقناه مبتلين له، يعني مريدين ابتلاءه.

المسألة الثالثة: في الآية قولان: أحدهما: أن فيه تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى فجعلناه سميعًا بصيرًا لنبتليه، والقول الثاني: أنه لا حاجة إلى هذا التغيير، والمعنى إنا خلقناه من هذه الأمشاج لا للبعث، بل للابتلاء والامتحان.

ثم ذكر أنه أعطاه ما يصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر، فقال: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ والسمع والبصر كنايتان عن الفهم والتمييز، كما قال تعالى حاكيًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ [مريم: ٤٢]وأيضًا قد يراد بالسميع المطيع، كقوله سمعًا وطاعة، وبالبصير العالم يقال: فلان بصير في هذا الأمر، ومنهم من قال: بل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان. والله تعالى خصهما بالذكر، لأنهما أعظم الحواس وأشرفها.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أخبر الله تعالى أنه بعد أن ركّبه وأعطاه الحواس الظاهرة والباطنة بين له سبيل الهدى والضلال، **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: الآية دالة على أن إعطاء الحواس كالمقدم على إعطاء العقل والأمر كذلك لأن الإنسان خلق في مبدأ الفطرة خاليًا عن معرفة الأشياء، إلا أنه أعطاه آلات تعينه على تحصيل تلك المعارف، وهي الحواس الظاهرة والباطنة، فإذا أحس بالمحسوسات تنبه لمشاركات بينها ومباينات، ينتزع منها عقائد صادقة أولية، كعلمنا بأن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان وأن الكل أعظم من الجزء، وهذه العلوم الأولية هي آلة العقل لأن بتركيباتها يمكن التوصل إلى استعلام المجهولات النظرية، فثبت أن الحس مقدم في الوجود على العقل، ولذلك قيل: من فقد حسًا فقد علمًا، ومن قال: المراد من كونه سميعًا بصيرًا هو العقل، قال: إنه لما بين في الآية الأولى أنه أعطاه العقل بين في هذه الآية، أنه إنما أعطاه العقل ليبين له السبيل ويظهر له أن الذي يجب فعله ما هو. والذي لا يجوز ما هو.

المسألة الثانية: السبيل هو الذي يسلك من الطريق، فيجوز أن يكون المراد بالسبيل هاهنا سبيل الخير والشر والنجاة والهلاك، ويكون معنى هديناه، أي عرفناه وبينا كيفية كل واحد منهما له، كقوله تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]ويكون السبيل اسمًا للجنس، فلهذا أفرد لفظه كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]ويجوز أن يكون المراد بالسبيل، هو سبيل الهدى

لأنها هي الطريقة المعروفة المستحقة لهذا الاسم على الإطلاق، فأما سبيل الضلالة فإنما هي سبيل بالإضافة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧] وإنما أضلوهم سبيل الهدى، ومن ذهب إلى هذا جعل معنى قوله: ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾ أي أرشدناه، وإذا أرشد لسبيل الحق، فقد نبه على تجنب ما سواها، فكان اللفظ دليلاً على الطريقين من هذا الوجه.

المسألة الثالثة: المراد من هداية السبيل خلق الدلائل، وخلق العقل الهادي وبعثة الأنبياء وإنزال الكتب، كأنه تعالى قال: خلقتك للابتلاء ثم أعطيتك كل ما تحتاج إليه ليهلك من هلك عن بينة وليس معناه خلقنا الهداية، ألا ترى أنه ذكر السبيل، فقال: ﴿هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي أريناه ذلك.

المسألة الرابعة: قال الفراء: هديناه السبيل، وإلى السبيل وللسبيل، كل ذلك جائز في اللغة.

قوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ فيه مسائل:

المسألة الأولى: في الآية أقوال:

الأول: أن شاكرًا أو كفورًا حالان من الهاء، في هديناه السبيل، أي هديناه السبيل كونه شاكرًا وكفورًا، والمعنى أن كل ما يتعلق بهداية الله وإرشاده، فقد تم حالتي الكفر والإيمان.

والقول الثاني: أنه انتصب قوله شاكرًا وكفورًا بإضمار كان، والتقدير سواء كان شاكرًا أو كان كفورًا.

والقول الثالث: معناه إنا هديناه السبيل، ليكون إما شاكرًا وإما كفورًا أي ليتميز شكره من كفره وطاعته من معصيته كقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ [العنكبوت: ٣] وقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾[محمد: ٣١] قال القفال: ومجاز هذه الكلمة على هذا التأويل قول القائل: قد نصحت لك إن شئت فاقبل، وإن شئت فاترك، أي فإن شئت فتحذف الفاء فكذا المعنى: إنا هديناه السبيل فإما شاكرًا وإما كفورًا، فتحذف الفاء وقد يحتمل أن يكون ذلك على جهة الوعيد أي إنا هديناه السبيل فإن شاء فليكفر وإن شاء فليشكر، فإنا قد أعتدنا للكافرين كذا وللشاكرين كذا، كقوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

القول الرابع: أن يكونا حالين من السبيل أي عرفناه السبيل، أي إما سبيلاً شاكرًا، وإما سبيلاً كفورًا، ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز.

واعلم أن هذه الأقوال كلها لائقة بمذهب المعتزلة.

والقول الخامس: وهو المطابق لمذهب أهل السنة، واختيار الفراء أن تكون إما هذه الآية كإما في قوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ﴾ [التوبة: ١٠٦] والتقدير: إنا هديناه السبيل ثم جعلناه تارة

شاكرًا أو تارة كفورًا، ويتأكد هذا التأويل بما روي أنه قرأ أبو السمال بفتح الهمزة في ﴿أَمَّا﴾، والمعنى أما شاكرًا فبتوفيقنا وأما كفورًا فبخذلاننا، قالت المعتزلة: هذا التأويل باطل، لأنه تعالى ذكر بعد هذه الآية تهديد الكفار فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤] ولو كان كفر الكافر من الله وبخلقه لما جاز منه أن يهدده عليه، ولما بطل هذا التأويل ثبت أن الحق هو التأويل الأول وهو أنه تعالى هدى جميع المكلفين سواء آمن أو كفر، وبطل بهذا قول المجبرة أنه تعالى لم يهد الكافر إلى الإيمان، أجاب أصحابنا بأنه تعالى لما علم من الكافر أنه لا يؤمن ثم كلفه بأن يؤمن فقد كلفه بأن يجمع بين العلم بعدم الإيمان ووجود الإيمان وهذا تكليف بالجمع بين المتنافيين، فإن لم يصر هذا عذرًا في سقوط التهديد والوعيد جاز أيضًا أن يخلق الكفر فيه ولا يصير ذلك عذرًا في سقوط الوعيد وإذا ثبت هذا ظهر أن هذا التأويل هو الحق، وأن التأويل اللائق بقول المعتزلة: ليس بحق، وبطل به قول المعتزلة.

المسألة الثانية: أنه تعالى ذكر نعمه على الإنسان فابتدأ بذكر النعم الدنيوية، ثم ذكر بعده النعم الدينية، ثم ذكر هذه القسمة.

واعلم أنه لا يمكن تفسير الشاكر والكفور بمن يكون مشتغلاً بفعل الشكر وفعل الكفران وإلا لم يتحقق الحصر، بل المراد من الشاكر الذي يكون مقرًّا معترفًا بوجوب شكر خالقه عليه والمراد من الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه، إما لأنه ينكر الخالق أو لأنه وإن كان يثبته لكنه ينكر وجوب الشكر عليه، وحينئذ يتحقق الحصر وهو أن المكلف، إما أن يكون شاكرًا وإما أن يكون كفورًا، واعلم أن الخوارج احتجوا بهذه الآية على أنه لا واسطة بين المطيع والكافر، قالوا: لأن الشاكر هو المطيع، والكفور هو الكافر، والله تعالى نفى الواسطة وذلك يقتضي أن يكون كل ذنب كفرًا، وأن يكون كل مذنب كافرًا، واعلم أن البيان الذي لخصناه يدفع هذا الإشكال، فإنه ليس المراد من الشاكر الذي يكون مشتغلاً بفعل الشكر فإن ذلك باطل طردًا وعكسًا، أما الطرد فلأن اليهودي قد يكون شاكرًا لربه مع أنه لا يكون مطيعًا لربه، والفاسق قد يكون شاكرًا لربه، مع أنه لا يكون مطيعًا لربه، وأما العكس فلأن المؤمن قد لا يكون مشتغلاً بالشكر ولا بالكفران، بل يكون ساكتًا غافلاً عنهما، فثبت أنه لا يمكن تفسير الشاكر بذلك، بل لا بد وأن يفسر الشاكر بمن يقر بوجوب الشكر والكفور بمن لا يقر بذلك، وحينئذ يثبت الحصر، ويسقط سؤالهم بالكلية، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾

اعلم أنه تعالى لما ذكر الفريقين أتبعهما بالوعيد والوعد، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الاعتداد هو إعداد الشيء حتى يكون عتيدًا حاضرًا متى احتيج إليه، كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣] وأما السلاسل فتشد بها أرجلهم، وأما الأغلال فتشد بها

أيديهم إلى رقابهم، وأما السعير فهو النار التي تسعر عليهم فتوقد فيكونون حطبًا لها، وهذا من أغلظ أنواع الترهيب والتخويف.

المسألة الثانية: احتج أصحابنا بهذه الآية على أن الجحيم بسلاسلها وأغلالها مخلوقة، لأن قوله تعالى: ﴿أَعْتَدْنَا﴾ إخبار عن الماضي، قال القاضي: إنه لما توعد بذلك على التحقيق صار كأنه موجود، قلنا: هذا الذي ذكرتم ترك للظاهر فلا يصار إليه إلا لضرورة.

المسألة الثالثة: قرئ (سلاسلًا) بالتنوين، وكذلك ﴿قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: ١٥-١٦] ومنهم من يصل بغير تنوين، ويقف بالألف فلمن نون وصرف وجهان أحدهما: أن الأخفش قال: قد سمعنا من العرب صرف جميع مالا ينصرف، قال: وهذا لغة الشعراء لأنهم اضطروا إليه في الشعر فصرفوه، فجرت ألسنتهم على ذلك، الثاني: أن هذه الجموع أشبهت الآحاد، لأنهم قالوا صواحبات يوسف، فلما جمعوه جمع الآحاد المنصرفة جعلوها في حكمها فصرفوها، وأما من ترك الصرف فإنه جعله كقوله: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾ [الحج: ٤٠] وأما إلحاق الألف في الوقف فهو كإلحاقها في قوله: ﴿الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠] و﴿الرَّسُولَا﴾ [الأحزاب: ٦٦] و﴿السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧] فيشبه ذلك بالإطلاق في القوافي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾

ثم إنه تعالى ذكر ما أعد للشاكرين الموحدين فقال: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ الأبرار جمع بر، كالأرباب جمع رب، والقول في حقيقة البر قد تقدم في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] ثم ذكر من أنواع نعيمهم صفة مشروبهم، فقال: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ يعني من إناء فيه الشراب، ولهذا قال ابن عباس ومقاتل: يريد الخمر، وفي الآية سؤالان:

السؤال الأول: أن مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذًا، فما السبب في ذكره هاهنا؟ الجواب: من وجوه أحدها: أن الكافور اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده، ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته، فالمعنى أن ذلك الشراب يكون ممزوجًا بماء هذه العين، وثانيها: أن رائحة الكافور عرض فلا يكون إلا في جسم، فإذا خلق الله تلك الرائحة في جرم ذلك الشراب سمي ذلك الجسم كافورًا، وإن كان طعمه طيبًا، وثالثها: أي بأس في أن يخلق الله تعالى الكافور في الجنة لكن من طعم طيب لذيذ، ويسلب عنه ما فيه من المضرة؟ ثم إنه تعالى يمزجه بذلك المشروب، كما أنه تعالى سلب عن جميع المأكولات والمشروبات ما معها في الدنيا من المضار.

السؤال الثاني: ما فائدة كان في قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾؟ الجواب: منهم من قال: إنها زائدة، والتقدير من كأس مزاجها كافورًا، وقيل: بل المعنى كان مزاجها في علم الله، وحكمه كافورًا.

قوله تعالى: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ فيه مسائل:

المسألة الأولى: إن قلنا: الكافور اسم النهر كان عينًا بدلاً منه، وإن شئت نصبت على المدح، والتقدير أعني عينًا، أما إن قلنا: إن الكافور اسم لهذا الشيء المسمى بالكافور كان عينًا بدلاً من محل من كأس على تقدير حذف مضاف، كأنه قيل: يشربون خمرًا خمر عين، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه.

المسألة الثانية: قال في الآية الأولى: ﴿يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ﴾ [الإنسان: ٥] وقال هاهنا: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾، فذكر هناك من وهاهنا الباء، والفرق أن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته. وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل.

المسألة الثالثة: قوله: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ عام فيفيد أن كل عباد الله يشربون منها، والكفار بالاتفاق لا يشربون منها، فدل على أن لفظ عباد الله مختص بأهل الإيمان، إذا ثبت هذا فقوله: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَ﴾ [الزمر: ٧] لا يتناول الكفار بل يكون مختصًا بالمؤمنين، فيصير تقدير الآية ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، فلا تدل الآية على أنه تعالى لا يريد كفر الكافر.

قوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ معناه يفجرونها حيث شاءوا من منازلهم تفجيرًا سهلاً لا يمتنع عليهم واعلم أنه سبحانه لما وصف ثواب الأبرار في الآخرة شرح أعمالهم التي بها استوجبوا ذلك الثواب.

فالأول قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الإيفاء بالشيء هو الإتيان به وافيًا، أما النذر فقال أبو مسلم: النذر كالوعد، إلا أنه إذا كان من العباد فهو نذر، وإن كان من الله تعالى فهو وعد، واختص هذا اللفظ في عرف الشرع بأن يقول لله عليَّ كذا وكذا من الصدقة، أو يعلق ذلك بأمر يلتمسه من الله تعالى مثل أن يقول: إن شفى الله مريضي، أو رد غائبي فعليَّ كذا كذا، واختلفوا فيما إذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر، كما إذا قال: إن دخل فلان الدار فعليَّ كذا، فمن الناس من جعله كاليمين، ومنهم من جعله من باب النذر، إذا عرفت هذا، فنقول للمفسرين في تفسير الآية أقوال: أولها: أن المراد من النذر هو النذر فقط، ثم قال الأصم: هذا مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات. لأن من وفى بما أوجبه هو على نفسه كان بما أوجبه الله عليه أوفى، وهذا التفسير في غاية الحسن، وثانيها: المراد بالنذر هاهنا كل ما وجب عليه سواء وجب بإيجاب الله تعالى ابتداء أو بأن أوجبه المكلف على نفسه فيدخل فيه الإيمان وجميع الطاعات، وذلك لأن النذر معناه الإيجاب، وثالثها: قال الكلبي: المراد من النذر العهد والعقد، ونظيره قوله تعالى:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]فسمى فرائضه عهدًا، وقال: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] سماها عقودًا لأنهم عقدوها على أنفسهم باعتقادهم الإيمان.

المسألة الثانية: هذه الآية دالة على وجوب الوفاء بالنذر، لأنه تعالى عقبه بيخافون يومًا وهذا يقتضي أنهم إنما وفوا بالنذر خوفًا من شر ذلك اليوم، والخوف من شر ذلك اليوم لا يتحقق إلا إذا كان الوفاء به واجبًا، وتأكد هذا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] وبقوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]فيحتمل ليوفوا أعمال نسكهم التي ألزموها أنفسهم.

المسألة الثالثة: قال الفراء: وجماعة من أرباب المعاني. (كان) في قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥]زائدة وأما هاهنا فكان محذوفة، والتقدير كانوا يوفون بالنذر. ولقائل أن يقول: إنا بينا أن كان في قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ [الإنسان: ٥]ليست بزائدة، وأما في هذه الآية فلا حاجة إلى إضمارها، وذلك لأنه تعالى ذكر في الدنيا أن الأبرار يشربون أي سيشربون، فإن لفظ المضارع مشترك بين الحال والاستقبال، ثم قال: السبب في ذلك الثواب الذي سيجدونه أنهم الآن يوفون بالنذر.

النوع الثاني: من أعمال الأبرار التي حكاها الله تعالى عنهم قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾.

واعلم أن تمام الطاعة لا يحصل إلا إذا كانت النية مقرونة بالعمل، فلما حكى عنهم العمل وهو قوله: ﴿يُوفُونَ﴾ حكى عنهم النية وهو قوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ وتحقيقه قوله عليه السلام: «إنما الأعمال بالنيات» وبمجموع هذين الأمرين سماهم الله تعالى بالأبرار.

وفي الآية سؤالات:

السؤال الأول: أحوال القيامة وأهوالها كلها فعل الله، وكل ما كان فعلاً لله فهو يكون حكمة وصوابًا، وما كان كذلك لا يكون شرًا، فكيف وصفها الله تعالى بأنها شر؟ الجواب: أنها إنما سميت شرًا لكونها مضرة بمن تنزل عليه وصعبة عليه، كما تسمى الأمراض وسائر الأمور المكروهة شرورًا.

السؤال الثاني: ما معنى المستطير؟ الجواب: فيه وجهان أحدهما: الذي يكون فاشيًا منتشرًا بالغًا أقصى المبالغ، وهو من قولهم: استطار الحريق، واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر، فإن قيل: كيف يمكن أن يقال: شر ذلك اليوم مستطير منتشر، مع أنه تعالى قال في صفة أوليائه: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، قلنا: الجواب من وجهين الأول: أن هول القيامة شديد، ألا ترى أن السموات تنشق وتنفطر وتصير كالمهل، وتتناثر الكواكب، وتتكور الشمس والقمر، وتفزع الملائكة، وتبدل الأرض غير الأرض، وتنسف الجبال، وتسجر البحار وهذا الهول عام يصل إلى كل المكلفين على ما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ [الحج: ٢] وقال: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧] إلا أنه تعالى بفضله يؤمن أولياءه من ذلك الفزع، والجواب الثاني: أن يكون المراد أن شر ذلك اليوم يكون مستطيرًا في العصاة والفجار. وأما المؤمنون فهم آمنون، كما قال: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] إلا أن أهل العقاب في غاية الكثرة بالنسبة إلى أهل الثواب، فأجرى الغالب مجرى الكل على سبيل المجاز.

القول الثاني: في تفسير المستطير أنه الذي يكون سريع الوصول إلى أهله، وكأن هذا القائل ذهب إلى أن الطيران إسراع.

السؤال الثالث: لم قال: ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾، ولم يقل: وسيكون شره مستطيرًا؟ الجواب: اللفظ وإن كان للماضي، إلا أنه بمعنى المستقبل، وهو كقوله: ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب: ١٥] ويحتمل أن يكون المراد أنه كان شره مستطيرًا في علم الله وفي حكمته، كأنه تعالى يعتذر ويقول: إيصال هذا الضرر إنما كان لأن الحكمة تقتضيه، وذلك لأن نظام العالم لا يحصل إلا بالوعد والوعيد، وهما يوجبان الوفاء به، لاستحالة الكذب في كلامي، فكأنه تعالى يقول: كان ذلك في الحكمة لازمًا، فلهذا السبب فعلته.

النوع الثالث: من أعمال الأبرار:

قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾

اعلم أن مجامع الطاعات محصورة في أمرين التعظيم لأمر الله تعالى، وإليه الإشارة بقول: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] والشفقة على خلق الله، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾.

وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: لم يذكر أحد من أكابر المعتزلة، كأبي بكر الأصم وأبي علي الجبائي وأبي القاسم الكعبي، وأبي مسلم الأصفهاني، والقاضي عبد الجبار بن أحمد في تفسيرهم أن هذه الآيات نزلت في حق علي بن أبي طالب عليه السلام، والواحدي من أصحابنا ذكر في كتاب (البسيط) أنها نزلت في حق علي عليه السلام، وصاحب (الكشاف) من المعتزلة ذكر هذه القصة، فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مَرِضَا فَعَادَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُنَاسٍ مَعَهُ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْحَسَنِ لَوْ نَذَرْتَ عَلَى وَلَدِكَ، فَنَذَرَ عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَفِضَّةُ جَارِيَةٌ لَهُمَا، إِنْ شَفَاهُمَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَصُومُوا ثَلَاثَةَ أَيَّام فَشُفِيَا وَمَا مَعَهُمْ شَيْءٌ فَاسْتَقْرَضَ عَلِيٌّ مِنْ شَمْعُونَ الْخَيْبَرِيِّ الْيَهُودِيِّ ثَلَاثَةَ أَصْوُعٍ مِنْ شَعِيرٍ فَطَحَنَتْ فَاطِمَةُ صَاعًا وَاخْتَبَزَتْ خَمْسَةَ أَقْرَاصٍ عَلَى عَدَدِهِمْ وَوَضَعُوهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لِيُفْطِرُوا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ

سَائِلٌ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ، مِسْكِينٌ مِنْ مَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ أَطْعِمُونِي أَطْعَمَكُمُ اللَّهُ مِنْ مَوَائِدِ الْجَنَّةِ فَآثَرُوهُ وَبَاتُوا وَلَمْ يَذُوقُوا إِلاَّ الْمَاءَ وَأَصْبَحُوا صَائِمِينَ، فَلَمَّا أَمْسَوْا وَوَضَعُوا الطَّعَامَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَقَفَ عَلَيْهِمْ يَتِيمٌ فَآثَرُوهُ وَجَاءَهُمْ أَسِيرٌ فِي الثَّالِثَةِ، فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَخَذَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَدَخَلُوا عَلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فلما أبصرهم وَهُمْ يَرْتَعِشُونَ كَالْفِرَاخِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ قَالَ: مَا أَشَدَّ مَا يَسُوءُنِي مَا أَرَى بِكُمْ وَقَامَ فَانْطَلَقَ مَعَهُمْ فَرَأَى فَاطِمَةَ فِي مِحْرَابِهَا قَدِ الْتَصَقَ بَطْنُهَا بِظَهْرِهَا وَغَارَتْ عَيْنَاهَا فَسَاءَهُ ذَلِكَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ: خُذْهَا يَا مُحَمَّدُ هَنَّاكَ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِكَ فَأَقْرَأَهَا السُّورَةَ)[1] والأولون يقولون: إنه تعالى ذكر في أول السورة أنه إنما خلق الخلق للابتلاء والامتحان، ثم بيَّن أنه هدى الكل وأزاح عللهم ثم بيَّن أنهم انقسموا إلى شاكر وإلى كافر ثم ذكر وعيد الكافر ثم أتبعه بذكر وعد الشاكر فقال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ﴾ [الإنسان: ٥] وهذه صيغة جمع فتتناول جميع الشاكرين والأبرار، ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد، لأن نظم السورة من أولها إلى هذا الموضع يقتضي أن يكون هذا بيانًا لحال كل من كان من الأبرار والمطيعين، فلو جعلناه مختصًّا بشخص واحد لفسد نظم السورة، والثاني: أن الموصوفين بهذه الصفات مذكورون بصيغة الجمع كقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ﴾ . . . و﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ﴾ . . . ﴿وَيُطۡعِمُونَ﴾ [الإنسان: ٥، ٧، ٨] وهكذا إلى آخر الآيات فتخصيصه بجمع معينين خلاف الظاهر، ولا ينكر دخول علي بن أبي طالب عليه السلام فيه، ولكنه أيضًا داخل في جميع الآيات الدالة على شرح أحوال المطيعين، فكما أنه داخل فيها فكذا غيره من أتقياء الصحابة والتابعين داخل فيها، فحينئذ لا يبقى للتخصيص معنى ألبتة، اللهم إلا أن يقال: السورة نزلت عند صدور طاعة مخصوصة عنه، ولكنه قد ثبت في أصول الفقه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المسألة الثانية: الذين يقولون: هذه الآية مختصة بعلي بن أبي طالب عليه السلام، قالوا: المراد من قوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾ هو ما رويناه أنه عليه السلام أطعم المسكين واليتيم والأسير، وأما الذين يقولون الآية عامة في حق جميع الأبرار (فَإِنَّهُمْ) قالوا: إطعام الطعام كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة معهم بأي وجه كان، وإن لم يكن ذلك بالطعام بعينه، ووجه ذلك أن أشرف أنواع الإحسان هو الإحسان بالطعام وذلك لأن قوام الأبدان بالطعام ولا حياة إلا به، وقد يتوهم إمكان الحياة مع فقد ما سواه، فلما كان الإحسان لا جرم عبر به عن جميع وجوه المنافع والذي يقوي ذلك أنه يعبر بالأكل عن جميع وجوه المنافع، فيقال: أكل فلان ماله إذا أتلفه في سائر وجوه الإتلاف، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ

---

(١) أورده ابن كثير في (البداية والنهاية) (٥/ ٢٥١) وقال: فقد ذكر ابن الأثير في أسد الغابة أنها كانت مولاة لفاطمة بنت رسول الله ﷺ، ثم أورد بإسناد مظلم عن محبوب بن حميد البصري، عن القاسم بن بهرام، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس . . . فذكره.

ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[النساء: ١٠] وقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[البقرة: ١٨٨] إذا ثبت هذا فنقول: إن الله تعالى وصف هؤلاء الأبرار بأنهم يواسون بأموالهم أهل الضعف والحاجة، وأما قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ ففيه وجهان أحدهما: أن يكون الضمير للطعام أي مع اشتهائه والحاجة إليه ونظيره ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[البقرة: ١٧٧] ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] فقد وصفهم الله تعالى بأنهم يؤثرون غيرهم على أنفسهم على ما قال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر: ٩] والثاني: قال الفضيل بن عياض على حب الله أي لحبهم لله: واللام قد تقام مقام على، وكذلك تقام على مقام اللام، ثم إنه تعالى ذكر أصناف من تجب مواساتهم، وهم ثلاثة أحدهم: المسكين وهو العاجز عن الاكتساب بنفسه والثاني: اليتيم وهو الذي مات كاسبه فيبقى عاجزًا عن الكسب لصغره مع أنه مات كاسبه والثالث: الأسير وهو المأخوذ من قومه المملوكة رقبته الذي لا يملك لنفسه نصرًا ولا حيلة، وهؤلاء الذين ذكرهم الله تعالى هاهنا هم الذين ذكرهم في قوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾[البلد: ١١-١٦] وقد ذكرنا اختلاف الناس في المسكين قبل هذا، أما الأسير فقد اختلفوا فيه على أقوال: أحدها: قال ابن عباس والحسن وقتادة: إنه الأسير من المشركين، روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يبعث الأسارى من المشركين ليحفظوا وليقام بحقهم، وذلك لأنه يجب إطعامهم إلى أن يرى الإمام رأيه فيهم من قتل أو مَنٍّ أو فداء أو استرقاق، ولا يمتنع أيضًا أن يكون المراد هو الأسير كافرًا كان أو مسلمًا، لأنه إذا كان مع الكفر يجب إطعامه فمع الإسلام أولى، فإن قيل: لما وجب قتله فكيف يجب إطعامه؟ قلنا: القتل في حال لا يمنع من الإطعام في حال أخرى، ولا يجب إذا عوقب بوجه أن يعاقب بوجه آخر، ولذلك لا يحسن فيمن يلزمه القصاص أن يفعل به ما هو دون القتل ثم هذا الإطعام على من يجب؟ فنقول: الإمام يطعمه فإن لم يفعله الإمام وجب على المسلمين، وثانيها: قال السدي: الأسير هو المملوك، وثالثها: الأسير هو الغريم قال عليه السلام: «غَرِيمُكَ أَسِيرُكَ فَأَحْسِنْ إِلَى أَسِيرِكَ»[(١)] ورابعها: الأسير هو المسجون من أهل القبلة وهو قول مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير، وروى ذلك مرفوعًا من طريق الخدري أنه عليه السلام قال: ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيرًا ﴿وَيَتِيمًا﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ قال: المملوك المسجون، وخامسها: الأسير هو الزوجة لأنهن أسراء عند الأزواج، قال عليه الصلاة والسلام: «**اتَّقُوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان**»[(٢)] قال القفال: واللفظ يحتمل كل ذلك لأن الأصل في الأسر هو الشد بالقيد،

---

(١) لم أجده في كتب التفسير بدون إسناد والله أعلم.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم في كتاب (الحج) باب (حجة النبي ﷺ) (٢/ ١٤٧/ ٨٨٦) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم... به وأبو داود في كتاب (المناسك) باب (صفة حج النبي ﷺ) (٢/ ١٨٩) حديث رقم (١٩٠٥) من طريق عبد الله بن محمد النفيلي وعثمان ابن أبي شيبة... به وابن ماجه في كتاب (المناسك) باب (حجة=

وكان الأسير يفعل به ذلك حبسًا له، ثم سمي بالأسير من شد ومن لم يشد فعاد المعنى إلى الحبس.

واعلم أنه تعالى لما ذكر أن الأبرار يحسنون إلى هؤلاء المحتاجين بين أن لهم فيه غرضين أحدهما: تحصيل رضا الله. وهو المراد من قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ والثاني: الاحتراز من خوف يوم القيامة وهو المراد من قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾، وهاهنا مسائل:

المسألة الأولى: قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ يحتمل ثلاثة أوجه أحدها: أن يكون هؤلاء الأبرار قد قالوا: هذه الأشياء باللسان، إما لأجل أن يكون ذلك القول منعًا لأولئك المحتاجين عن المجازاة بمثله أو بالشكر، لأن إحسانهم مفعول لأجل الله تعالى فلا معنى لمكافأة الخلق، وإما أن يكون لأجل أن يصير ذلك القول تفقيهًا وتنبيهًا على ما ينبغي أن يكون عليه من أخلص لله حتى يقتدي غيرهم بهم في تلك الطريقة، وثانيها: أن يكونوا أرادوا أن يكون ذلك، وثالثها: أن يكون ذلك بيانًا وكشفًا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وإن لم يقولوا شيئًا. وعن مجاهد أنهم ما تكلموا به ولكن علمه الله تعالى منهم فأثنى عليهم.

المسألة الثانية: اعلم أن الإحسان من الغير تارة يكون لأجل الله تعالى، وتارة يكون لغير الله تعالى إما طلبًا لمكافأة أو طلبًا لحمد وثناء وتارة يكون لهما وهذا هو الشرك والأول هو المقبول عند الله تعالى، وأما القسمان الباقيان فمردودان قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤] وقال: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩] ولا شك أن التماس الشكر من جنس المن والأذى. إذا عرفت هذا فنقول: القوم لما قالوا: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ بقي فيه احتمال أنه أطعمه لوجه الله ولسائر الأغراض على سبيل التشريك، فلا جرم نفى هذا الاحتمال بقوله: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾.

المسألة الثالثة: الشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر، وهو على وزن الدخول والخروج، هذا قول جماعة أهل اللغة، وقال الأخفش: إن شئت جعلت الشكور جماعة الشكر وجعلت الكفور جماعة الكفر لقول: ﴿فَأَبَىٰ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٩٩] مثل بُرْد وبُرُود وإن شئت مصدرًا واحدًا في معنى جمع مثل قَعَد قُعُودًا وخرَج خُرُوجًا.

المسألة الرابعة: قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ يحتمل وجهين أحدهما: أن إحساننا إليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لإرادة مكافأتكم، والثاني: أنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله

=النبي ﷺ (٢/ ١٠٢٢) حديث رقم (٣٠٧٤) من طريق هشام بن عمار . . . به والدارمي في كتاب (المناسك) باب (في سنة الحج) (١/ ٥٠٠) حديث رقم (٣٠٧٤) وابن خزيمة في (صحيحه) (٢٦٨٧/ ٢٨٠٢/ ٢٨١٢) من طريق عبد الله بن محمد النفيلي . . . به جميعًا عن حاتم بن إسماعيل . . . به وأحمد في (مسنده) (٥/ ٧٢) من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حرة الرقاشي عن عمه . . . به.

على طلب المكافأة بالصدقة، فإن قيل: إنه تعالى حكى عنهم الإيفاء بالنذر وعلل ذلك بخوف القيامة فقط، ولما حكى عنهم الإطعام علل ذلك بأمرين بطلب رضاء الله وبالخوف عن القيامة فما السبب فيه؟ قلنا: الإيفاء بالنذر دخل في حقيقة طلب رضاء الله تعالى، وذلك لأن النذر هو الذي أوجبه الإنسان على نفسه لأجل الله فلما كان كذلك لا جرم ضم إليه خوف القيامة فقط، أما الإطعام، فإنه لا يدخل في حقيقة طلب رضا الله، فلا جرم ضم إليه طلب رضا الله وطلب الحذر من خوف القيامة.

المسألة الخامسة: وصف اليوم بالعبوس مجازًا على طريقتين: أحدهما: أن يوصف بصفة أهله من الأشقياء كقولهم: نهارك صائم، روي أن الكافر يحبس حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، والثاني: أن يشبه في شدته وضراوته بالأسد العبوس أو بالشجاع الباسل.

المسألة السادسة: قال الزجاج: جاء في التفسير أن قمطريرًا معناه تعبيس الوجه، فيجتمع ما بين العينين، قال: وهذا سائغ في اللغة يقال: اقمطرت الناقة إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بأنفها يعني أن معنى قمطر في اللغة جمع، وقال الكلبي: قمطريرًا يعني شديدًا وهو قول الفراء وأبي عبيدة والمبرد وابن قتيبة، قالوا: يوم قمطرير، وقماطر إذا كان صعبًا شديدًا أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء، قال الواحدي: هذا معنى والتفسير هو الأول.

قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾

اعلم أنه تعالى لما حكى عنهم أنهم أتوا بالطاعات لغرضين طلب رضا الله والخوف من القيامة بين في هذه الآية أنه أعطاهم هذين الغرضين، أما الحفظ من هول القيامة، فهو المراد بقوله: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ وسمى شدائدها شرًّا توسعًا على ما علمت، واعلم أن هذه الآية أحد ما يدل على أن شدائد الآخرة لا تصل إلا إلى أهل العذاب، وأما طلب رضاء الله تعالى فأعطاهم بسببه نضرة في الوجه وسرورًا في القلب، وقد مر تفسير ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ في قوله: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً﴾[الفرقان: ٧٥] وتفسير النضرة في قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٣] والتنكير في ﴿وَسُرُورًا﴾ للتعظيم والتفخيم.

وقوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ والمعنى وجزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري، بستانًا فيه مأكل هنيء وحريرًا فيه ملبس بهي، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[الحج: ٢٣] أقول: وهذا يدل على أن المراد من قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾[الإنسان: ٩] ليس هو الإطعام فقط بل جميع أنواع المواساة من الطعام والكسوة، ولما ذكر تعالى طعامهم ولباسهم، وصف مساكنهم، ثم إن المعتبر في المساكن أمور:

أحدها: الموضع الذي يجلس فيه فوصفه بقوله: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهي السرر في

الحجال، ولا تكون أريكة إلا إذا اجتمعت، وفي نصب ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ وجهان الأول: قال الأخفش: إنه نصب على الحال، والمعنى وجزاهم جنة في حال اتكائهم كما تقول: جزاهم ذلك قيامًا، والثاني: قال الأخفش: وقد يكون على المدح.

والثاني: هو المسكن فوصفه بقوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وفيه وجهان: أحدهما: أن هواءها معتدل في الحر والبرد، والثاني: أن الزمهرير هو القمر في لغة طيء هكذا رواه ثعلب وأنشد:

وَلَيْلَةٍ ظَلَامُهَا قَدِ اعْتَكَرْ قَطَعْتُهَا وَالزَّمْهَرِيرُ مَا زَهَرْ

والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس وقمر.

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾

والثالث: كونه بستانًا نزهًا، فوصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ وفي الآية سؤالان الأول: ما السبب في نصب ﴿وَدَانِيَةً﴾؟ الجواب: ذكر الأخفش والكسائي والفراء والزجاج فيه وجهين أحدهما: الحال بالعطف على قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾[الإنسان: ١٣] كما تقول في الدار: عبدالله متكئًا ومرسلة عليه الحجال، لأنه حيث قال: عليهم رجع إلى ذكرهم، والثاني: الحال بالعطف على محل: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[الإنسان: ١٣] والتقدير غير رائين فيها شمسًا ولا زمهريرًا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم، كأنه قيل: وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والبرد، ودنو الظلال عليهم، والثالث: أن يكون دانية نعتًا للجنة، والمعنى: وجزاهم جنة دانية، وعلى هذا الجواب تكون دانية صفة لموصوف محذوف، كأنه قيل: وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا، وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها، وذلك لأنهم وعدوا جنتين، وذلك لأنهم خافوا بدليل قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾[الإنسان: ١٠] وكل من خاف فله جنتان، بدليل قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن: ٤٦] وقرئ: (وَدانِيةٌ) بالرفع على أن ﴿ظِلَالُهَا﴾ مبتدأ و(دَانِيةٌ) خبر، والجملة في موضع الحال، والمعنى: لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا والحال أن ظلالها دانية عليهم.

السؤال الثاني: الظل إنما يوجد حيث توجد الشمس، فإن كان لا شمس في الجنة فكيف يحصل الظل هناك؟ والجواب: أن المراد أن أشجار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الأشجار مظللة منها.

قوله تعالى: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ ذكروا في ذللت وجهين الأول: قال ابن قتيبة: ذللت أدنيت منهم من قولهم: حائط ذليل إذا كان قصير السمك، والثاني: ظللت أي جعلت منقادة ولا تمتنع على قطافها كيف شاءوا. قال البراء بن عازب: ذللت لهم فهم يتناولون منها كيف شاءوا، فمن أكل قائمًا لم يؤذه ومن أكل جالسًا لم يؤذه ومن أكل مضطجعًا لم يؤذه.

واعلم أنه تعالى لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف بعد ذلك شرابهم وقدم عليه وصف تلك الأواني التي فيها يشربون فقال:

قوله تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ ﴾

في الآية سؤالات:

السؤال الأول: قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١] والصحاف هي القصاع، والغالب فيها الأكل فإذا كان ما يأكلون فيه ذهبًا فما يشربون فيه أولى أن يكون ذهبًا لأن العادة أن يتنوق في إناء الشرب مالا يتنوق في إناء الأكل وإذا دلت هذه الآية على أن إناء شربهم يكون من الذهب فكيف ذكر هاهنا أنه من الفضة والجواب: أنه لا منافاة بين الأمرين فتارة يسقون بهذا وتارة بذاك.

السؤال الثاني: ما الفرق بين الآنية والأكواب؟ الجواب: قال أهل اللغة: الأكواب الكيزان التي لا عرى لها، فيحتمل أن يكون على معنى أن الإناء يقع فيه الشرب كالقدح، والكوب ما صب منه في الإناء كالإبريق.

السؤال الثالث: ما معنى ﴿كَانَتْ﴾؟ الجواب: هو من يكون في قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] أي تكونت قوارير بتكوين الله تفخيمًا لتلك الخلقة العجيبة الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين.

السؤال الرابع: كيف تكون هذه الأكواب من فضة ومن قوارير؟ الجواب: عنه من وجوه أحدها: أن أصل القوارير في الدنيا الرمل وأصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما أن الله تعالى قادر على أن يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية، فكذلك هو قادر على أن يقلب فضة الجنة قارورة لطيفة، فالغرض من ذكر هذه الآية، التنبيه على أن نسبة قارورة الجنة إلى قارورة الدنيا كنسبة فضة الجنة إلى رمل الدنيا، فكما أنه لا نسبة بين هذين الأصلين، فكذا بين القارورتين في الصفاء واللطافة وثانيها: قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء وإذا كان كذلك فكمال الفضة في بقائها ونقائها وشرفها إلا أنه كثيف الجوهر، وكمال القارورة في شفافيتها وصفائها إلا أنه سريع الانكسار، فآنية الجنة آنية يحصل فيها من الفضة بقاؤها ونقاؤها، وشرف جوهرها، ومن القارورة، صفاؤها وشفافيتها، وثالثها: أنها تكون فضة ولكن لها صفاء القارورة، ولا يستبعد من قدرة الله تعالى الجمع بين هذين الوصفين، ورابعها: أن المراد بالقوارير في الآية ليس هو الزجاج، فإن العرب تسمي ما استدار من الأواني التي تجعل فيها الأشربة ورقَّ وصَفَا قارورة، فمعنى الآية وأكواب من فضة مستديرة صافية رقيقة.

السؤال الخامس: كيف القراءة في ﴿قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا﴾؟ الجواب: قرئا غير منونين وبتنوين الأول وبتنوينهما، وهذا التنوين بدل عن ألف الإطلاق لأنه فاصلة، وفي الثاني لإتباعه الأول لأن الثاني

بدل من الأول فيتبع البدل المبدل، وقرئ: (قَواريرُ من فِضَّةٍ) بالرفع على هي قوارير، وقدروها صفة لقوارير من فضة.

أما قوله تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: قال المفسرون: معناه: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص من الري ليكون ألذ لشربهم، وقال الربيع بن أنس: إن تلك الأواني تكون بمقدار ملء الكف لم تعظم فيثقل حملها.

المسألة الثانية: أن منتهى مراد الرجل في الآنية التي يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل. أما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ وأما النقاء فقد ذكره بقوله: ﴿مِن فِضَّةٍ﴾، وأما الشكل فقد ذكره بقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾.

المسألة الثالثة: المقدر لهذا التقدير من هو؟ فيه قولان: الأول: أنهم هم الطائفون الذين دل عليهم قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ وذلك أنهم قدروا شرابها على قدر ري الشارب، والثاني: أنهم هم الشاربون وذلك لأنهم إذا اشتهوا مقدارًا من المشروب جاءهم على ذلك القدر.

قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾

واعلم أنه تعالى لما وصف أواني مشروبهم ذكر بعد ذلك وصف مشروبهم، فقال: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾.

العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في المشروب، لأنه يحدث فيه ضربًا من اللذع، فلما كان كذلك وصف الله شراب أهل الجنة بذلك، ولا بد وأن تكون في الطيب على أقصى الوجوه. قال ابن عباس: وكل ما ذكره الله تعالى في القرآن مما في الجنة، فليس منه في الدنيا إلا الاسم، وتمام القول هاهنا مثل ما ذكرناه في قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥].

قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ فيه مسائل:

المسألة الأولى: قال ابن الأعرابي: لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن، فعلى هذا لا يعرف له اشتقاق، وقال الأكثرون: يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل أي عذب سهل المساغ، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية، ودلت على غاية السلاسة، قال الزجاج: السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة، والفائدة في ذكر السلسبيل هو أن ذلك الشراب يكون في طعم الزنجبيل، وليس فيه لذعة لأن نقيض اللذع هو السلاسة، وقد عزوا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أن معناه: سل سبيلًا إليها، وهو بعيد إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سلسبيلا جعلت علمًا للعين، كما قيل: تأبط شرًا، وسميت بذلك، لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلًا بالعمل الصالح.

المسألة الثانية: في نصب ﴿عَيْنًا﴾ وجهان: أحدهما: أنه بدل من زنجبيلًا، وثانيهما: أنه

نصب على الاختصاص.

المسألة الثالثة: سلسبيلاً صرف لأنه رأس آية، فصار كقوله ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧]، وقد تقدم في هذه السورة بيان ذلك.

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

واعلم أنه تعالى ذكر بعد ذلك من يكون خادمًا في تلك المجالس. فقال: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ وقد تقدم تفسير هذين الوصفين في سورة الواقعة والأقرب أن المراد به دوام كونهم على تلك الصورة التي لا يراد في الخدم أبلغ منها، وذلك يتضمن دوام حياتهم وحسنهم ومواظبتهم على الخدمة الحسنة الموافقة، قال الفراء: يقال مخلدون مسورون ويقال: مُقَرَّطون. وروى نفطويه عن ابن الأعرابي مخلدون مُحلَّون.

والصفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ وفي كيفية التشبيه وجوه: أحدها: شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في مجالسهم ومنازلهم عند اشتغالهم بأنواع الخدمة باللؤلؤ المنثور، ولو كان صفًا لشبهوا باللؤلؤ المنظوم، ألا ترى أنه تعالى قال: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ فإذا كانوا يطوفون كانوا متناثرين، وثانيها: أنهم شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا انتثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء، وثالثها: قال القاضي: هذا من التشبيه العجيب لأن اللؤلؤ إذا كان متفرقًا يكون أحسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على البعض فيكون مخالفًا للمجتمع منه.

واعلم أنه تعالى لما ذكر تفصيل أحوال أهل الجنة، أتبعه بما يدل على أن هناك أمورًا أعلى وأعظم من هذا القدر المذكور فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾، **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: ﴿رَأَيْتَ﴾ هل له مفعول؟ فيه قولان: الأول: قال الفراء: المعنى وإذا رأيت ما ثم وصلح إضمار ما كما قال: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] يريد ما بينكم، قال الزجاج: لا يجوز إضمار ما لأن ثَمَّ صلة وما موصولها، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة، الثاني: أنه ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر والغرض منه أن يشيع ويعم، كأنه قيل: وإذا وجدت الرؤية ثم، ومعناه أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير وملك كبير، و﴿ثَمَّ﴾ في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة.

المسألة الثانية: اعلم أن اللذات الدنيوية محصورة في أمور ثلاثة: قضاء الشهوة، وإمضاء الغضب، واللذة الخيالية التي يعبر عنها بحب المال والجاه، وكل ذلك مستحقر فإن الحيوانات الخسيسة قد تشارك الإنسان في واحد منها، فالملك الكبير الذي ذكره الله هاهنا لا بد وأن يكون مغايرًا لتلك اللذات الحقيرة، وما هو إلا أن تصير نفسه منتقشة بقدس الملكوت متحلية بجلال حضرة اللاهوت، وأما ما هو على أصول المتكلمين، فالوجه فيه أيضًا أنه الثواب والمنفعة

المقرونة بالتعظيم فبيَّن تعالى في الآيات المتقدمة تفصيل تلك المنافع وبيَّن في هذه الآية حصول التعظيم وهو أن كل واحد منهم يكون كالملك العظيم، وأما المفسرون فمنهم من حمل هذا الملك الكبير على أن هناك منافع أزيد مما تقدم ذكره، قال ابن عباس: لا يقدر واصف يصف حسنه ولا طيبه. ويقال: إن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام ويرى أقصاه كما يرى أدناه، وقيل: لا زوال له وقيل: إذا أرادوا شيئًا حصل، ومنهم من حمله على التعظيم. فقال الكلبي: هو أن يأتي الرسول من عند الله بكرامة من الكسوة والطعام والشراب والتحف إلى ولي الله وهو في منزله فيستأذن عليه، ولا يدخل عليه رسول رب العزة من الملائكة المقربين المطهرين إلا بعد الاستئذان.

المسألة الثالثة: قال بعضهم قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ خطاب لمحمد خاصة، والدليل عليه أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أرأيت إن دخلت الجنة أترى عيناي ما ترى عيناك؟ فقال نعم، فبكى حتى مات [1]، وقال آخرون: بل هو خطاب لكل أحد.

قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ فيه مسائل:

المسألة الأولى: قرأ نافع وحمزة: (عَالِيهِمْ) بإسكان الياء، والباقون بفتح الياء أما القراءة الأولى: فالوجه فيها أن يكون عاليهم مبتدأ، وثياب سندس خبره، والمعنى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس، فإن قيل: عاليهم مفرد، وثياب سندس جماعة، والمبتدأ إذا كان مفردًا لا يكون خبره جمعًا، قلنا: المبتدأ، وهو قوله: ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ وإن كان مفردًا في اللفظ، فهو جمع في المعنى، نظيره قوله تعالى: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٧، ٦٨] كأنه أفرد من حيث جعل بمنزلة المصدر، أما القراءة الثانية: وهي فتح الياء، فذكروا في هذا النصب ثلاثة أوجه الأول: أنه نصب على الظرف، لأنه لما كان عالي بمعنى فوق أجرى مجراه في هذا الإعراب، كما كان قوله: ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٢] كذلك وهو قول أبي علي

---

(١) إسناده ضعيف: أبو نعيم في (معرفة الصحابة) (٣/ ٦٦) حديث رقم (٨٦٢) والطبراني في (الكبير) (١٢/ ٤٣٦) حديث رقم (١٣٥٩٥) وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٣/ ٣١٩) والطبراني في (الأوسط) حديث رقم (٤٧٧٤) وقال: لا يروي عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد تفرد به عفيف جميعًا من طريق عفيف بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال... فذكره وأورده السيوطي في (اللآلئ المصنوعة) (١/ ٤٠٩) وقال: قال ابن حبان: باطل لا أصل له وأيوب فاحش الخطأ (قلت) لم يتهم بكذب بل ثقة أحمد في رواية قال العجلي يكتب حديثه والحديث أخرجه الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عفيف بن سالم به وأخرجه أبو نعيم في الحلية عن الطبراني وقال غريب من حديث عطاء تفرد به عفيف عن أيوب وكان عفيف أحد العباد والزهاد عن أهل الموصل وكان الثوري يسميه الياقوتة وأيوب بن عتبة ضعيف وقاله ابن حجر في تقريب التهذيب.

الفارسي، والثاني: أنه نصب على الحال، ثم هذا أيضًا يحتمل وجوهًا أحدها: قال أبو علي الفارسي: التقدير: ولقاهم نضرة وسرورًا حال ما يكون عاليهم ثياب سندس، وثانيها: التقدير: وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا حال ما يكون عاليهم ثياب سندس، وثالثها: أن يكون التقدير: ويطوف على الأبرار ولدان، حال ما يكون الأبرار عاليهم ثياب سندس، ورابعها: حسبتهم لؤلؤًا منثورًا، حال ما يكون عاليهم ثياب سندس، فعلى الاحتمالات الثلاثة الأول: تكون الثياب ثياب الأبرار، وعلى الاحتمال الرابع تكون الثياب ثياب الولدان، الوجه الثالث: في سبب هذا النصب، أن يكون التقدير: رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب سندس.

المسألة الثانية: قرأ نافع وعاصم: (خُضْرٌ وإِسْتبرقٌ)، كلاهما بالرفع، وقرأ الكسائي وحمزة: كلاهما بالخفض، وقرأ ابن كثير: خضرٍ بالخفض، وإستبرقٌ بالرفع، وقرأ أبو عمرو وعبدالله بن عامر: خُضرٌ بالرفع، واستبرقٍ بالخفض، وحاصل الكلام فيه أن خضرًا يجوز فيه الخفض والرفع، أما الرفع فإذا جعلتها صفة لثياب، وذلك ظاهر لأنها صفة مجموعة لموصوف مجموع، وأما الخفض فإذا جعلتها صفة سندس، لأن سندس أريد به الجنس، فكان في معنى الجمع، وأجاز الأخفش وصف اللفظ الذي يراد به الجنس بالجمع، كما يقال: أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض إلا أنه قال: إنه قبيح، والدليل على قبحه أن العرب تجيء بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد وذلك قولهم: حصى أبيض وفي التنزيل ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ [يس: ٨٠] و﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] إذ كانوا قد أفردوا صفات هذا الضرب من الجمع، فالواحد الذي في معنى الجمع أولى أن تفرد صفته، وأما إستبرق فيجوز فيه الرفع والخفض أيضًا معًا، أما الرفع فإذا أريد به العطف على الثياب، كأنه قيل: ثياب سُندسٍ وإستبرقٌ وأما الخفض فإذا أريد إضافة الثياب إليه كأنه قيل: ثِيابُ سُنْدسٍ وإستبرقٍ، والمعنى ثيابهما فأضاف الثياب إلى الجنسين كما يقال: ثيابُ خزٍّ وكِتانٍ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١] واعلم أن حقائق هذه الآية قد تقدمت في سورة الكهف.

المسألة الثالثة: السندس ما رق من الديباج، والاستبرق ما غلظ منه، وكل ذلك داخل في اسم الحرير قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] ثم قيل: إن الذين هذا لباسهم هم الولدان المخلدون، وقيل: بل هذا لباس الأبرار، وكأنهم يلبسون عدة من الثياب فيكون الذي يعلوها أفضلها، ولهذا قال: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ وقيل هذا من تمام قوله: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الإنسان: ١٣] ومعنى ﴿عَالِيَهُمْ﴾ أي فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب سندس، والمعنى أن حجالهم من الحرير والديباج.

قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾: **وفيه سؤالات:**

السؤال الأول: قال تعالى في سورة الكهف: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١] فكيف جعل تلك الأساور هاهنا من فضة؟ **والجواب:** من ثلاثة أوجه

أحدها: أنه لا منافاة بين الأمرين فلعلهم يسورون بالجنسين إما على المعاقبة أو على الجمع كما تفعل النساء في الدنيا، وثانيها: أن الطباع مختلفة فرب إنسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب، فالله تعالى يعطي كل أحد ما تكون رغبته فيه أتم، وميله إليه أشد، وثالثها: أن هذه الأسورة من الفضة إنما تكون للولدان الذين هم الخدم وأسورة الذهب للناس.

السؤال الثاني: السوار إنما يليق بالنساء وهو عيب للرجال، فكيف ذكر الله تعالى ذلك في معرض الترغيب؟ الجواب: أهل الجنة جرد مرد شباب فلا يبعد أن يحلوا ذهبًا وفضة وإن كانوا رجالاً، وقيل: هذه الأسورة من الفضة والذهب إنما تكون لنساء أهل الجنة وللصبيان فقط، ثم غلب في اللفظ جانب التذكير، وفي الآية وجه آخر، وهو أن آلة أكثر الأعمال هي اليد وتلك الأعمال والمجاهدات هي التي يتوسل بها إلى تحصيل المعارف الإلهية والأنوار الصمدية، فتكون تلك الأعمال جارية مجرى الذهب والفضة التي يتوسل بهما إلى تحصيل المطالب، فلما كانت تلك الأعمال صادرة من اليد كانت تلك الأعمال جارية مجرى سوار الذهب والفضة، فسميت الأعمال والمجاهدات بسوار الذهب والفضة، وعبر عن تلك الأنوار الفائضة عن الحضرة الصمدية بقوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ وبالجملة فقوله: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] فهذا احتمال خطر بالبال، والله أعلم بمراده.

قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ الطهور فيه قولان: الأول: المبالغة في كونه طاهرًا، ثم فيه على هذا التفسير احتمالات أحدها: أنه لا يكون نجسًا كخمر الدنيا، وثانيها: المبالغة في البعد عن الأمور المستقذرة يعني ما مسته الأيدي الوضرة، وما داسته الأقدام الدنسة، وثالثها: أنها لا تؤول إلى النجاسة لأنها ترشح عرقًا من أبدانهم له ريح كريح المسك، القول الثاني: في الطهور أنه المطهر، وعلى هذا التفسير أيضًا في الآية احتمالان: أحدهما: قال مقاتل: هو عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غل وغش وحسد، وما كان في جوفه من قذر وأذى، وثانيهما: قال أبو قلابة: يؤتون الطعام والشراب فإذا كان في آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور، فيشربون فتطهر بذلك بطونهم، ويفيض عرق من جلودهم مثل ريح المسك، وعلى هذين الوجهين يكون الطهور مطهرًا لأنه يطهر باطنهم عن الأخلاق الذميمة، والأشياء المؤذية، فإن قيل: قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ هو عين ما ذكر تعالى قبل ذلك من أنهم يشربون من عين الكافور، والزنجبيل، والسلسبيل أو هذا نوع آخر؟ قلنا: بل هذا نوع آخر، ويدل عليه وجوه أحدها: دفع التكرار، وثانيها: أنه تعالى أضاف هذا الشراب إلى نفسه، فقال: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وذلك يدل على فضل في هذا دون غيره، وثالثها: ما روينا أنه تقدم إليهم الأطعمة والأشربة، فإذا فرغوا منها أتوا بالشراب الطهور فيشربون، فيطهر

ذلك بطونهم، ويفيض عرقًا من جلودهم مثل ريح المسك، وهذا يدل على أن هذا الشراب مغاير لتلك الأشربة، ولأن هذا الشراب يهضم سائر الأشربة، ثم له مع هذا الهضم تأثير عجيب، وهو أنه يجعل سائر الأطعمة والأشربة عرقًا يفوح منه ريح كريح المسك، وكل ذلك يدل على المغايرة، ورابعها: وهو أن الروح من عالم الملائكة، والأنوار الفائضة من جواهر أكابر الملائكة، وعظمائهم على هذه الأرواح مشبهة بالماء العذب الذي يزيل العطش ويقوي البدن، وكما أن العيون متفاوتة في الصفاء والكثرة والقوة، فكذا ينابيع الأنوار العلوية مختلفة، فبعضها تكون كافورية على طبع البرد واليبس، ويكون صاحبها في الدنيا في مقام الخوف والبكاء والانقباض، وبعضها تكون زنجبيلية على طبع الحر واليبس، فيكون صاحب هذه الحالة قليل الالتفات إلى ما سوى الله تعالى قليل المبالاة بالأجسام والجسمانيات، ثم لا تزال الروح البشرية منتقلة من ينبوع إلى ينبوع، ومن نور إلى نور، ولا شك أن الأسباب والمسببات متناهية في ارتقائها إلى واجب الوجود الذي هو النور المطلق جل جلاله وعز كماله، فإذا وصل إلى ذلك المقام وشرب من ذلك الشراب انهضمت تلك الأشربة المتقدمة، بل فنيت، لأن نور ما سوى الله تعالى يضمحل في مقابلة نور الله وكبريائه وعظمته، وذلك هو آخر سير الصديقين، ومنتهى درجاتهم في الارتقاء والكمال، فلهذا السبب ختم الله تعالى ذكر ثواب الأبرار على قوله: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

واعلم أنه تعالى لما تمم شرح أحوال السعداء، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾.

اعلم أن في الآية وجهين الأول: قال ابن عباس: المعنى أنه يقال لأهل الجنة بعد دخولهم فيها، ومشاهدتهم لنعيمها: إن هذا كان لكم جزاء قد أعده الله تعالى لكم إلى هذا الوقت، فهو كله لكم بأعمالكم على قلة أعمالكم، كما قال حاكيًا عن الملائكة: إنهم يقولون لأهل الجنة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] وقال: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] والغرض من ذكر هذا الكلام أن يزداد سرورهم، فإنه يقال للمعاقب: هذا بعملك الرديء فيزداد غمه وألم قلبه، ويقال للمثاب: هذا بطاعتك، فيكون ذلك تهنئة له وزيادة في سروره، والقائل بهذا التفسير جعل القول مضمرًا، أي ويقال لهم: هذا الكلام، الوجه الثاني: أن يكون ذلك إخبارًا من الله تعالى لعباده في الدنيا، فكأنه تعالى شرح جواب أهل الجنة، أن هذا كان في علمي وحكمي جزاء لكم يا معاشر عبادي، لكم خلقتها، ولأجلكم أعددتها، وبقي في الآية سؤالان:

السؤال الأول: إذا كان فعل العبد خلقًا لله، فكيف يعقل أن يكون فعل الله جزاء على فعل الله؟ الجواب: الجزء هو الكافي، وذلك لا ينافي كونه فعلاً لله تعالى.

السؤال الثاني: كون سعي العبد مشكورًا لله يقتضي كون الله شاكرًا له، والجواب: كون الله تعالى شاكرًا للعبد محال إلا على وجه المجاز، وهو من ثلاثة أوجه الأول: قال القاضي: إن الثواب مقابل لعملهم، كما أن الشكر مقابل للنعم، الثاني: قال القفال: إنه مشهور في كلام الناس، أن يقولوا: للراضي بالقليل والمثني به إنه شكور، فيحتمل أن يكون شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بالقليل من الطاعات، وإعطاؤه إياهم عليه ثوابًا كثيرًا، الوجه الثالث: أن منتهى درجة العبد أن يكون راضيًا من ربه مرضيًا لربه على ما قال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[الفجر: ٢٧-٢٨] وكونها راضية من ربه، أقل درجة من كونها مرضية لربه، فقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ إشارة إلى الأمر الذي به تصير النفس راضية من ربه وقوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ إشارة إلى كونها مرضية لربه، ولما كانت هذه الحال أعلى المقامات وآخر الدرجات لا جرم وقع الختم عليها في ذكر مراتب أحوال الأبرار والصديقين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ۝٢٣﴾

اعلم أنه سبحانه بيَّن في أول السورة أن الإنسان وجد بعد العدم بقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾[الإنسان: ١] ثم بيَّن أنه سبحانه خلقه من أمشاج، والمراد منه إما كونه مخلوقًا من العناصر الأربعة أو من الأخلاط الأربعة أو من ماء الرجل والمرأة أو من الأعضاء والأرواح أو من البدن والنفس أو من أحوال متعاقبة على ذلك الجسم مثل كونه نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا، وعلى أي هذه الوجوه تحمل هذه الآية، فلذلك يدل على أنه لا بد من الصانع المختار جل جلاله وعظم كبرياؤه. ثم بيَّن بعد ذلك أني ما خلقته ضائعًا عاطلاً باطلاً، بل خلقته لأجل الابتلاء والامتحان، وإليه الإشارة بقوله: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾[الإنسان: ٢] وهاهنا موضع الخصومة العظيمة القائمة بين أهل الجبر والقدر، ثم ذكر تعالى أني أعطيته جميع ما يحتاج إليه عند الابتلاء والامتحان، وهو السمع والبصر والعقل، وإليه الإشارة بقوله: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[الإنسان: ٢] ولما كان العقل أشرف الأمور المحتاج إليها في هذا الباب أفرده عن السمع والبصر، فقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾[الإنسان: ٣] ثم بيَّن أن الخلق بعد هذه الأحوال صاروا قسمين: منهم شاكر، ومنهم كفور، وهذا الانقسام باختيارهم كما هو تأويل القدرية، أو من الله على ما هو تأويل الجبرية، ثم إنه تعالى ذكر عذاب الكفار على الاختصار، ثم ذكر بعد ذلك ثواب المطيعين على الاستقصاء، وهو إلى قوله: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾[الإنسان: ٢٢] واعلم أن الاختصار في ذكر العقاب مع الإطناب في شرح الثواب يدل على أن جانب الرحمة أغلب وأقوى، فظهر مما بينا أن السورة من أولها إلى هذا الموضع في بيان أحوال الآخرة، ثم إنه تعالى شرع بعد ذلك في أحوال الدنيا، وقدم شرح أحوال المطيعين على شرح أحوال المتمردين. أما المطيعون فهم الرسول وأمته، والرسول هو الرأس والرئيس، فلهذا خص الرسول بالخطاب. واعلم أن الخطاب إما النهي وإما

الأمر، ثم إنه تعالى قبل الخوض فيما يتعلق بالرسول من النهي والأمر، قدم مقدمة في تقوية قلب الرسول ﷺ، وإزالة الغم والوحشة عن خاطره، وإنما فعل ذلك، لأن الاشتغال بالطاعة والقيام بعهدة التكليف لا يتم إلا مع فراغ القلب ثم بعد هذه المقدمة ذكر نهيه عن بعض الأشياء، ثم بعد الفراغ عن النهي، ذكر أمره ببعض الأشياء، وإنما قدم النهي على الأمر، لأن دفع الضرر أهم من جلب النفع، وإزالة مالا ينبغي مقدم على تحصيل ما ينبغي، ثم إنه تعالى ذكر بعد ذلك أحوال المتمردين والكفار على ما سيأتي تفصيل بيانه، ومن تأمل فيما ذكرناه علم أن هذه السورة، وقعت على أحسن وجوه الترتيب والنظام، فالحمد لله الذي نور عقل هذا المسكين الضعيف بهذه الأنوار، وله الشكر عليه أبد الآباد.

ولنرجع إلى التفسير، فنقول: أما تلك المقدمة فهي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ واعلم أن المقصود من هذه الآية تثبيت الرسول وشرح صدره فيما نسبوه إليه من كهانة وسحر، فذكر الله تعالى أن ذلك وحي من الله، فلا جرم بالغ وكرر الضمير بعد إيقاعه اسمًا، لأن تأكيدًا على تأكيد أبلغ، كأنه تعالى يقول: إن كان هؤلاء الكفار يقولون: إن ذلك كهانة، فأنا الله الملك الحق أقول على سبيل التأكيد والمبالغة إن ذلك وحي حق وتنزيل صدق من عندي.

وهذا فيه فائدتان:

إحداهما: إزالة الوحشة المتقدمة الحاصلة بسبب طعن أولئك الكفار، فإن بعض الجهال وإن طعنوا فيه إلا أن جبار السموات عظمه وصدقه.

والثانية: تقويته على تحمل التكليف المستقبل، وذلك لأن الكفار كانوا يبالغون في إيذائه، وهو كان يريد مقاتلتهم فلما أمره الله تعالى بالصبر على ذلك الإيذاء وترك المقاتلة، وكان ذلك شاقًا عليه، فقال له: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ فكأنه قال له: إني ما نزلت عليك هذا القرآن مفرقًا منجمًا إلا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين، ولقد اقتضت تلك الحكمة تأخير الإذن في القتال، فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة المحضة المبرأ عن العيب والعبث والباطل.

ثم إنه تعالى لما قدم هذه المقدمة ذكر النهي فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾

فإما أن يكون المعنى: فاصبر لحكم ربك في تأخير الإذن في القتال ونظيره ﴿فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧] أو يكون المعنى عامًا في جميع التكاليف، أي فاصبر في كل ما حكم به ربك سواء كان ذلك تكليفًا خاصًا بك من العبادات والطاعات أو متعلقًا بالغير وهو التبليغ وأداء الرسالة، وتحمل المشاق الناشئة من ذلك، **ثم في الآية سؤالات:**

السؤال الأول: قوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ دخل فيه أن ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ فكأن ذكره بعد هذا تكريرًا. الجواب: الأول أمر بالمأمورات، والثاني نهى عن المنهيات ودلالة أحدهما على الآخر بالالتزام لا بالتصريح فيكون التصريح به مفيدًا.

السؤال الثاني: أنه عليه السلام ما كان يطيع أحدًا منهم، فما الفائدة في هذا النهي؟ الجواب: المقصود بيان أن الناس محتاجون إلى مواصلة التنبيه والإرشاد، لأجل ما تركب فيهم من الشهوات الداعية إلى الفساد، وأن أحدًا لو استغنى عن توفيق الله وإمداده وإرشاده، لكان أحق الناس به هو الرسول المعصوم، ومتى ظهر ذلك عرف كل مسلم، أنه لا بد له من الرغبة إلى الله والتضرع إليه في أن يصونه عن الشبهات والشهوات.

السؤال الثالث: ما الفرق بين الآثم والكفور؟ الجواب: الآثم هو المقدم على المعاصي أي معصية كانت، والكفور هو الجاحد للنعمة، فكل كفور آثم، وليس كل آثم كفورًا، وإنما قلنا: إن الآثم عام في المعاصي كلها لأنه تعالى قال: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] فسمى الشرك إثمًا، وقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقال ﴿وَذَرُوا ظَٰهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[الأنعام: ١٢٠] وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[البقرة: ٢١٩] فدلت هذه الآيات على أن هذا الإثم شامل لكل المعاصي، واعلم أن كل من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان، لأنه لما عبد غيره، فقد عصاه وجحد إنعامه، إذا عرفت هذا فنقول في الآية قولان: الأول: أن المراد شخص معين، ثم منهم من قال: الآثم، والكفور هو شخص واحد وهو أبو جهل، ومنهم من قال: الآثم هو الوليد والكفور هو عتبة، قال القفال: ويدل عليه أنه تعالى سمى الوليد أثيمًا في قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[القلم: ١٠-١٢] وروى صاحب الكشاف أن الآثم هو عتبة. والكفور هو الوليد لأن عتبة كان ركابًا للمآثم متعاطيًا لأنواع الفسوق والوليد كان غاليًا في الكفر، والقول الأول أولى لأنه متأيد بالقرآن، يروى أن عتبة بن ربيعة قال للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر حتى أزوجك ولدي فإني من أجمل قريش ولدًا، وقال الوليد: أنا أعطيك من المال حتى ترضى، فإني من أكثرهم مالاً، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ عشر آيات من أول حم السجدة إلى قوله ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[فصلت: ١٣] فانصرفا عنه وقال أحدهما ظننت أن الكعبة ستقع علي(١). القول الثاني: أن الآثم والكفور مطلقان غير مختصين بشخصين معينين، وهذا هو الأقرب إلى الظاهر، ثم قال الحسن: الآثم هو المنافق والكفور مشركوا العرب، وهذا ضعيف بل الحق ما ذكرناه من أن الآثم عام والكفور خاص.

السؤال الرابع: كانوا كلهم كفرة، فما معنى القسمة في قوله: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾؟ الجواب:

---

(١) لم أجده.

﴿ ٱلْكَفُورَ﴾ أخبث أنواع الآثم، فخصه بالذكر تنبيهًا على غاية خبثه ونهاية بعده عن الله.

السؤال الخامس: كلمة (أو) تقتضي النهي عن طاعة أحدهما فلم لم يذكر الواو حتى يكون نهيًا عن طاعتهما جميعًا؟ الجواب: ذكروا فيه وجهين: الأول: وهو الذي ذكره الزجاج واختاره أكثر المحققين أنه لو قيل: ولا تطعهما لجاز أن يطيع أحدهما لأن النهي عن طاعة مجموع شخصين لا يقتضي النهي عن طاعة كل واحد منهما وحده، أما النهي عن طاعة أحدهما فيكون نهيًا عن طاعة مجموعهما لأن الواحد داخل في المجموع، ولقائل أن يقول: هذا ضعيف، لأن قوله: لا تطع هذا وهذا معناه كن مخالفًا لأحدهما، ولا يلزم من إيجاب مخالفة أحدهما إيجاب مخالفتهما معًا، فإنه لا يبعد أن يقول السيد لعبده: إذا أمرك أحد هذين الرجلين فخالفه، أما إذا توافقا فلا تخالفهما. والثاني: قال الفراء: تقدير الآية لا تطع منهم أحدًا سواء كان آثمًا أو كفورًا كقول الرجل لمن يسأله شيئًا: لا أعطيك سواء سألت أو سكت.

قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾

واعلم أنه تعالى لما ذكر هذا النهي عقبه بالأمر، فقال: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾، **وفي هذه الآية قولان:**

الأول: أن المراد هو الصلاة قالوا: لأن التقييد بالبكرة والأصيل يدل على أن المراد من قوله: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ الصلوات. ثم قالوا: البكرة هي صلاة الصبح والأصيل صلاة الظهر والعصر ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ المغرب والعشاء، فتكون هذه الكلمات جامعة الصلوات الخمس وقوله: ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ المراد منه التهجد، ثم اختلفوا فيه فقال بعضهم: كان ذلك من الواجبات على الرسول عليه السلام، ثم نسخ كما ذكرنا في سورة المزمل واحتجوا عليه بأن قوله: ﴿ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ﴾ أمر وهو للوجوب لا سيما إذا تكرر على سبيل المبالغة، وقال آخرون: بل المراد التطوع وحكمه ثابت.

القول الثاني: أن المراد من قوله: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ إلى آخر الآية ليس هو الصلاة بل المراد التسبيح الذي هو القول والاعتقاد، والمقصود أن يكون ذاكرًا لله في جميع الأوقات ليلًا ونهارًا بقلبه ولسانه، وهو المراد من قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

واعلم أن في الآية لطيفة أخرى وهي أنه تعالى قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣] أي هديناك إلى هذه الأسرار، وشرحنا صدرك بهذه الأنوار، وإذ قد فعلنا بك ذلك فكن منقادًا مطيعًا لأمرنا، وإياك وأن تكون منقادًا مطيعًا لغيرنا، ثم لما أمره بطاعته، ونهاه عن طاعة غيره قال: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ وهذا إشارة إلى أن العقول البشرية ليس عندها إلا معرفة

الأسماء والصفات، أما معرفة الحقيقة فلا، فتارة يقال له: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وهو إشارة إلى معرفة الأسماء، وتارة يقال له: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وهو إشارة إلى مقام الصفات، وأما معرفة الحقيقة المخصوصة التي هي المستلزمة لسائر اللوازم السلبية والإضافية، فلا سبيل لشيء من الممكنات والمحدثات، إلى الوصول إليها والاطلاع عليها، فسبحان من اختفى عن العقول لشدة ظهوره واحتجب عنها بكمال نوره.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

واعلم أنه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهي والأمر عدل إلى شرح أحوال الكفار والمتمردين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ والمراد أن الذي حمل هؤلاء الكفار على الكفر، وترك الالتفات والإعراض عما ينفعهم في الآخرة ليس هو الشبهة حتى ينتفعوا بالدلائل المذكورة في أول هذه السورة، بل الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة والراحات الدينية، وفي الآية سؤالان:

السؤال الأول: لم قال: ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ ولم يقل: قدامهم؟ الجواب: من وجوه أحدها: لما لم يلتفتوا إليه، وأعرضوا عنه فكأنهم جعلوه وراء ظهورهم، وثانيها: المراد: ويذرون وراءهم مصالح يوم ثقيل فأسقط المضاف، وثالثها: أن وراء تستعمل بمعنى قدام كقوله: ﴿مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾ [إبراهيم: ١٦] ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩].

السؤال الثاني: ما السبب في وصف يوم القيامة بأنه يوم ثقيل؟ الجواب: استعير الثقل لشدته وهوله، من الشيء الثقيل الذي يتعب حامله ونحوه ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ثم إنه تعالى لما ذكر أن الداعي لهم إلى هذا الكفر حب العاجل، قال: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا﴾.

والمراد أن حبهم للعاجلة يوجب عليهم طاعة الله من حيث الرغبة ومن حيث الرهبة، أما من حيث الرغبة فلأنه هو الذي خلقهم وأعطاهم الأعضاء السليمة التي بها يمكن الانتفاع باللذات العاجلة، وخلق جميع ما يمكن الانتفاع به، فإذا أحبوا اللذات العاجلة، وتلك اللذات لا تحصل إلا عند حصول المنتفع وحصول المنتفع به، وهذان لا يحصلان إلا بتكوين الله وإيجاده، فهذا مما يوجب عليهم الانقياد لله ولتكاليفه وترك التمرد والإعراض، وأما من حيث الرهبة فلأنه قادر على أن يميتهم، وعلى أن يسلب النعمة عنهم، وعلى أن يلقيهم في كل محنة وبلية، فلأجل من فوت هذه اللذات العاجلة يجب عليهم أن ينقادوا لله، وأن يتركوا هذا التمرد، وحاصل الكلام كأنه قيل لهم: هب أن حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة مستحسنة، إلا أن ذلك يوجب عليكم الإيمان بالله والانقياد له، فلو أنكم توسلتم به إلى الكفر بالله، والإعراض عن حكمه، لكنتم قد

تمردتم، وهذا ترتيب حسن في السؤال والجواب، وطريقة لطيفة. وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال أهل اللغة: الأسر: الربط والتوثيق، ومنه أسر الرجل إذا وثق بالقيد. وفرس مأسور الخلق وفرس مأسور بالعقب، والمعنى شددنا توصيل أعضائهم بعضًا ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب.

المسألة الثانية: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ أي إذا شئنا أهلكناهم وآتينا بأشباههم فجعلناهم بدلاً منهم، وهو كقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ﴾ [الواقعة: ٦١]والغرض منه بيان الاستغناء التام عنهم كأنه قيل: لا حاجة بنا إلى أحد من المخلوقين ألبتة، وبتقدير أن تثبت الحاجة فلا حاجة إلى هؤلاء الأقوام، فإنا قادرون على إفنائهم، وعلى إيجاد أمثالهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ١٩-٢٠]ثم قيل: ﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ أي في الخلقة، وإن كانوا أضدادهم في العمل، وقيل: أمثالهم في الكفر.

المسألة الثالثة: قال صاحب الكشاف في قوله: ﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ إن حقه أن يجيء بـ(إن) لا بـ(إذا) كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣]واعلم أن هذا الكلام كأنه طعن في لفظ القرآن، وهو ضعيف لأن كل واحد من إن وإذا حرف الشرط، إلا أن حرف إن لا يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع، فلا يقال: إن طلعت الشمس أكرمتك، أما حرف إذا فإنه يستعمل فيما كان معلوم الوقوع، تقول: آتيك إذا طلعت الشمس، فهاهنا لما كان الله تعالى عالمًا بأنه سيجيء وقت يبدل الله فيه أولئك الكفرة بأمثالهم في الخلقة وأضدادهم في الطاعة، لا جرم حسن استعمال حرف إذا.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾

واعلم أنه تعالى لما شرح أحوال السعداء وأحوال الأشقياء قال بعده: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ والمعنى أن هذه السورة بما فيها من الترتيب العجيب والنسق البعيد والوعد والوعيد والترغيب والترهيب، تذكرة للمتأملين وتبصرة للمستبصرين، فمن شاء الخيرة لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ إلى ربه سبيلاً. واتخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه، واعلم أن هذه الآية من جملة الآيات التي تلاطمت فيها أمواج الجبر والقدر، فالقدري يتمسك بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ ويقول: إنه صريح مذهبي ونظيره: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]والجبري يقول: متى ضمت هذه الآية إلى الآية التي بعدها خرج منه صريح مذهب الجبر، وذلك لأن قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ يقتضي أن تكون مشيئة العبد متى كانت خالصة فإنها تكون مستلزمة

للفعل، وقوله بعد ذلك: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يقتضي أن مشيئة الله تعالى مستلزمة لمشيئة العبد ومستلزم المستلزم مستلزم، فإذا مشيئة الله مستلزمة لفعل العبد، وذلك هو الجبر، وهكذا الاستدلال على الجبر بقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ لأن هذه الآية أيضًا تقتضي كون المشيئة مستلزمة للفعل ثم التقرير ما تقدم.

واعلم أن الاستدلال على هذا الوجه الذي لخصناه لا يتوجه عليه كلام القاضي إلا أنا نذكره وننبه على ما فيه من الضعف، قال القاضي: المذكور في هذه الآية اتخاذ السبيل إلى الله، ونحن نسلم أن الله قد شاءه لأنه تعالى قد أمر به، فلا بد وأن يكون قد شاءه. وهذا لا يقتضي أن يقال العبد: لا يشاء إلا ما قد شاءه الله على الإطلاق، إذ المراد بذلك الأمر المخصوص الذي قد ثبت أنه تعالى قد أراده وشاءه.

واعلم أن هذا الكلام الذي ذكره القاضي لا تعلق له بالاستدلال على الوجه الذي ذكرناه، وأيضًا فحاصل ما ذكره القاضي تخصيص هذا العام بالصورة التي مر ذكرها فيما قبل هذه الآية، وذلك ضعيف، لأن خصوص ما قبل هذه الآية لا يقتضي تخصيص هذا العام به. لاحتمال أن يكون الحكم في هذه الآية واردًا بحيث يعم تلك الصورة وسائر الصور، وبقي في الآية سؤال يتعلق بالإعراب، وهو أن يقال: ما محل ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؟ وجوابه النصب على الظرف، وأصله إلا وقت مشيئة الله، وكذلك قراءة ابن مسعود: -إلا ما شاء الله- لأن (ما) مع الفعل كـ(أن) معه، وقرئ أيضًا يشاءون بالياء.

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي عليمًا بأحوالهم وما يكون منهم حيث خلقهم مع علمه بهم.

ثم ختم السورة فقال:

قوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

اعلم أن خاتمة هذه السورة عجيبة، وذلك لأن قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] يدل على أن جميع ما يصدر عن العبد فبمشيئة الله، وقوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ يدل على أن دخول الجنة والنار ليس إلا بمشيئة الله، فخرج من آخر هذه السورة إلا الله وما هو من الله، وذلك هو التوحيد المطلق الذي هو آخر سير الصديقين ومنتهى معارجهم في أفلاك المعارف الإلهية، وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: قوله: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ إن فسرنا الرحمة الإيمان، فالآية صريحة في أن الإيمان من الله، وإن فسرناها بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله وفضله وإحسانه لا بسبب الاستحقاق، وذلك لأنه لو ثبت الاستحقاق لكان تركه يفضي إلى الجهل والحاجة المحالين على الله، والمفضي إلى المحال محال فتركه محال فوجوده واجب عقلاً وعدمه ممتنع

عقلاً، وما كان كذلك لا يكون معلقًا على المشيئة ألبتة، وأيضًا فلأن من كان مديونًا من إنسان فأدى ذلك الدين إلى مستحقه لا يقال بأنه إنما دفع ذلك القدر إليه على سبيل الرحمة والتفضل.

المسألة الثانية: قوله: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يدل على أنه جف القلم بما هو كائن، لأن معنى أعد أنه علم ذلك وقضى به، وأخبر عنه وكتبه في اللوح المحفوظ، ومعلوم أن التغيير على هذه الأشياء محال، فكان الأمر على ما بيناه وقلناه.

المسألة الثالثة: قال الزجاج: نصب الظالمين لأن قبله منصوبًا، والمعنى يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين وقوله: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ كالتفسير لذلك المضمر، وقرأ عبدالله بن الزبير: والظالمون، وهذا ليس باختيار لأنه معطوف على يدخل من يشاء وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية غير حسن، وأما قوله في حم عسق: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ﴾ فإنما ارتفع لأنه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصبه في المعنى، فلم يجز أن يعطف على المنصوب قبله، فارتفع بالابتداء، وهاهنا قوله: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يدل على ذلك الناصب المضمر، فظهر الفرق والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة الإنسان

مَكِّيَّةٌ في قول ابنِ عباس ومقاتل والكلبي[1]. وقال الجمهور: مدنيَّة[2]. وقيل: فيها مكيّ، من قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ [الآية: ٢٣] إلى آخر السورة، وما تقدَّمه مدنيّ[3].

وهي إحدى وثلاثون آية

وذكر ابنُ وَهْب قال: وحدَّثنا ابن زيد قال: إنَّ رسول الله ﷺ ليقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ وقد أنزلت عليه، وعنده رجل أسود كان يسأل النبيَّ ﷺ، فقال له عمر بن الخطاب: لا تُثْقِل على النبيِّ ﷺ، قال: «دَعْه يا ابن الخطاب» قال: فنزلت عليه هذه السورةُ وهو عنده، فلمَّا قرأها عليه وبلغ صفة الجِنان، زَفَر زَفْرَةً فخرجت نَفْسُه. فقال رسول الله ﷺ: «أَخْرَج نَفْسَ صاحبكم ـ أو أخيكم ـ الشَّوْقُ إلى الجنة» وروي عن ابن عمر بخلاف هذا اللفظ، وسيأتي[4].

وقال القُشَيريّ: إنَّ هذه السورةَ نزلت في عليٍّ بن أبي طالب ﷺ. والمقصود من السورة عامّ. وهكذا القولُ في كلِّ ما يقال: إنه نزل بسبب كذا وكذا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ «هَلْ» بمعنى:

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦١ .

(٢) زاد المسير ٨/ ٤٢٧ .

(٣) المصدران السابقان.

(٤) ص٤٨٦ من هذا الجزء.

قد؛ قاله الكسائيُّ والفرَّاء وأبو عبيدة[١]. وقد حُكي عن سيبويه: «هَلْ» بمعنى قد[٢].
قال الفراء[٣]: «هل» تكون جَحْدًا، وتكون خبرًا، فهذا من الخبر؛ لأنك تقول: هل أعطيتك؟ تقرِّره بأنك أعطيتَه. والجحد أن تقول: هل يَقْدر أحدٌ على مِثل هذا؟ وقيل: هي بمنزلة الاستفهام، والمعنى: أتى[٤].

والإنسان هنا آدم عليه السلام؛ قاله قتادة والثَّوريُّ وعِكرمة والسُّدِّي[٥]. وروي عن ابن عباس.

﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أربعون سنةً مرَّت به قبل أن ينفخ فيه الروح، وهو ملقًى بين مكة والطائف. وعن ابن عباس ـ أيضاً ـ في رواية الضحاك: أنه خلق من طين، فأقام أربعين سنة، ثم من حَمأ مسنون أربعين سنة، ثم من صَلْصال أربعين سنة، فتَمَّ خلقُه بعد مئة وعشرين سنة. وزاد ابن مسعود فقال: أقام وهو من تراب أربعين سنة، فتمَّ خلقه بعد مئة وستين سنة. ثم نُفخ فيه الروح. وقيل: الحين المذكور هاهنا لا يُعْرف مقدارُه؛ عن ابن عباس أيضًا، حكاه الماورديّ[٦].

﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ قال الضحَّاك عن ابن عباس: لا في السماء ولا في الأرض[٧]. وقيل: أي: كان جسدًا مصوَّرًا ترابًا وطينًا، لا يُذكَر ولا يعرف، ولا يُدرى ما اسمه ولا ما يراد به، ثم نُفخ فيه الرُّوح، فصار مذكورًا؛ قاله الفرَّاء وقُطرب

---

(١) كلام الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٢١٣، وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٧٩.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨.
(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢١٣.
(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٦١ عن ابن عيسى.
(٥) النكت والعيون ٦/ ١٦١ دون ذكر الثوري، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٢٩ - ٥٣٠ عن قتادة وسفيان.
(٦) في النكت والعيون ٦/ ١٦٢.
(٧) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٩٨ دون نسبة.

وثعلب. وقال يحيى بن سلَّام: لم يكن شيئًا مذكورًا في الخَلْق وإن كان عند الله شيئاً مذكورًا[١].

وقيل: ليس هذا الذِّكرُ بمعنى الإخبار، فإنَّ إخبار الربِّ عن الكائنات قديم، بل هذا الذِّكر بمعنى الخطر والشرف والقَدْر؛ تقول: فلان مذكور، أي: له شرف وقدر. وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤] أي: قد أتى على الإنسان حين لم يكن له قَدْر عند الخليقة. ثم لمَّا عَرَّف اللهُ الملائكة أنه جعل آدم خليفة، وحمَّله الأمانةَ التي عَجزَ عنها السماواتُ والأرض والجبال، ظهر فضله على الكلّ، فصار مذكورًا. قال القُشيريّ: وعلى الجملة؛ ما كان مذكورًا للخلق، وإن كان مذكورًا لله. وحكى محمد بن الجهم عن الفرَّاء[٢]: «لَمْ يَكُنْ شَيْئًا» قال: كان شيئًا ولم يكن مذكورًا.

وقال قوم: النفي يرجع إلى الشيء، أي: قد مضى مُدَدٌ من الدهر وآدمُ لم يكن شيئًا يذكر في الخليقة؛ لأنه آخر ما خلقه من أصناف الخليقة، والمعدوم ليس بشيء حتى يأتيَ عليه حين. والمعنى: قد مضت عليه أزمنةٌ وما كان آدم شيئًا، ولا مخلوقًا، ولا مذكورًا لأحد من الخليقة. وهذا معنى قولِ قتادة ومقاتل؛ قال قتادة: إنما خُلق الإنسان حديثًا، ما يُعلم من خليقة الله جلَّ ثناؤه خليقةٌ كانت بعد الإنسان[٣].

وقال مقاتل: في الكلام تقديمٌ وتأخير، وتقديره: هل أتى حينٌ من الدهر لم يكن الإنسان شيئًا مذكورًا؛ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كلِّه، ولم يخلق بعده حيوانًا[٤].

وقد قيل: «الإنسان» في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ﴾ عُنيَ به الجنسُ من ذرِّيَّة آدم[٥]، وأنَّ الحين تسعة أشهر، مدَّة حمل الإنسانِ في بطن أمه «لم يكنْ شيئًا

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٢ ، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٣/ ٢١٣ بنحوه.

(٢) الكلام في معاني القرآن له ٣/ ٢١٣ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٢٩ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٦٢ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٥ ، والكشاف ٤/ ١٩٤ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨ .

مذكورًا»؛ إذ كان علقةً ومضغة؛ لأنه في هذه الحالة جمادٌ لا خطر له.

وقال أبو بكر ﷺ لمَّا قرأ هذه الآية: ليتها تمَّت فلا نُبتلى[١]. أي: ليت المدَّة التي أتت على آدم لم تكن شيئًا مَذْكُورًا تَمَّت على ذلك، فلا يلد ولا يُبْتلى أولادُه.

وسمع عمر بن الخطاب ﷺ رجلًا يقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ فقال: ليتها تمَّت[٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: ابن آدم، من غير خلاف[٣] ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: من ماء يقطُر، وهو المَنِيّ، وكلُّ ماءٍ قليل في وعاء فهو نطفة[٤]؛ كقول عبد الله ابنِ رواحة يعاتب نفسه:

مالي أراكِ تَكرهين الجَنَّهْ ... هل أنتِ إلَّا نطفةٌ في شَنَّهْ[٥]

وجمعها: نُطَف ونِطاف.

﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط. واحدها: مِشْج ومَشِيج، مثل: خِدْن وخَدِين[٦]؛ قال رؤبة:

يَطْرحْنَ كلَّ مُعْجَلٍ نَشَّاجِ ... لم يُكْسَ جِلْداً في دمٍ أَمْشاجِ[٧]

ويقال: مَشَجْتُ هذا بهذا، أي خلطتُه، فهو مَمْشوج ومَشِيج؛ مثل: مَخْلوط وخَلِيط.

وقال المبرِّد: واحد الأمشاج: مَشِيج؛ يقال: مَشَجَ يَمْشِجُ: إذا خلط، وهو هنا

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٩، وينظر الكشاف ٤/ ١٩٤.

(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ٣٩٨، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٦.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٦٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٥.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٩.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٦. وقال الفيروز أبادي في القاموس (مشج): شيء مشيج، كقتيل، وسَبَب، وكَتِف... ج: أمشاج.

(٧) ديوان رؤبة ص٣٢، وقوله: نشَّاج؛ قال في القاموس (نشج): نَشَجَ الباكي يَنْشِجُ نشيجاً: غُصَّ بالبكاء في حلقه من غير انتحاب.

اختلاط النطفة بالدم؛ قال الشَّمَّاخ:

طوت أحشاءَ مُرْتِجَةً لِوقتٍ على مَشِجٍ سُلالتُه مَهينِ[١]

وقال الفرَّاء[٢]: أمشاج: أخلاط ماءِ الرجل وماءِ المرأة، والدم والعَلَقة. ويقال للشيء من هذا إذا خُلط: مَشِيج، كقولك خَلِيط، ومَمْشوج، كقولك: مَخْلوط.

وروي عن ابن عباس ﷺ قال: الأمشاج: الحُمرة في البياض، والبياض في الحُمرة. وهذا قولٌ يختاره كثيرٌ من أهل اللغة؛ قال الهُذَليّ:

كأنَّ الرِّيشَ والفُوقَيْنِ منه خِلافَ النَّصْلِ سِيطَ به مَشِيجُ[٣]

وعن ابن عباس أيضًا قال: يختلط ماءُ الرجل ـ وهو أبيض غليظ ـ بماء المرأة ـ وهو أصفر رقيق ـ فيُخلق منهما الولد، فما كان من عَصَب وعظم وقوَّة، فهو من ماء الرجل، وما كان من لحم ودم وشعر، فهو من ماء المرأة[٤]. وقد روي هذا مرفوعًا؛ ذكره البزَّار[٥].

وروي عن ابن مسعود: أمشاجها: عروق المضغة. وعنه: ماء الرجل وماء المرأة، وهما لونان. وقال مجاهد: نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء

---

(١) الديوان ص٣٢٨، والكامل للمبرد ٢/ ١٠١٧، والخزانة ٤/ ٣٤٩. قال البغدادي: أي: هذه الأتان ضمت أحشاء مرتجة، أراد رحمها، أي: أغلقت رحمها على ماء الفحل. والمشج، بفتح الميم وكسر الشين: ماء الفحل مع الدم، وقيل: ماء الفحل والأتان جميعاً يختلطان. وسلالته، أي: ماؤه، وهو فاعل مشج، ويقال: السلالة الولد، وهو الرقيق. ومهين ضعيف، وهو صفة مشج.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢١٤.

(٣) البيت لعمرو بن الداخل الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ٣/ ١٠٤، والكامل ٢/ ١٠١٦، وفيه: الشرخين، بدل: الفُوقين. الفُوْق: موضع الوتر من السهم. منه، أي: من السهم. خلافَ النصل: بعدَ النصل. سيط: خُلط.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٦ - ٤٢٧.

(٥) في مسنده (٢٣٧٥ كشف الأستار) بنحوه، وقال: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا من هذا الوجه، وقد روي نحوه عن غيره من وجوه. اهـ. وأخرجه (٢٣٧٦)، (٢٣٧٧) من حديث عبد الله بن مسعود. والحديثان عند أحمد (٢٥١٤)،(٤٤٣٨).

وصفراء. وقال ابن عباس: خلق من ألوان؛ خلق من تراب، ثم من ماء الفَرْج والرَّحِم، وهي نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظم، ثم لحم.

ونحوَه قال قتادة: هي أطوار الخلق: طورًا نطفة، وطورًا علقة، وطورًا مضغة، وطوراً عظام، ثم يكسو العظام لحمًا[١]؛ كما قال في سورة المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ الآية [١٢].

وقال ابن السِّكِّيت: الأمشاج: الأخلاط؛ لأنها ممتزجة من أنواع، فخلق الإنسان منها ذا طبائع مختلفة. وقال أهل المعاني: الأمشاج ما جمع وهو في معنى الواحد؛ لأنه نعت للنطفة؛ كما يقال: بُرْمَةٌ أَعشَار، وثوبٌ أخلاقٌ[٢].

وروي عن أبي أيوب الأنصاريّ قال: جاء حبر من اليهود إلى النبيِّ ﷺ فقال: أخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة. فقال: «ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فإذا عَلَا ماءُ المرأة آنَثَتْ، وإذا عَلَا ماءُ الرجل أَذْكَرَتْ» فقال الحبر: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله[٣]. وقد مضى هذا القولُ مستوفًى في سورة البقرة[٤].

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي: نختبره. وقيل: نقدِّر فيه الابتلاء، وهو الاختبار. وفيما يختبر به وجهان: أحدهما: نختبره بالخير والشر؛ قاله الكلبي. الثاني: نختبر شكره في السرَّاء وصبرَه في الضَّرَّاء؛ قاله الحسن.

وقيل: «نَبْتَلِيهِ»: نُكلِّفه. وفيه أيضًا وجهان: أحدهما: بالعمل بعد الخلق؛ قاله

---

(١) أخرج هذه الآثار الطبري ٢٣/ ٥٣٣ - ٥٣٥ .

(٢) البُرْمَة: قِدْرٌ، من حجارة. وقِدْرٌ أعشار: مكسَّرة على عشر قطع. وثوبٌ أخلاق: إذا كانت الخُلُوقة (أي: البِلَى) فيه كلِّه. القاموس (برم، قدر، خلق).

(٣) لم نقف عليه عن أبي أيوب الأنصاري، وأخرج نحوه البخاري (٣٣٢٩) عن أنس، ومسلم (٣١٥) عن ثوبان. وسلف حديث ثوبان ٥/ ١٤.

(٤) استوفاه المؤلف في سورة الشورى ١٨/ ٥٠٢ وما بعدها.

مقاتل. الثاني: بالدِّين؛ ليكون مأمورًا بالطاعة ومنهيًّا عن المعاصي(١).

وروي عن ابن عباس: «نَبْتَلِيهِ»: نصرِّفه خلقًا بعد خلق؛ لنبتليَه بالخير والشرّ(٢).

وحكى محمد بن الجهم عن الفراء قال: المعنى والله أعلم: «فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا» لنبتليَه، وهي مُقدَّمةٌ معناها التأخير(٣).

قلت(٤): لأن الابتلاء لا يقع إلَّا بعد تمام الخِلْقة.

وقيل: «جَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا»: يعني: جعلنا له سمعًا يسمع به الهدى، وبصرًا يُبصر به الهدى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: بيَّنَّا له وعرَّفناه طريقَ الهدى والضلال، والخيرِ والشرِّ ببعث الرسل، فآمن أو كفر؛ كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]. وقال مجاهد: أي: بيَّنَّا له السبيلَ إلى الشَّقاء والسَّعادة. وقال الضحَّاك وأبو صالح والسُّدِّيّ: السبيل هنا خروجُه من الرَّحِم. وقيل: منافعه ومضارُّه التي يهتدي إليها بطبعه وكمالِ عقله(٥).

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ أي: أيَّهما فعل فقد بيَّنَّا له. قال الكوفيون: «إنْ» ها هنا تكون جزاءً، و«ما» زائدة. أي: بيَّنَّا له الطريق إن شَكَر أو كَفَر. واختاره الفرَّاء(٦)، ولم يُجِزْه البصريُّون؛ إذ لا تدخل «إنْ» للجزاء على الأسماء، إلَّا أن يُضمَرَ بعدها فعل(٧).

وقيل: أي: هديناه الرُّشد، أي: بيَّنَّا له سبيل التوحيد بنصب الأدلة عليه؛ ثم إنْ

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٣.

(٢) الكشاف ٤/ ١٩٥.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٤. وقد ردّه النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٩٥ - ٩٦، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩٥.

(٤) لفظة: قلت، ليست في (ز) و(ظ) و(ي).

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٦٤، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٣٧ - ٥٣٨.

(٦) في معاني القرآن ٣/ ٢١٤.

(٧) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٢، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٦.

خلقنا له الهدايةَ اهتدى وآمن، وإن خذلناه كَفَر. وهو كما تقول: قد نصحت لك، إن شئت فاقبل، وإن شئت فاترك، أي: فإن شئت، فتحذف الفاء. وكذا «إِمَّا شاكرًا»، والله أعلم.

ويقال: هديته السبيلَ وللسبيل وإلى السبيل[١]. وقد تقدَّم في «الفاتحة» وغيرها[٢].

وجمع بين الشاكر والكفور، ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة؛ نفيًا للمبالغة في الشكر، وإثباتًا لها في الكفر؛ لأن شكر الله تعالى لا يُؤدَّى، فانتفت عنه المبالغة، ولم تنتفِ عن الكفر المبالغة، فقَلَّ شكره لكثرة النِّعم عليه، وكَثرة كفره[٣] وإن قَلَّ مع الإحسان إليه. حكاه الماوردي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ④﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ بيَّن حال الفريقين، وأنه تَعبَّد العقلاءَ وكَلَّفهم ومَكَّنهم مما أمرهم، فمن كَفَر فله العقاب، ومن وَحَّد وشكرَ فله الثواب. والسلاسل: القيود في جهنم، طول كلِّ سلسلةٍ سبعون ذراعًا، كما مضى في «الحاقة»[٤].

وقرأ نافع والكسائيُّ وأبو بكر عن عاصم وهشامٌ عن ابن عامر: «سَلَاسِلًا» منوَّنًا. الباقون بغير تنوين. ووقف قُنْبُل عن ابن كثير[٥] وحمزةُ بغير ألف. الباقون بالألف. فأما «قواريرَ» الأوَّل، فنوَّنه نافع وابن كثير والكسائيُّ وأبو بكر عن عاصم، ولم ينوِّن الباقون. ووقف يعقوب وحمزة بغير ألف. والباقون بالألف. وأما «قَوَارِيرَ» الثانية، فنوَّنه أيضًا نافع والكسائيُّ وأبو بكر، ولم ينوِّن الباقون. فمَن نوَّن قرأها بالألف، ومن

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٤.

(٢) ١/ ٢٢٦ - ٢٢٧، ٢٤٧ فما بعد.

(٣) في النكت والعيون ٦/ ١٦٤ (والكلام منه): وكثر كفره.

(٤) ص٢١٠ من هذا الجزء.

(٥) في (د) و(م): وابن كثير. وهو خطأ.

لم ينوِّن أسقط منها الألف[١]، واختار أبو عُبيد التنوينَ في الثلاثة، والوقفَ بالألف اتِّباعًا لخطِّ المصحف؛ قال: رأيت في مصحف عثمان «سَلَاسِلًا» بالألف، و«قَوَارِيرًا» الأوَّل بالألف، وكان الثاني مكتوبًا بالألف، فَحُكَّت، فرأيت أثرَها هناك بَيِّنًا.

فمن صَرَفَ فله أربع حُجج:

أحدها: أنَّ الجموع أشبهت الآحاد، فجمعت جمع الآحاد، فجعلت في حكم الآحاد، فصرفت.

الثانية: أنَّ الأخفش حكى عن العرب صَرْفَ جميع ما لا ينصرف، إلَّا: أَفْعَل منك، وكذا قال الكسائيُّ والفرَّاء: هو على لغة من يُجرِي الأسماءَ كلَّها، إلَّا قولهم: هو أظرف منك، فإنهم لا يُجْرُونه؛ وأنشد ابن الأنباريِّ[٢] في ذلك قولَ عمرو بنِ كُلْثوم:

كأنَّ سيوفنا فينا وفيهمْ ... مَخَاريقٌ بأيدي لاعبينا[٣]

وقال لَبيد:

وجَزُورِ أَيْسارٍ دَعوتُ لِحَتْفِها ... بِمَغالِقٍ مُتشابِهٍ أجسامُها[٤]

---

(١) الكلام بنحوه في الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٣٦٨ ، والمقنع للداني ص١٥، وينظر النشر ٢/ ٣٩٥ .

(٢) في الوقف والابتداء ١/ ٣٦٩ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٧ ، والحجة لأبي علي ٦/ ٣٤٩ ، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٣ ، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٥٢ ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٤، وللزجاج ٥/ ٢٦٠ . قوله: لا يُجرونه، أي: يمنعونه من الصرف، والإجراء يعني الصرف. ينظر تعليق الشيخ محمود شاكر رحمه الله على تفسير الطبري ٦/ ٣٤٧.

(٣) شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص١٠٤ . المخاريق: ما مُثِّل بالشيء وليس به، نحو ما يلعب به الصبيان، يشبهونه بالحديد وليس به.

(٤) شرح ديوان لبيد ص٣١٨ . الأيسار: المضاربون بالقداح. لحتفها: لنحرها. المغالق: القِداح؛ لأنه يغلق بها الرهن. متشابه أجسامها: يشبه بعضها بعضاً؛ لأنها على نسق واحد.

وقال لبيد أيضاً:

فَضلًا وذو كرم يُعِينُ على النَّدَى سَمْحٌ كَسُوبُ رغائبٍ غَنَّامُها[(١)]

فصَرَفَ مَخاريق ومَغَالق ورَغائب، وسبيلُها ألَّا تُصرَف.

والحجَّة الثالثة: أن يقول: نوَّنت «قوارِير» الأوَّل؛ لأنه رأس آية، ورؤوس الآي جاءت بالنون، كقوله جلَّ وعزَّ: «مَذْكُورًا» «سَمِيعًا بَصِيرًا» فنوَّنَّا الأوَّل ليوافقَ[(٢)] بين رؤوس الآي، ونوَّنَّا الثاني على الجِوار للأوَّل.

والحجة الرابعة: اتِّباع المصاحف، وذلك أنهما جميعًا في مصاحف مكة والمدينةِ والكوفةِ بالألف.

وقد احتجَّ مَن لم يصرفهنَّ بأن قال: إنَّ كلَّ جمع بعد الألف منه ثلاثةُ أحرف أو حرفان أو حرف مشدَّد؛ لا يُصرَف في معرفة ولا نكرة؛ فالذي بعد الألف منه ثلاثة أحرف قولُك: قناديل، ودنانير، ومناديل، والذي بعد الألف منه حرفان قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾ [الحج: ٤٠] لأنَّ بعد الألف حرفين، وكذلك قوله: ﴿وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠] والذي بعد الألف منه حرف مُشَدَّد: شَوَابّ ودَوَابّ.

وقال خلف: سمعت يحيى بنَ آدم يحدِّث عن ابن إدريس قال: في المصاحف الأُوَل الحرفُ الأوَّل[(٣)] والثاني بغير ألف؛ فهذا حُجَّةٌ لمذهب حمزة. وقال خلف: رأيت في مصحفٍ ينسب إلى قراءة ابنِ مسعود الأولَ بالألف، والثانيَ بغير ألف.

وأما أَفْعَل مِنْك، فلا يقول أحدٌ من العرب في شِعره ولا في غيره: هو أفعل منك، منوَّنًا؛ لأنَّ «مِن» تقوم مَقامَ الإضافة، فلا يُجمعُ بين تنوين وإضافةٍ في حرف؛

---

(١) شرح ديوان لبيد ص٣٢٠ . فضلاً: رغبة في الفضل. وذو كرم: أي: ومنا ذو كرم.

(٢) في (د): لتوقف، وفي (م): ليوقف، وفي (ي): ليوفق، والمثبت من (ز) و(ظ)، وهو الموافق لما في المطبوع من الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/ ٣٦٩ ، والكلام منه.

(٣) بعدها في (د) و(م): بالألف، وهو خطأ.

لأنهما دليلان من دلائل الأسماء، ولا يجمع بين دليلين؛ قاله الفرَّاء وغيره[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ جمع غُلّ، تُغَلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم. وعن جُبَير بن نُفَير، عن أبي الدرداء كان يقول: اِرفعوا هذه الأيديَ إلى الله جلَّ ثناؤه قبل أن تُغلَّ بالأغلال. قال الحسن: إنَّ الأغلال لم تُجعل في أعناق أهل النار لأنهم أعجزوا الربَّ سبحانه، ولكن إذا طغى [بهم اللهب، أرسبتهم في النار][٢]. ﴿وَسَعِيرًا﴾ تقدَّم القولُ فيه[٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ الأبرار: أهل الصِّدق، واحدهم بَرٌّ، وهو مَن امتثل أمرَ الله تعالى. وقيل: البَرّ: الموحِّد، والأبرار: جمع بارّ، مثل: شاهد وأشهاد، وقيل: هو جمع بَرّ، مثل: نَهْر وأنهار؛ وفي الصحاح[٤]: وجمع البَرّ: الأبرار، وجمع البارّ: البَرَرة، وفلان يَبَرُّ خالقَه وَيَتَبرَّرُه، أي يُطِيعه، والأمُ بَرَّةٌ بولدها.

وروى ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «إنما سمَّاهم اللهُ جلَّ ثناؤه الأبرار؛ لأنهم بَرُّوا الآباء والأبناء، كما أنَّ لوالدك عليك حقًّا، كذلك لولدك عليك حقًّا»[٥].

---

(١) نقله المصنف عن الوقف والابتداء ١/ ٣٧٠ . والكلام بتمامه فيه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١٧٠ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٤٤ ، وما بين حاصرتين منهما. ووقع في (ظ) و(م): ... ولكن إذلالاً.

(٣) ١٣/ ١٧٩ - ١٨٠ .

(٤) مادة (برر)، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٧ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٧ .

(٥) أخرجه ابن عدي في الكامل ٤/ ١٦٣٠ من طريق عبيد الله بن الوليد الوصَّافي وقال: لا يتابع عليه. وأخرجه من هذا الطريق البخاري في الأدب المفرد (٩٤)، وابن أبي حاتم ٣/ ٨٤٦ (٤٦٨٠) موقوفاً. قال ابن كثير عند تفسير الآية (١٩٨) من سورة آل عمران: والموقوف أشبه، والله أعلم. وقال السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١١٣ : والموقوف أصح.

وقال الحسن: البَرّ: الذي لا يؤذي الذَّرّ[(١)]. وقال قتادة: الأبرار: الذين يؤدُّون حقَّ الله ويوفون بالنَّذْر[(٢)]. وفي الحديث: «الأبرار الذين لا يؤذون أحدًا»[(٣)].

﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ أي: من إناء فيه الشراب. قال ابن عباس: يريد الخمر. والكأس في اللغة: الإناء فيه الشراب، وإذا لم يكن فيه الشراب لم يُسمَّ كأسًا[(٤)]. قال عمرو بن كُلْثوم:

صَبَنْتِ[(٥)] الكأسَ عنَّا أُمَّ عَمرٍو ... وكان الكأسُ مَجراها اليمينا

وقال الأصمعيّ: يقال: صَبَنْتَ عنّا الهديةَ أو ما كان من معروف تَصْبِنُ صَبْنًا: بمعنى كَفَفْتَ؛ قاله الجوهري.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي: شَوْبُها وخِلْطُها؛ قال حسَّان:

كأنَّ سَبيئةً من بيتِ رأسٍ ... يكون مِزاجُها عسلٌ وماءُ[(٦)]

ومنه مِزاج البدن، وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء، والحرارة والبرودة.

﴿كَافُورًا﴾ قال ابن عباس: هو اسم عينِ ماءٍ في الجنة، يقال له: عين الكافور. أي: يمازجه ماءُ هذه العينِ التي تسمَّى كافورًا. وقال سعيد عن قتادة: تُمزَج لهم بالكافور وتُختَم بالمسك. وقاله مجاهد. وقال عِكرمة: مِزَاجها طعمها[(٧)]. وقيل: إنما

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٣/ ٨٤٦ (٤٦٨١).

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٦٥ .

(٣) لم نقف عليه.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥٨ .

(٥) في (ظ): صددت، وهو موافق لما في شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ص٩١ ، وشرح التبريزي ص٢٥٦ . والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في شرح الزوزني ١١٩ ، والصحاح (صبن).

(٦) الديوان ص٨ ، والخزانة ٩/ ٢٢٤ . قال البغدادي: السبيئة: الخمر التي تُسبأ، أي: تشترى. وبيت رأس: موضع. وقيل: بيت: موضع الخمر، ورأس: اسم للخمَّار. وقيل: الرأس هنا بمعنى الرئيس، أي: من بيت رئيس. قال اللخمي: وهذا أحسن الأقوال.

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٧ ، وقول قتادة أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٣٩ .

الكافور في ريحها لا في طعمها(١). وقيل: أراد كالكافور في بياضه وطيبِ رائحته وبَرْده؛ لأن الكافور لا يشرب؛ كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦] أي: كنارٍ. وقال ابن كَيْسان: طُيِّب بالمسك والكافور والزَّنجبيل(٢). وقال مقاتل: ليس بكافور الدنيا. ولكن سمَّى اللهُ ما عنده بما عندكم حتى تهتديَ لها القلوب(٣). وقوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ «كان» زائدة، أي: مِن كأسٍ مِزاجُها كافورٌ.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ قال الفرَّاء(٤): إنَّ الكافور اسمٌ لعين ماءٍ في الجنة؛ فـ«عَيْنًا» بدل من «كافور» على هذا. وقيل: بدل من «كأس» على الموضع. وقيل: هي حال من المضمَر في «مِزاجها». وقيل: نصب على المدح؛ كما يُذكَر الرَّجلُ فتقول: العاقلَ اللبيبَ، أي: ذكرتم العاقلَ اللبيبَ؛ فهو نصب بإضمار: أعني. وقيل: يشربون عينًا(٥). وقال الزجَّاج(٦): المعنى: مِن عين.

ويقال: كافور وقافور. والكافور أيضًا: وعاء طلع النخل، وكذلك الكُفُرَّى؛ قاله الأصمعيّ.

وأما قولُ الراعي:

تَكسو المفارِقَ واللَّبَّاتِ ذا أَرَجٍ ... مِن قُصْبِ مُعْتَلِفِ الكافورِ دَرَّاجِ

فإنَّ الظَّبي الذي يكون منه المسك إنما يرعى سُنبل الطِّيب، فجعله كافورًا(٧).

---

(١) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٧ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٧ .

(٣) ذكر قوله مختصراً الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٠٠ ، وينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٠ .

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢١٥ ، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩ .

(٥) هذه الأقوال في معاني القرآن للأخفش ٢/ ٧٢٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٧ - ٩٨ ، والكشاف ٤/ ١٩٦ .

(٦) في معاني القرآن ٥/ ٢٥٨ .

(٧) الصحاح (كفر)، وبيت الراعي في ديوانه ص٣٢ . اللَّبَّات: جمع لَبَّة: وهو المنحر. القُصْب: المِعَى. الأرَج: الطيّب الرائحة. دَرَّاج: يذهب ويجيء. قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ١/ ٤١٧: أراد المسك، فجعله من قُصب ظبي المسك.

﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال الفرَّاء[١]: يشرب بها ويشربها سواءٌ في المعنى، وكأنَّ «يشرب بها» يَرْوَى بها ويَنْقَع[٢]؛ وأنشد:

شَرِبْنَ بماء البحرِ ثم ترفَّعتْ ... متى لُجَجٍ خُضْرٍ لهُنَّ نَئيجُ[٣]

قال: ومثله: فلان يتكلَّم بكلام حسن، ويتكلَّم كلامًا حسنًا. وقيل: المعنى: يشربها، والباء زائدة[٤]. وقيل: الباء بدل «مِن»، تقديره: يشرب منها؛ قاله القُتَبيّ[٥].

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ فيقال: إنَّ الرجل منهم ليَمشي في بيوتاته ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيبٌ يشير به إلى الماء، فيجري معه حيثما دار في منازله على مستوى الأرض في غير أخدود، ويتبعه حيثما صعد إلى أعلى قصوره؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: يُشقِّقونها شَقًّا، كما يفجِّر الرجلُ النهرَ هاهنا وهاهنا إلى حيث يريد.

وعن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد[٦]: «يُفَجِّرُونَها تَفْجِيرًا»: يقودونها حيث شاؤوا، وتتبعهم؛ حيثما مالوا مالت معهم.

وروى أبو مقاتل عن صالح بن سعيد، عن أبي سهل، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أربع عيون في الجنة: عينان تجريان من تحت العرش، إحداهما التي ذكر اللهُ: «يُفَجِّرُونها تَفْجِيرًا»، والأخرى [الزنجبيل]، والأخريان نَضَّاختان من فوق العرش، إحداهما التي ذَكَرَ الله: «سَلْسَبِيلًا»، والأخرى التَّسْنيم». ذكره الترمذيُّ

---

(١) في معاني القرآن ٣/ ٢١٥.

(٢) في مختار الصحاح: نقع بالماء: رَوِيَ، وشَرِبَ حتى نقع، أي: شفى غليله.

(٣) قائله أبو ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١/ ٥٢، والخزانة ٣/ ١٩٣ (دار صادر). قال البغدادي: متى لجج، أي: من لجج، أو في لجج، أو وسط لجج. ونئيج: مرٌّ سريع.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٠.

(٥) في تأويل مشكل القرآن ص٤٣٠.

(٦) أخرج قوله الطبري ٢٣/ ٥٤٠ بنحوه.

الحكيم في «نوادر الأصول»[(١)]؛ وقال: فالتسنيم للمقرَّبين خاصَّةً شربًا لهم، والكافور للأبرار شرباً لهم؛ يُمزج للأبرار من التسنيم شرابُهم، وأما الزنجبيل والسلسبيل فللأبرار منها مِزاج. هكذا ذكره في التنزيل، وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شِرْب، فما كان للأبرار مزاج، فهو للمقرَّبين صِرف، وما كان للأبرار صِرف، فهو لسائر أهل الجنة مِزاج. والأبرار هم الصادقون، والمقرَّبون هم الصِّدِّيقون.

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ أي: لا يُخلِفون إذا نَذَروا. وقال مَعْمَر عن قتادة: بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحجِّ والعُمْرة وغيره من الواجبات[(٢)]. وقال مجاهد وعكرمة: يوفون إذا نذروا في حقِّ الله جلَّ ثناؤه[(٣)]. وقال الفرَّاء[(٤)] والجرجاني: وفي الكلام إضمار، أي: كانوا يوفون بالنذر في الدنيا. والعرب قد تزيد مرة «كان» وتحذف أخرى.

والنذر: حقيقته ما أوجبه المكلَّف على نفسه من شيء يفعله. وإن شئت قلت في حَدِّه: النذر: هو إيجاب المكلَّف على نفسه من الطاعات ما لو لم يوجبه لم يَلْزمه.

وقال الكَلْبيّ: «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» أي: يتمِّمون العهود[(٥)]. والمعنى واحد؛ وقد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] أي: أعمال نسكهم التي ألزموها أنفسَهم بإحرامهم بالحجّ. وهذا يقوِّي قولَ قتادة، وأنَّ النذر يندرج فيه ما

(١) لم نقف عليه في المطبوع منه، وقد ذكره المصنف في التذكرة ص٥٠٧ ونسبه أيضاً للحكيم الترمذي في نوادر الأصول في الأصل التاسع والثمانين، ونقل كلامه الآتي. وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٠١ وعزاه لنوادر الأصول أيضاً، وما بين حاصرتين منه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤١ - ٥٤٢ ، وذكره البغوي ٤/ ٤٢٨ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٨ .

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢١٦ .

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٦٦ بنحوه.

التزمه المرءُ بإيمانه مِن امتثال أمر الله؛ قاله القُشيري.

وروى أشهب عن مالك أنه قال: «يوفُون بالنَّذْرِ»: هو نذر العتق والصيام والصلاة. وروى عنه أبو بكر بن عبد العزيز قال: قال مالك: «يوفُون بالنَّذْر» قال: النذر هو اليمين(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ﴾ أي: يحذرون ﴿يَوْمًا﴾ أي: يوم القيامة. ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ أي: عاليًا داهيًا فاشيًا، وهو في اللغة: ممتَدًّا، والعرب تقول: استطار الصَّدع في القارورة والزُّجاجة واستطال: إذا امتدَّ(٢)؛ قال الأعشى:

وبانتْ وقد أَسأَرتْ(٣) في الفؤا ... د صَدْعًا على نأْيها مستطيرا

ويقال: استطار الحريق: إذا انتشر. واستطار الفجر: إذا انتشر الضوء(٤).

وقال حسان:

وهانَ على سَرَاة بني لُؤَيٍّ ... حريقٌ بالبُوَيرة مستطيرُ(٥)

وكان قتادة يقول: استطار واللهِ شرُّ ذلك اليوم حتى ملأ السماواتِ والأرض(٦).

وقال مقاتل: كان شرُّه فاشيًا في السماوات فانشقَّت، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وفي الأرض نُسِفت الجبالُ وغارت المياه(٧).

قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: على قِلَّته وحبِّهم

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٥ .

(٢) الكلام في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٦ بنحوه.

(٣) في (د) وتفسير الطبري ٢٣/ ٥٤٣ : أثارت، وفي الديوان ص١٤٣ : أورثت، والمثبت من (ظ) و(م) وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وأَسْأَرَتْ، أي: أَبْقَتْ .

(٤) تفسير غريب القرآن ص٥٠٢ ، وينظر الصحاح (طير).

(٥) الديوان ص١١٠ . وسلف ٢٠/ ٣٤١ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٢ .

(٧) الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٠ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٢٨ .

إيَّاه وشهوتِهم له. وقال الداراني: على حبِّ الله[١]. وقال الفُضَيل بن عِياض: على حبِّ إطعام الطعام. وكان الربيع بن خُثَيم إذا جاءه السائل قال: أطعموه سُكَّرًا، فإنَّ الربيع يحبُّ السُّكَّر[٢].

﴿مِسْكِينًا﴾ أي: ذا مسكنة. وروى أبو صالح عن ابن عباس قال: هو الطوَّاف يسألك مالَك.

﴿وَيَتِيمًا﴾ أي: من يتامى المسلمين. وروى منصور عن الحسن: أنَّ يتيمًا كان يحضر طعامَ ابن عمر، فدعا ذات يوم بطعامه، وطلب اليتيمَ فلم يجده، وجاءه بعد ما فرغ ابن عمر من طعامه، فلم يجد الطعام، فدعا له بسَوِيق وعسل؛ فقال: دونَك هذا، فوالله ما غُبِنتَ؛ قال الحسن وابن عمر: والله ما غُبِن.

﴿وَأَسِيرًا﴾ أي: الذي يؤسر فيحبس. فروى أبو صالح عن ابن عباس قال: الأسير من أهل الشِّرك يكون في أيديهم. وقاله قتادة. وروى ابن أبي نَجيح عن مجاهد قال: الأسيرُ هو المحبوس[٣]. وكذا قال سعيد بن جُبير وعطاء: هو المسلم يُحبس بحقٍّ[٤]. وعن سعيد بن جبير مثل قول قتادة وابنِ عباس. قال قتادة: لقد أمَرَ الله بالأسرى أن يُحسَنَ إليهم، وإنَّ أسراهم يومئذ لأهلُ الشِّرك، وأخوك المسلم أحقُّ أن تطعمه[٥]. وقال عِكرمة: الأسير العبد[٦]. وقال أبو حمزة الثُّمَالي: الأسير المرأة، يدلُّ عليه قولُه عليه الصلاة والسلام: «استوصوا بالنساء خيرًا، فإنهنَّ عَوَانٍ عندكم»[٧] أي: أسيرات.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٤٠١ - ٤٠٢، وأبو نعيم في الحلية ٢/ ١١٥.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٤ - ٥٤٥.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٨ بنحوه.

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٤.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٦٦.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤١١، والحديث أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (١٨٥١) من حديث عمرو بن الأحوص ﷺ. وقوله منه: «استوصوا بالنساء خيراً» أخرجه البخاري (٥١٨٦)، ومسلم (١٤٦٨) من حديث أبي هريرة ﷺ. وسلف ٣/ ٩٤.

وقال أبو سعيد الخُدري: قرأ رسول الله ﷺ: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا» فقال: «المسكين: الفقير، واليتيم: الذي لا أب له، والأسير: المملوك والمسجون» ذكره الثعلبي.

وقيل: نَسَخَ إطعامَ المسكين آيةُ الصَّدقات؛ وإطعامَ الأسير السيفُ؛ قاله سعيد بن جُبير[١]. وقال غيره: بل هو ثابتُ الحكم، وإطعام اليتيم والمسكين على التطوُّع، وإطعام الأسير لحفظ نفسه، إلَّا أن يتخيَّرَ فيه الإمام.

الماورديُّ[٢]: ويحتمل أن يريد بالأسير الناقصَ العقل؛ لأنه في أَسْر خَبْله وجنونه، وأسرُ المشرك انتقام يقف على رأي الإمام؛ وهذا بِرٌّ وإحسان.

وعن عطاء قال: الأسير من أهل القِبلة وغيرهم[٣].

قلت: وكأنَّ هذا القولَ عامٌّ يجمع جميع الأقوال، ويكون إطعام الأسير المشرك قُربةً إلى الله تعالى، غير أنه من صدقة التطوع، فأما المفروضةُ فلا. والله أعلم. ومضى القولُ في المسكين واليتيم والأسير واشتقاقِ ذلك من اللغة في «البقرة» مستوفًى، والحمد لله[٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: يقولون بألسنتهم للمسكين واليتيم والأسير: «إِنَّما نُطْعمكم» في الله جلَّ ثناؤه فزعًا من عذابه وطمعًا في ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ أي: مكافأة ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ أي: ولا أن تُثْنُوا علينا بذلك؛ قال ابن عباس: كذلك كانت نيَّاتهم في الدنيا حين أَطعموا. وعن سالم، عن مجاهد قال: أما إنهم ما تكلَّموا به، ولكن عَلِمه الله جلَّ ثناؤه منهم، فأثنى به عليهم؛ ليرغب في ذلك راغب. وقاله سعيد بن جُبير[٥]، حكاه عنه القُشيريّ.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٦ ، وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠ .

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٦٧ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٤٥ .

(٤) ٢/ ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٩ .

(٥) أخرج قولهما الطبري ٢٣/ ٥٤٦ .

وقيل: إنَّ هذه الآيةَ نزلت في مُطْعِم بن ورقاء الأنصاريِّ؛ نذرَ نذرًا فوفَّى به[١].

وقيل: نزلت فيمن تكفَّل بأسرى بدر، وهم سبعة من المهاجرين: أبو بكر، وعمر، وعليّ، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد[٢]، وأبو عبيدة ﷺ؛ ذكره الماورديّ.

وقال مقاتل: نزلت في رجل من الأنصار؛ أطعم في يوم واحد مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا[٣].

وقال أبو حمزة الثُّمَالي: بلغني أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، أطعمني فإني واللهِ مجهود؛ فقال: «والذي نفسي بيده ما عندي ما أُطعمك، ولكن اطلب». فأتى رجلًا من الأنصار وهو يتعشَّى مع امرأته، فسأله، وأخبره بقول النبيِّ ﷺ؛ فقالت المرأة: أطعمه واسقِه. ثم أتى النبيَّ ﷺ يتيمٌ فقال: يا رسول الله، أطعمني فإني مجهود. فقال: «ما عندي ما أطعمك، ولكن اطلب» فاستطعم ذلك الأنصاريَّ، فقالت المرأة: اطعمه واسقِه، فأطعمه. ثم أتى النبيَّ ﷺ أسير فقال: يا رسول الله أطعمني فإني مجهود. فقال: «والله ما معي ما أطعمك، ولكن اطلب» فجاء الأنصاريَّ فطلب، فقالت المرأة: أطعمه واسقِه. فنزلت: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ذكره الثعلبيّ. وقال أهل التفسير: نزلت في عليٍّ وفاطمة رضي الله عنهما وجاريةٍ لهما اسمُها فضة.

قلت: والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار، ومَن فعل فعلًا حسنًا؛ فهي عامَّة. وقد ذكر النقَّاش والثَّعلبيُّ والقشيريُّ وغير واحدٍ من المفسِّرين في قصة عليٍّ وفاطمة وجاريتهما حديثًا لا يصحُّ ولا يثبت، رواه ليث عن مجاهد، عن ابن عباس في قوله

(١) نسبه الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٦٨ لجابر.

(٢) في النكت والعيون ٦/ ١٦٧ : وسعيد، وهي غير واضحة في (ي).

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٨، وأورده أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٣٢، وذكر أن الأنصاريَّ هو أبو الدحداح.

عزَّ وجلَّ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال: مرض الحسن والحسين فعادهما رسولُ الله ﷺ، وعادهما عمومة العرب؛ فقالوا: يا أبا الحسن ـ ورواه جابر الجُعْفيُّ عن قَنْبَر مولى عليٍّ قال: مرض الحسن والحسين حتى عادهما أصحاب رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر ﷺ: يا أبا الحسن. رجع الحديث إلى حديث ليث بن أبي سُليم ـ لو نذرتَ عن ولدك نذرًا[1]، وكلُّ نذر ليس له وفاء فليس بشيء. فقال ﷺ: إنْ بَرأَ ولدي[2]، صمت لله ثلاثةَ أيام شكرًا. وقالت جارية لهم نوبيَّة: إن بَرأَ سيِّداي، صمت لله ثلاثة أيام شكرًا. وقالت فاطمة مثلَ ذلك. وفي حديث الجُعْفي: فقال الحسن والحسين: علينا مثلُ ذلك. فأُلْبِس الغلامان العافية، وليس عند آل محمد قليلٌ ولا كثير، فانطلق عليٌّ إلى شمعون بن حاريا[3] الخيبريّ، وكان يهوديًّا، فاستقرض منه ثلاثة أَصْوُع[4] من شعير، فجاء به، فوضعه ناحيةَ البيت، فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته، وصلَّى عليٌّ مع النبيِّ ﷺ، ثم أتى المنزل، فوُضع الطعامُ بين يديه. وفي حديث الجُعْفيّ: فقامت الجارية إلى صاع من شعير فخبزت منه خمسة أقراص، لكل واحدٍ منهم قرص، فلما مضى صيامهم الأوَّل، وضع بين أيديهم الخبز والملح الجريش؛ إذ أتاهم مسكين، فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهلَ بيت محمد. في حديث الجُعْفي: أنا مسكين من مساكين أمة محمدٍ ﷺ، وأنا والله جائع؛ أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة. فسمعه عليٌّ ﷺ، فأنشأ يقول:

فاطمَ[5] ذاتَ الفضل[6] واليقينْ   يا بنتَ خير الناس أجمعينْ

(١) في (م): ولديك شيئاً، وفي نوادر الأصول ص٦٤: ولديك نذراً.

(٢) في (م): ولداي.

(٣) في (د): جبار، وفي (ظ): جابر، وفي (ز) و(ي): جار. والمثبت من (م).

(٤) في النسخ الخطية: آصع.

(٥) في (د) و(ز) و(ي): أفاطم، وفي (ظ): أفاطمة.

(٦) في النسخ الخطية: السداد.

أما تَرَينَ البائسَ المسكين قد قام بالباب له حنين
يشكو إلى الله ويستكين يشكو إلينا[1] جائعٌ حزين
كلُّ امرئٍ بكسبه رهين وفاعلُ الخيرات يستبين[2]
موعدُنا جنةُ علِّيين حرَّمها اللهُ على الضَّنين
وللبخيل موقفٌ مهين تَهوي به النار إلى سجِّين
شرابه الحميم والغِسْلين من يفعلِ الخيرَ يقم سمين
ويدخلِ الجنة أيَّ حِين

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أمرُكَ عندي يا ابنَ عمٍّ طاعهْ ما بيَ من لؤْم ولا وَضاعهْ
عَدَلتُ[3] في الخبز له صناعه أُطعِمه ولا أُبالي السَّاعه
أرجو إذا أَشبعتُ ذا المجاعه أنْ أَلحقَ الأخيارَ والجماعه
وأدخلَ الجنةَ لي شفاعه

فأطعموه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئًا إلَّا الماءَ القَرَاح، فلما أن كان في اليوم الثاني، قامت إلى صاع فطحنته واختبزته، وصلَّى عليٌّ مع النبيِّ ﷺ، ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين أيديهم؛ فوقف بالباب يتيم فقال: السلام عليكم أهلَ بيتِ محمد، يتيمٌ من أولاد المهاجرين، استشهد والدي يومَ العَقَبة. أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة. فسمعه عليٌّ فأنشأ يقول:

فاطمَ بنتَ السَّيدِ الكريمْ بنتَ نبيٍّ ليس بالزَّنيمْ[4]

---

(١) في (د) و(ي): إليها، وفي (ز) و(ظ): إلى الله.

(٢) في النسخ الخطية: وفاعل الخير سيستبين.

(٣) في (د) و(ز) و(ي): عديت، وفي (م): غديت.

(٤) الزنيم: المستلحقَ في قوم ليس منهم، والدَّعي، واللئيم المعروف بلؤمه أو شره. القاموس (زنم).

لـقـد أتـى الـلـهُ بـذي الـيـتـيـم مَـن يَـرحـم الـيـومَ يـكـن رحـيـم
ويـدخـل الـجـنـة أي سـلـيـم قـد حـرَّم الـجـنـةَ لـلَّـئـيـم[١]
ألَّا يـجـوزَ الـصـراطَ الـمـسـتـقـيـم يـزلُّ فـي الـنـار إلـى الـجـحـيـم
شـرابُـه الـصـديـدُ والـحـمـيـم

فأنشأت فاطمة رضي الله عنها تقول:

أُطـعِـمـه الـيـوم ولا أبـالـي وأوثـر الـلـه عـلـى عـيـالـي
أَمـسَـوا جـيـاعًـا وهُـم أَشْـبـالـي أصـغـرهـم يُـقـتَـلُ فـي الـقـتـال
بِـكَـرْبَـلَا يُـقـتَـلُ بـاغـتـيـال يـا ويـل لِـلـقـاتـل مـعْ وبـال
تَـهـوي بـه الـنـارُ إلـى سَـفَـال وفـي يـديـه الـغُـلُّ والأغـلال
كُـبُـولـةٌ زادت عـلـى الأكـبـال

فأطعموه الطعام، ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئًا إلَّا الماء القَرَاح[٢]؛ فلمَّا كانت في اليوم الثالث، قامت إلى الصاع الباقي فطحنته واختبزته، وصلَّى عليٌّ مع النبيِّ ﷺ، ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين أيديهم؛ إذ أتاهم أسيرٌ، فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهلَ بيت محمد، تأسِروننا وتَشُدُّوننا ولا تُطْعِموننا! أطعموني فإنِّي أسيرُ محمد. فسمعه عليٌّ فأنشأ يقول:

فـاطـمُ[٣] يـا بـنـتَ الـنـبـيِّ أحـمـدْ بـنـت نـبـيٍّ سـيِّـدٍ مُـسـوَّدْ
سـمَّـاه[٤] الـلـه فـهـو مـحـمـد قـد زانـه الـلـه بـحُـسْـنٍ أغـيـد
هـذا أسِـيـرٌ لـلـنـبـي الـمـهـتـد مُـثـقَّـلٌ فـي غُـلِّـه مُـقـيَّـد

---

(١) في (م): قد حرم الخلد على اللئيم. وليس بشيء.
(٢) أي: الذي لا يشوبه شيء. الصحاح (قرح).
(٣) في (د) و(ز) و(ي): أفاطم.
(٤) في (م): وسماه.

يشكو إلينا الجوعَ قد تمدَّد | من يُطعمِ اليومَ يجِده في غد
عند العليِّ الواحد الموحَّد | ما يزرع الزارعُ سوف يَحصُد
أعطيه لا لا تجعليه أقعد

فأنشأت فاطمة رضي الله تعالى عنها تقول:

لم يَبْقَ ممَّا جاء غيرُ صاعْ | قد ذهبت كفِّي مع الذِّراعْ
ابناي والله هُما جِياع | يا ربِّ لا تتركهما ضِياع
أبوهما للخير ذو اصطناع[1] | يَصطنع المعروفَ بابتداع
عَبْلُ[2] الذِّراعين شديدُ الباع | وما على رأسيَ مِن قِناع
إلَّا قناعًا نَسْجُه أنْساع[3]

فأعطوه الطعام، ومكثوا ثلاثة أيام ولياليَها لم يذوقوا شيئًا إلَّا الماء القَرَاح، فلما أن كان في اليوم الرابع، وقد قضى اللهُ النذر، أخذ عليٌّ بيده اليمنى الحسنَ، وبيده اليسرى الحسين، وأقبل نحو رسول الله ﷺ وهم يرتعشون كالفراخ من شدَّة الجوع؛ فلمَّا أبصرهم رسولُ الله ﷺ قال: «يا أبا الحسن! ما أشدَّ ما يسوؤني ما أرى بكم، انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة». فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لَصِقَ بطنها بظهرها، وغارت عيناها من شدة الجوع، فلما أن رآها رسولُ الله ﷺ وعرف المجاعة في وجهها، بكى وقال: «واغوثاه يا الله، أهلُ بيت محمدٍ يموتون جوعًا». فهبط جبريل عليه السلام وقال: السلام عليك، ربُّك يقرئك السلام يا محمد، خذه هنيئًا في أهل بيتك. قال: «وما آخذ يا جبريل؟» فأقرأه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ إلى

---

(١) في (د) و(ز) و(ظ): هو صناع، والبيت ساقط من (ي).

(٢) أي: ضخمهما. الصحاح (عبل).

(٣) في (د): بساع، وفي (ظ): سباع، وفي (ز) و(ي): نساع، والمثبت من (م)، والأنساع: جمع نِسْع: سَيْر ينسج عريضاً على هيئة أعنة النعال، تشد به الرحال. القاموس (نسع).

قوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

قال الترمذيُّ الحكيم أبو عبد الله في «نوادر الأصول»(١): فهذا حديثٌ مُزوَّق مُزيَّف، قد تَطرَّف فيه صاحبه حتى تَشبَّه على المستمعين، فالجاهل بهذا الحديث يَعَضُّ شفتيه تلهُّفًا ألَّا يكونَ بهذه الصفة، ولا يعلمُ أنَّ صاحب هذا الفعل مذموم؛ وقد قال الله تعالى في تنزيله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة:٢١٩]، وهو الفضل الذي يَفْضُل عن نفسك وعيالك، وجرت الأخبار عن رسول الله ﷺ متواترة بأنَّ «خير الصدقة ما كان عن ظهر غِنًى»(٢) «وابدأ بنفسك ثم بمن تعول»(٣) وافترض الله على الأزواج نفقةَ أهاليهم وأولادِهم. وقال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيِّع مَن يَقُوت»(٤)، أفيحسب عاقلٌ أنَّ عليًّا جهل هذا الأمرَ، حتى أجهد صبيانًا صغارًا من أبناء خمسٍ أو ستٍّ على جوع ثلاثة أيام ولياليهنّ، حتى تَضوَّروا من الجوع، وغارت العيون منهم؛ لخَلاء أجوافهم، حتى أبكى رسولَ الله ﷺ ما بهم من الجهد. هَبْ أنه آثَرَ على نفسه هذا السائلَ، فهل كان يجوز له أن يَحْمِلَ أهله على ذلك؟! وهَبْ أنَّ أهله سمحت بذلك لعليّ، فهل جاز له أن يحمل على أطفاله جوعَ ثلاثةِ أيامٍ بلياليهنّ؟! ما يروج مثلُ هذا إلَّا على حَمْقى جهَّال؛ أبى الله لقلوب متنبهة أن تظنَّ بعليٍّ مثلَ هذا. وليت شعري! مَن حفظ هذه الأبياتَ كلَّ ليلة عن عليٍّ

(١) ص٦٥ .

(٢) قطعة من حديث أبي هريرة ﷺ أخرجه أحمد (٧٧٤١)، والبخاري (١٤٢٦). وسلف ٣/ ٤٤٧ .

(٣) قال ابن حجر في التلخيص الحبير ٢/ ١٨٤ : لم أره هكذا، بل في الصحيحين من حديث أبي هريرة: «... وابدأ بمن تعول» ولمسلم عن جابر في قصة المدبر في بعض الطرق: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك». اهـ.

وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٧١٥٥)، والبخاري (١٤٢٦)، ومسلم (١٠٤٢)، وسلف ٦/ ٤٠ .
وحديث جابر أخرجه أحمد (١٤٩٧٠)، ومسلم (٩٩٧).

(٤) أخرجه أحمد (٦٤٩٥)، وأبو داود (١٦٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وسلف ٥/ ٢٢٥.

وفاطمة، وإجابةَ كلٍّ واحدٍ منهما صاحبَه، حتى أدَّاه إلى هؤلاء الرُّواة؟! فهذا وأشباهه من أحاديث أهل السُّجونِ فيما أرى. بلغني أنَّ قوماً يُخلَّدون في السجون فيبقون بلا حيلة، فيكتبون أحاديثَ في السَّمَر وأشباهه، ومثل هذه الأحاديثِ مفتعلة، فإذا صارت إلى الجهابذة رمَوا بها وزَيَّفوها، وما من شيء إلَّا وله آفةٌ ومكيدة، وآفة الدِّين وكَيْده أكثر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ «عَبُوسًا» من صفة اليوم، أي: يومًا تَعْبِس فيه الوجوه مِن هوله وشدَّته، فالمعنى: نخاف يومًا ذا عُبوس. وقال ابن عباس: يَعْبِس الكافر يومئذ حتى يسيلَ منه عرَقٌ كالقَطِران. وعن ابن عباس: العَبُوس: الضَّيِّق، والقَمْطَرِير: الطويل[(١)]؛ قال الشاعر:

شديدًا عبوسًا قَمْطَرِيرًا[(٢)]

وقيل: القَمطرير: الشديد؛ تقول العرب: يوم قَمْطرير وقُمَاطِر وعَصِيب بمعنًى؛ وأنشد الفرَّاء[(٣)]:

بني عَمِّنا هل تَذْكُرون بلاءَنا ... عليكم إذا ما كان يومٌ قُمَاطِرُ

بضمِّ القاف. واقْمَطرّ: إذا اشتدّ.

وقال الأخفش: القَمْطرير: أشدُّ ما يكون من الأيام وأطولُه في البلاء[(٤)]؛ قال الشاعر:

---

(١) أخرجهما الطبري ٢٣/ ٥٤٧، ٥٤٩.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٦٧ دون نسبة. وتمامه:

شديداً عبوساً قمطريراً تخاله ... تزول الضحى فيه قرون المناكب

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢١٦، وهو في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٤٧، والصحاح (قمطر).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٩، وقاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٩.

فـفِـرُّوا إذا مـا الـحـربُ ثـار غـبـارهـا ... ولـجَّ بـهـا الـيـومُ الـعَـبُـوسُ الـقُـمـاطِـرُ[(١)]

وقال الكسائي: يقال: اقْمَطَرَّ اليومُ وازْمَهَرَّ اقمطرارًا وازمِهرارًا، وهو القَمْطرير والزَّمْهرير، ويوم مُقْمَطِرّ: إذا كان صعبًا شديدًا؛ قال الهذليّ:

بنو الـحـربِ أُرْضِـعـنـا لـهـم مُـقْـمَـطِـرَّةً ... ومَـن يُـلـقَ مِـنَّـا ذلـك الـيـومَ يَـهـربُ[(٢)]

وقال مجاهد: إنَّ العُبوس بالشفتين، والقَمْطَرير بالجبهة والحاجبين؛ فجعلها من صفات الوجه المتغيِّر من شدائد ذلك اليوم؛ وأنشد ابن الأعرابيّ:

يَـغْـدو عـلـى الـصَّـيـد يـعـودُ مُـنـكـسِـرْ ... ويَـقْـمَـطِـرُّ سـاعـةً ويَـكْـفَـهِـرّ[(٣)]

وقال أبو عبيد[(٤)]: يقال: رجل قَمْطرير، أي: منقبض[(٥)] ما بين العينين.

وقال الزجَّاج[(٦)]: يقال: اقْمَطَرَّت الناقة: إذا رَفَعت ذَنَبها وجَمَعت قُطْرَيها، وزَمَّت بأنفها. فاشتقَّه من القُطْر، وجعل الميم مزيدة. قال أسد بن ناعِصة[(٧)]:

واصـطـلـيـتُ الـحـروبَ فـي كـلِّ يـومٍ ... بـاسـلِ الـشَّـر قَـمْـطَـريـرِ الـصَّـبـاحِ

قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: دفع عنهم ﴿شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ أي: بأسَه وشدَّته وعذابَه ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أي: آتاهم وأعطاهم حين لَقُوه، أي: رأوه ﴿نَضْرَةً﴾ أي: حسناً ﴿وَسُرُورًا﴾ أي: حُبوراً.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١١ .

(٢) البيت لحذيفة بن أنس الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ٣/ ٢٥ ، وروايته: فمَن يُلقَ منا يُلقَ سِيْدٌ مدرَّبُ. قال شارحه: المُقْمَطِرَّة: الكالحة الشنيعة، يقول: أُرضعنا بها وقد تهيأت للشر. السِّيْد في كلام هذيل: الأسد.

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٦٧ .

(٤) في (د) و(ظ) و(م): أبو عبيدة، والمثبت من (ز) و(ي)، وهو الموافق لما في تهذيب اللغة ٩/ ٤٠٨ .

(٥) في (م): متقبض، وفي (ي): مقتبض، وفي تهذيب اللغة: مقبض.

(٦) في معاني القرآن ٥/ ٢٥٩ ، ونقل كلامه الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩٧ .

(٧) التنوخي. شاعر جاهلي قديم. له في أشعاره ألفاظ غريبة وحشية. وكان هو وأهل بيته نصارى. المؤتلف والمختلف للآمدي ص٢٩٩ . والبيت في الكشاف.

قال الحسن ومجاهد: «نَضْرَةً» في وجوههم «وَسُرُورًا» في قلوبهم.

وفي النضرة ثلاثةُ أوجه: أحدها: أنها البياض والنَّقاء؛ قاله الضحَّاك. الثاني: الحُسْن والبهاء؛ قاله ابن جبير. الثالث: أنها أثر النعمة؛ قاله ابن زيد(١).

قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على الفقر(٢). وقال القُرَظيّ: على الصوم. وقال عطاء: على الجوع(٣) ثلاثة أيام، وهي أيام النذْر. وقيل: بصبرهم على طاعة الله(٤)، وصبرِهم عن معصية الله ومحارمه(٥). و«ما»: مصدرية، وهذا على أنَّ الآية نزلت في جميع الأبرار ومَن فعل فعلًا حسنًا.

وروى ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن الصبر فقال: «الصبر أربعة: أوَّلها الصبر عند الصدمة الأولى، والصبر على أداء الفرائض، والصبر على اجتناب محارم الله، والصبر على المصائب»(٦).

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: أدخلهم الجنةَ وألبسهم الحرير. أي: يسمَّى بحرير الدنيا(٧). وكذلك الذي في الآخرة ما شاء الله عزَّ وجلَّ من الفضل. وقد تقدَّم(٨) أنَّ مَن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، وإنما أُلبسه مَن أُلبسه في الجنة عوضًا عن

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٨ - ١٦٨، وقول الحسن أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٥٠.

(٢) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٤٢٩ عن الضحاك.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٩.

(٤) النكت والعيون ٦/ ١٦٨.

(٥) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٠٠ عن قتادة.

(٦) لم نقف عليه، وقوله منه: «الصبر عند الصدمة الأولى» أحمد (١٢٤٥٨)، والبخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦) من حديث أنس ﷺ. وسلف ٢/ ٤٦٣.

(٧) في (ظ): أي بدل حرير الدنيا.

(٨) ١٤/ ٣٤٧.

حبسهم أنفسَهم في الدنيا عن الملابس التي حرَّم الله فيها.

قوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة؛ ونصب «مُتَّكِئِينَ» على الحال من الهاء والميم في «جَزَاهُمْ»، والعامل فيها «جزى» ولا يعمل فيها «صَبَرُوا»؛ لأن الصبر إنما كان في الدنيا، والاتِّكاء في الآخرة[١]. وقال الفرَّاء[٢]: وإن شئت جعلت «مُتَّكِئِينَ» تابعًا، كأنه قال: جزاهم جنةً «مُتَّكئين فيها».

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السُّرُر في الحِجَال[٣]، وقد تقدَّم[٤]. وجاءت عن العرب أسماءٌ تحتوي على صفات: أحدها الأريكة، لا تكون إلَّا في حَجَلة على سرير، ومنها السَّجْل، وهو الدَّلْو الممتلئ ماءً، فإذا صَفِرت لم تُسمَّ سَجْلًا، وكذلك الذَّنُوب لا تُسمَّى ذَنُوبًا حتى تُملأ، والكأس لا تسمى كأسًا حتى تُترَع من الخمر. وكذلك الطَّبَق الذي تُهدى عليه الهدية: مِهْدَى، فإذا كان فارغًا قيل: طَبَق أو خِوان؛ قال ذو الرُّمَّة:

خُدُوداً جَفَتْ في السَّيرِ حتى كأنَّما ... يُباشِرْنَ بالمَعْزاءِ مَسَّ الأرائكِ[٥]

أي: الفرش على السرر.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ أي: لا يرون في الجنة شدَّةَ حرٍّ كحرِّ الشمس ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾

---

(١) الكلام بنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٠ .

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢١٦ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٩ . والحِجال جمع: حَجَلة، وهي بيت يزين بالثياب والأَسِرَّة والستور. الصحاح (حجل).

(٤) ١٣/ ٢٦٨ .

(٥) في النسخ: خدودٌ جفت. . . ، والمثبت من ديوان ذي الرمة، وشرحه ٣/ ١٧٢٩ ، وقبله:

إذا وقَّعوا وهْناً كسَوْا حيث موَّتت ... من الجهد أنفاس الرياح الحواشك

قال شارحه: وهناً: بعد هُدُوٌ من الليل. الحشك: أن تمر الرياح مختلفة مندفعة مجتهدة. جفت في السير، أي: لم تطمئن. وقوله: كأنما يباشرن، يعني الخدود. المَعْزاء: أرض غليظة ذات حصى. يقول: كأنهن إذا وقَّعن على المَعْزَاء وجدن بها مسَّ الأرائك من التعب. أي: ألقَوا أنفسهم بالموضع الذي ماتت الريح فيه، أي: سكنت من الجهد. أي: ألقوا أنفسهم فكانوا كسوة للمكان. وأراد: كسوا خدودهم، أي: صيروا المكان [الذي] ناموا فيه كسوة للخدود.

أي: ولا بردًا مُفْرِطًا؛ قال الأعشى:

مُـنَـعَّـمـةٍ طَـفْـلـةٍ كـالْـمَـهَـا ة لـم تَـرَ شـمـسًـا ولا زَمْـهـريـرا[1]

وعن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتكت النارُ إلى ربِّها عزَّ وجلّ، قالت: يا ربّ! أَكَلَ بعضي بعضًا، فجَعَلَ لها نَفَسَين: نَفَسًا في الشتاء، ونَفَسًا في الصّيف، فشدَّةُ ما تجدون من البرد مِن زمهريرها، وشدَّة ما تجدون من الحرِّ في الصيف من سَمُومها»[2].

وعن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إنَّ هواء الجنة سَجْسَج؛ لا حرٌّ ولا بردٌ»[3] والسَّجْسَج: الظِّلُّ الممتدُّ كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

وقال مُرَّة الهمداني: الزمهرير: البرد القاطع. وقال مقاتل بن حيَّان: هو شيءٌ مثل رؤوس الإبر ينزل من السماء في غاية البرد. وقال ابن مسعود: هو لونٌ من العذاب[4]، وهو البرد الشديد، حتى إنَّ أهل النار إذا أُلقوا فيه سألوا الله أن يعذِّبهم بالنار ألفَ سنة أهونَ عليهم من عذاب الزمهرير يومًا واحدًا. قال أبو النَّجْم:

أو كـنـت ريـحًـا كـنـت زَمْـهـريـرا[5]

وقال ثعلب: الزَّمْهرير: القمر بلغة طيِّئ؛ قال شاعرهم:

ولـيـلـةٍ ظـلامُـهـا قـد اعـتَـكَـرْ قَـطَـعْـتُـهـا والـزَّمْـهـريـرُ مـا زَهَـرْ[6]

---

(١) ديوانه ص١٤٥، وفيه: مبتَّلةِ الخَلْق، مثل المهاة...، وقبله:

فَـبـانَ بـحـسـنـاءَ بـرَّاقـةٍ على أنَّ في الطـرف منـهـا فـتـورا

طفلة: رَخْصة ناعمة. مبتلة الخلق: متناسقة الأعضاء بالغة الحسن. المهاة: بقرة الوحش.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٩٢)، وابن ماجه (٤٣١٩) واللفظ له. وأخرجه أحمد (٧٧٢٢)، والبخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ. وسلف الحديث ١٧/ ٣٧٠ .

(٣) لم نقف عليه مرفوعاً، وقد أخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٢٥)، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٠٠ عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفاً.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٥٢ .

(٥) لم نقف عليه.

(٦) النكت والعيون ٦/ ١٦٩ ، والكشاف ٤/ ١٩٧ ، ووقع في (د)، والنكت والعيون: ما ظهر .

ويروى: ما ظهر، أي: لم يطلع القمر. فالمعنى: لا يرون فيها شمسًا كشمس الدنيا ولا قمرًا كقمر الدنيا، أي: إنهم في ضياء مستديم، لا ليل فيه ولا نهار؛ لأنَّ ضوء النهار بالشمس، وضوء الليل بالقمر. وقد مضى هذا المعنى مجوَّدًا في سورة مريم عند قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [الآية: ٦٢].

وقال ابن عباس: بينما أهل الجنة في الجنة إذ رأوا نوراً ظنُّوه شمسًا، قد أشرقت بذلك النور الجنة، فيقولون: قال ربنا: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ فما هذا النور؟ فيقول لهم رضوان: ليست هذه شمس ولا قمر، ولكنَّ هذه فاطمة وعليٌّ ضحكا، فأشرقت الجِنَان من نور ضحكهما، وفيهما أنزل الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ وأنشد:

أنا مولًى لفتًى أُنْزِلَ فيه هل أتى
ذاك عليٌّ المرتضَى وابنُ عمِّ المصطفَى[1]

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ أي: ظِلُّ الأشجار في الجنة قريبة من الأبرار، فهي مُظِلَّة عليهم زيادةً في نعيمهم، وإن كان لا شمس ولا قمر ثَمَّ؛ كما أن أمشاطهم الذهبُ والفضة، وإن كان لا وسخ ولا شَعَث ثَمَّ. ويقال: إنَّ ارتفاع الأشجار في الجنة مقدار مئة عام، فإذا اشتهى وليُّ الله ثمرتَها تدانت منه حتى يتناولَها.

وانتصب «دانيةً» على الحال عطفًا على «مُتَّكئين» كما تقول: في الدار عبدُ الله متكئًا ومرسَلةً عليه الحِجَال. وقيل: انتصب نعتًا للجنة، أي: وجزاهم جنةً دانيةً، فهي صفةٌ لموصوف محذوف. وقيل: على موضع «لا يرَوْنَ فيها شمسًا ولا زَمْهريرًا» ويرون دانيةً. وقيل: على المدح، أي: دنت دانيةً. قاله الفراء[2]. «ظِلَالُهَا» الظلال مرفوعة بدانية، ولو قُرئ برفع «دانية» على أن تكون الظلال مبتدأً و«دانية» الخبر

(١) خبر واضح البطلان.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢١٦، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٠، ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٤ - ٧٨٥.

لجاز، وتكون الجملة في موضع الحال من الهاء والميم في «وجزاهُمْ». وقد قرئ بذلك[(١)]. وفي قراءة عبد الله: «وَدَانِيًا عَلَيْهِمْ»[(٢)]؛ لتقدُّم الفعل. وفي حرف أُبيّ: «وَدَانٍ»[(٣)] رفع على الاستئناف.

﴿وَذُلِّلَتْ﴾ أي: سُخِّرت لهم ﴿قُطُوفُهَا﴾ أي: ثمارها ﴿تَذْلِيلًا﴾ أي: تسخيرًا، فيتناولها القائمُ والقاعد والمضطجع، لا يَرُدُّ أيديَهم عنها بُعدٌ ولا شوك؛ قاله قتادة. وقال مجاهد: إن قام أحد ارتفعت له، وإن جلس تدلَّت عليه، وإن اضطجع دنت منه فأكل منها[(٤)]. وعنه أيضًا: أرض الجنة من وَرِق، وترابها الزعفران، وطيبها مِسْكٌ أذفر، وأصول شجرها ذهبٌ ووَرِق، وأفنانها اللؤلؤ والزَّبرجد والياقوت، والثمر تحت ذلك كلِّه؛ فمَن أكل منها قائماً لم تؤذِه، ومَن أكل منها قاعدًا لم تؤذِه، ومَن أكل منها مضطجعًا لم تؤذِه[(٥)]. وقال ابن عباس: إذا هَمَّ أن يتناول من ثمارها، تدلَّت إليه حتى يتناولَ منها ما يريد[(٦)].

وتذليل القطوف: تسهيل التناول. والقطوف: الثمار، الواحد: قِطْف، بكسر القاف، سمِّي به لأنه يُقطَف، كما سمِّي الجَنَى لأنه يُجنى. «تَذْلِيلًا» تأكيد لما وُصف به من الذِّلّ؛ كقوله: ﴿وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

الماورديُّ[(٧)]: ويحتمل أن يكون تذليلُ قطوفها أن تَبْرُزَ لهم من أكمامها، وتَخْلُصَ لهم مِن نواها.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٧، والقراءة شاذة.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٦، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠١.

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٦، وإعراب القرآن ٥/ ١٠١.

(٤) أخرجهما الطبري ٢٣/ ٥٥٣ - ٥٥٤.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٩٥.

(٦) الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٣.

(٧) في النكت والعيون ٦/ ١٧٠.

قلت: وفي هذا بُعد؛ فقد روى ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة: جذوعها زُمُرُّد أخضر، وكَرَبُها ذهب أحمر، وَسَعفها كُسْوة لأهل الجنة، منها مُقطَّعاتهم وحُلَلهم، وثمرها أمثال القِلَال والدِّلاء، أشدُّ بياضًا من اللَّبَن، وأحلى من العسل، وألينُ من الزُّبْد، ليس فيه عَجَم[1].

قال أبو جعفر النحَّاس: ويقال: المذلَّل: الذي قد ذلَّله الماءُ، أي: أرواه. ويقال: المذلَّل: الذي يُفَيِّئُه أدنى ريح؛ لنَعْمته، ويقال: المذلَّل: المُسَوَّى؛ لأنَّ أهل الحجاز يقولون: ذَلِّلْ نَخْلك، أي: سَوِّه، ويقال: المُذَلَّل: القريب المتناوَل؛ من قولهم: حائط ذَليلٌ، أي: قصير. قال أبو جعفر: وهذه الأقوال التي حكيناها ذكرها أهل العلم باللغة وقالوها في قول امرئ القيس:

وساقٍ كأُنبوب السَّقيِّ المُذَلَّلِ[2]

قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: يدور على هؤلاء الأبرارِ الخَدَمُ إذا أرادوا الشراب «بآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ». قال ابن عباس: ليس في الدنيا شيءٌ ممَّا

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة (٤٣٨٤) من طريق ابن المبارك بهذا الإسناد. وأخرجه أيضاً ابن أبي شيبة ٢/ ٩٧، وهناد في الزهد (٩٩)، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٢٨ (١٨٧٥٨)، والحاكم ٢/ ٤٧٥ - ٤٧٦ من طرق عن سفيان، به. وأخرجه المروزي في زيادات الزهد (١٤٨٨) عن عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير قال.. ولم يذكر ابن عباس. قال محققه: زاد في (ك): عن ابن عباس. اهـ. وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (٢٠٨٧٠) عن معمر، عن قتادة أو غيره، عن سعيد بن جبير قال.. ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما. الكَرَب، بالتحريك: أصل السَّعَف. وقيل: ما يبقى من أصوله في النخلة بعد القطع. العَجَم، بالتحريك: النوى. النهاية (كرب) (عجم).

(٢) شرح الديوان ص١٧. وصدره: وكشحٍ لطيف كالجديل مخصَّرٍ. قال شارحه: الكشح: الخصر. الجديل: زمام يتخذ من سيور، وهو ليِّن. السقي: النخل المسقي.

في الجنة إلَّا الأسماء، أي: ما في الجنة أشرفُ وأعلى وأنقى. ثم لم تُنْفَ الأواني الذهبية، بل المعنى: يُسقون في أواني الفضة، وقد يسقون في أواني الذهب. وقد قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]. وقيل: نَبَّه بذِكْر الفضَّة على الذهب؛ كقوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد؛ فنبَّه بذكر أحدهما على الثاني.

والأكواب: الكِيزان العِظَام التي لا آذان لها ولا عُرًى، الواحد منها كوب؛ وقال عَدِيّ:

مُتَّكِئًا تُقْرَعُ أبوابُهُ ... يَسعى عليه العبدُ بالكوبِ

وقد مضى في «الزخرف»[(١)].

﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ أي: في صفاء القوارير وبياضِ الفِضَّة؛ فصفاؤها صفاء الزجاج وهي من فضّة. وقيل: أرض الجنة من فضّة، والأواني تتخذ من تربة الأرض التي هي منها. ذكره ابن عباس، وقال: ليس في الجنة شيءٌ إلَّا قد أُعطيتم في الدنيا شِبْهَه، إلَّا القواريرَ من فضة[(٢)]. وقال: لو أخذتَ فضَّةً من فضّة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذُّبَاب، لم تَرَ مِن ورائها الماء، ولكن قوارير الجنة مثل الفضّة في صفاء القوارير[(٣)].

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ قراءة العامة بفتح القاف والدال؛ أي: قَدَّرها لهم السُّقاة الذين يطوفون بها عليهم. قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: أُتوا بها على قَدْر رِيِّهم بغير زيادة ولا نقصان. الكلبي[(٤)]: وذلك ألذُّ وأشهى؛ والمعنى: قدَّرتها الملائكة التي

---

(١) ١٩/ ٨١ - ٨٢ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٣٠١ .

(٣) بعدها في النسخ الخطية: المكاعب. والأثر ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤٣١ ، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ٣٣٨ ، والبيهقي في البعث والنشور (٣٤٨).

(٤) ذكر قوله وقول مجاهد الماوردي في النكت والعيون ٦/ ١٧٠ ، وقول مجاهد أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٥٨ .

تطوف عليهم. وعن ابن عباس أيضًا: قدَّروها على مِلء الكفِّ لا تزيد ولا تنقص، حتى لا تؤذيَهم بثقل أو بإفراطِ صِغَر. وقيل: إنَّ الشاربين قَدَّروا لها مقادير في أنفسهم، على ما اشتهوا وقدَّروا.

وقرأ عبيد بن عمير[١] والشَّعْبيُّ وابن سيرين: «قُدِّروها» بضم القاف وكسر الدال؛ أي: جعلت لهم على قدر إرادتهم. وذكر هذه القراءةَ المهدويُّ عن عليٍّ وابن عباس رضي الله عنهما[٢]؛ وقال: ومَن قرأ: «قُدِّروها» فهو راجعٌ إلى معنى القراءة الأخرى، وكأنّ الأصل: قُدِّروا عليها، فحذف حرف الجر؛ والمعنى قُدِّرت عليهم؛ وأنشد سيبويه:

آلَيْتَ حَبَّ العِراقِ الدَّهرَ آكُلُهُ والحَبُّ يأكله في القرية السُّوسُ[٣]

وذهب إلى أنَّ المعنى: على حَبِّ العراق.

وقيل: هذا التقدير هو أنَّ الأقداح تطير فتغترف بمقدار شهوة الشارب؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا﴾ أي: لا يَفْضُلُ عن الرِّيِّ ولا ينقص منه، فقد أُلْهِمت الأقداحُ معرفةَ مقدار رِيِّ المشتهي حتى تغترف بذلك المقدار. ذكر هذا القولَ الترمذيُّ الحكيم في «نوادر الأصول»[٤].

قوله تعالى: ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا﴾ وهي الخمر في الإناء. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ «كَانَ» صِلَة؛ أي: مزاجها زنجبيل، أو كان في حكم الله زنجبيلًا. وكانت العرب تستلذُّ من الشراب ما يُمزج بالزنجبيل لِطيب رائحتِهِ؛ لأنه يَحْذُو اللسان، ويَهضِم المأكول[٥]،

---

(١) في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠١ - ١٠٢ : عبد الله بن عبيد بن عمير، وينظر القراءات الشاذة ص١٦٦ .

(٢) وذكرها عنهما وعن الشعبي ابن خالويه في القراءات الشاذة.

(٣) قائله المتلمس، وهو في ديوانه ص٩٥ ، وسلف ٤/ ٣١٩ .

(٤) ص٣٣٩ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ١٧٠ ، وقوله: يحذو، أي: يقرص .

فرغبوا في نعيم الآخرة بما اعتقدوه نهايةَ النعمة والطيب.

وقال المسيَّب بن عَلَس[١] يصف ثَغْرَ المرأة:

وكأن طَعْمَ الزنجبيل به إذْ ذُقْتَهُ وسُلَافَةَ الخمرِ[٢]

ويروى: الكَرْم. وقال آخر:

كأنَّ جَنِيًّا مِن الزَّنْجَبيـ ـلِ باتَ بِفِيها وأرْيًا مَشُورا[٣]

ونحُوه قولُ الأعشى:

كأنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبيـ ـلَ باتا بِفيها وأريًا مَشُورا[٤]

وقال مجاهد: الزنجبيل: اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار. وكذا قال قتادة: الزَّنجبيل: اسم للعين التي يشرب بها المقرَّبون صِرفًا، وتُمزج لسائر أهل الجنة[٥]. وقيل: هي عينٌ في الجنة يوجد فيها طعمُ الزنجبيل[٦]. وقيل: إنَّ فيه معنى الشراب الممزوجِ بالزنجبيل. والمعنى: كأنَّ فيها زنجبيلًا.

﴿عَيْنًا﴾ بدل من كأس. ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل، أي: يُسقون عينًا[٧]. ويجوز نصبه بإسقاط الخافض، أي: مِن عين، على ما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الآية: ٦]. ﴿فِيهَا﴾ أي: في الجنة.

﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ السَّلْسبيل: الشراب اللذيذ، وهو فَعْلَلِيل من السَّلَاسة[٨]؛ تقول

(١) هو من شعراء بكر بن وائل المعدودين، وخال الأعشى، يكنى أبا الفضة، واسمه زهير بن علس، وإنما لقب «المسيَّب» ببيت قاله. وهو جاهلي لم يدرك الإسلام. الشعر والشعراء ١/ ١٧٤ .

(٢) الشعر والشعراء، والنكت والعيون ٦/ ١٧١ ، والكشاف ٤/ ١٩٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢ .

(٣) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص١٤٣ ، وفيه: خالط فاها، بدل: بات بفيها. الأري: عسل النحل. شار العسل واشتاره: جمعه.

(٤) الكشاف ٤/ ١٩٨، وينظر ما قبله .

(٥) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦١ ، وقول مجاهد في النكت والعيون ٦/ ١٧٠ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٠ .

(٧) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٥ .

(٨) في (د) و(م): السلالة، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٢ . والكشاف ٤/ ١٩٩ .

العرب: هذا شراب سَلِسٌ وسَلْسَال وسَلْسَلٌ وسَلْسَبِيل بمعنًى؛ أي: طَيِّبُ الطعم لذيذُه. وفي الصحاح[١]: وتسلسل الماء في الحلق: جرى، وسَلْسَلْتُه أنا: صببته فيه، وماء سَلْسَل وسَلْسَال: سهل الدخول في الحلق؛ لعذوبته وصفائه، والسُّلاسل بالضمِّ مثلُه. وقال الزجَّاج[٢]: السَّلْسبيل في اللغة: اسمٌ لما كان في غاية السَّلَاسة؛ فكأنَّ العين سمِّيت بصفتها.

وعن مجاهد قال[٣]: سَلْسَبيلاً: حديدة الجَرْية، تسيل في حلوقهم انسلالًا. ونحوه عن ابن عباس: إنها الحديدة الجَرْي. ذكره الماورديّ[٤]؛ ومنه قول حسان بنِ ثابت ﷺ:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ ... بَرَدى يُصَفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلْسَلِ[٥]

وقال أبو العالية ومقاتل: إنما سمِّيت سَلْسَبيلًا؛ لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم، تنبع من أصل العرش من جنة عَدْنٍ إلى أهل الجنة[٦]. وقال قتادة: سَلِسةٌ منقادٌ ماؤها حيث شاؤوا[٧]. ونحوه عن عِكرمة. وقال القَفَّال: أي: تلك عين شريفة فَسَلْ سَبِيلًا إليها. وروي هذا عن عليٍّ ﷺ[٨].

وقوله: ﴿تُسَمَّىٰ﴾ أي: إنها مذكورةٌ عند الملائكة وعند الأبرار وأهلِ الجنة بهذا

---

(١) مادة (سلل).

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٦١ .

(٣) أخرج قوله الطبري ٢٣/ ٥٦٢ .

(٤) في النكت والعيون ٦/ ١٧١ عن مجاهد.

(٥) ديوانه ص١٨٠ . البريص: موضع بدمشق كما في القاموس (برص). وفي التاج: يقال: البريص اسم للغوطة بأجمعها.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٣٠ .

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦١ .

(٨) الكشاف ٤/ ١٩٨ ، والنكت والعيون ٦/ ١٧١ . قال الزمخشري: وهذا غير مستقيم على ظاهره، إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سل سبيلًا، جعلت علماً للعين كما قيل: تأبط شراً... وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع، وعزوه إلى مثل علي ﷺ أبدع.

الاسم. وصرف «سلسبيل»؛ لأنه رأس آية؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلظُّنُونَا۠﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠، ٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بيَّن مَن الذي يطوف عليهم بالآنية؛ أي: ويخدمهم ولدان مُخلَّدون، فإنهم أخفُّ في الخدمة. ثم قال: «مُخَلَّدُونَ» أي: باقون على ما هم عليه من الشَّباب والغَضاضة والحُسْن، لا يَهْرَمون ولا يتغيَّرون، ويكونون على سِنٍّ واحدة على مَرِّ الأزمنة. وقيل: مُخلَّدون لا يموتون. وقيل: مُسوَّرون مُقرَّطون، أي: مُحلَّون، والتخليد: التحلية. وقد تقدَّم هذا[١].

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ أي: ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم لؤلؤًا مفرَّقًا في عَرْصة المجلس، واللؤلؤ إذا نُثِر على بساط كان أحسنَ منه منظومًا[٢].

وعن المأمون أنه ليلة زُفَّت إليه بُوران بنت الحسن بنِ سهل، وهو على بساط منسوج من ذهب، وقد نَثَرَت عليه نساءُ دار الخليفة اللؤلؤَ، فنظر إليه منثورًا على ذلك البساط، فاستحسن المنظر وقال: للهِ دَرُّ أبي نُواس كأنه أبصر هذا حيث يقول:

كأنَّ صُغرى وكُبرى مِن فَوَاقِعِها[٣] ... حَصْباءُ درٍّ على أرضٍ مِن الذَّهبِ

وقيل: إنما شبَّههم بالمنثور؛ لأنهم سراعٌ في الخدمة، بخلاف الحور العين إذ شبَّههنَّ باللؤلؤ المكنون المخزون؛ لأنهنَّ لا يُمتَهنَّ بالخدمة.

---

(١) ٢٠/١٨٦ - ١٨٧.

(٢) الوسيط للواحدي ٤/٤٠٤، وتفسير البغوي ٤/٤٣٠.

(٣) في (ز) و(م): فقاقعها، وكذا في العقد الفريد ٦/٧٧، والخزانة ٨/٢٧٧. والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الديوان ص٤٠، وثمار القلوب للثعالبي ص١٦٦، ودرة الغواص ص٥٩، ومجمع الأمثال ١/٣٤، والكشاف ٤/١٩٩، والكلام منه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ «ثَمَّ»: ظرف مكان، أي: هناك في الجنة، والعامل في «ثَمَّ» معنى «رَأَيْتَ» أي: وإذا رأيت ببصرك «ثَمَّ». وقال الفرَّاء[١]: في الكلام «ما» مضمرة؛ أي: وإذا رأيت ما ثَمّ؛ كقوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] أي: ما بينكم. وقال الزجَّاج[٢]: «ما» موصولة بـ «ثم» على ما ذكره الفرَّاء، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصِّلة، ولكن «رَأَيْتَ» يتعدَّى في المعنى إلى «ثَمَّ»، والمعنى: إذا رأيت ببصرك «ثَمَّ». ويعني بـ «ثَمَّ» الجنة، وقد ذكر الفرَّاء[٣] هذا أيضًا.

والنعيم: سائر ما يُتنعَّم به. والمُلْك الكبير: استئذان الملائكة عليهم؛ قاله السُّدِّيُّ وغيره. قال الكلبيّ: هو أن يأتيَ الرسولُ من عند الله بكرامة من الكُسْوة والطعام والشراب والتحف إلى وليِّ الله وهو في منزله، فيستأذن عليه؛ فذلك المُلْك العظيم. وقاله[٤] مقاتل بن سليمان.

وقيل[٥]: المُلْك الكبير: هو أن يكون لأحدهم سبعون حاجبًا، حاجبًا دون حاجب؛ فبينما وليُّ الله فيما هو فيه من اللَّذَّة والسرور، إذ يستأذن عليه مَلَكٌ من عند الله، قد أرسله الله بكتاب وهدية وتحفةٍ من ربِّ العالمين، لم يرها ذلك الوليُّ في الجنة قطّ، فيقول للحاجب الخارج: استأذن على وليِّ الله، فإنَّ معي كتابًا وهديةً من ربِّ العالمين. فيقول هذا الحاجب للحاجب الذي يليه: هذا رسولٌ من ربِّ العالمين، معه كتاب وهديَّة يستأذن على وليِّ الله؛ فيستأذن كذلك حتى يبلغ إلى الحاجب الذي يلي وليَّ الله، فيقول له: يا وليَّ الله! هذا رسولٌ من ربِّ العالمين يستأذن عليك،

(١) في معاني القرآن ٣/ ٢١٨.

(٢) في معاني القرآن ٥/ ٢٦١، ومثله في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٣، والكشاف ٤/ ١٩٩.

(٣) في معاني القرآن ٣/ ٢١٨.

(٤) في (ظ): وقال. وقول مقاتل والكلبي في الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٤، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣٠ بمعناه.

(٥) قوله: وقيل، من (م).

معه كتاب وتُحْفة من ربِّ العالمين، أفيؤذن له؟ فيقول: نعم! فأذنوا له. فيقول ذلك الحاجب الذي يليه: نَعَم فأذنوا له. فيقول الذي يليه للآخر كذلك، حتى يبلغ الحاجب الآخر، فيقول له: نَعَم أيها المَلَك؛ قد أذن لك، فيدخل، فيسلِّم عليه ويقول: السَّلامُ يُقرئك السَّلام، وهذه تحفة، وهذا كتاب من ربِّ العالمين إليك. فإذا هو مكتوب عليه: من الحيّ الذي لا يموت، إلى الحيّ الذي لا يموت(١). فيفتحه فإذا فيه: سلام على عبدي ووليّي ورحمتي وبركاتي. يا وليّي، أمَا آن لك أن تشتاق إلى رؤية ربِّك؟ فيستخفُّه الشوق، فيركب البُرَاق، فيطير به البُرَاق شوقًا إلى زيارة علَّام الغيوب، فيعطيه ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقال سفيان الثوريّ: بلغنا أنَّ المُلْك الكبير تسليمُ الملائكة عليهم(٢)؛ دليلُه قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ . سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

وقيل: المُلْك الكبير: كون التِّيجان على رؤوسهم كما تكون على رأس مَلِك من الملوك(٣).

وقال الترمذيُّ الحكيم: يعني مُلْك التكوين، فإذا أرادوا شيئًا قالوا له: كن. وقال أبو بكر الورَّاق: مُلْك لا يتعقَّبه هُلْك. وفي الخبر عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ المُلك الكبير هو: أدناهم منزلة ينظر في مُلْكه مسيرة ألفي عام، يَرَى أقصاه كما يرى أدناه» قال: «وإنَّ أفضلهم منزلةً مَن ينظر في وجه ربِّه تعالى كلَّ يومٍ مرتين»(٤).

قوله تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ قرأ نافع وحمزة وابن محيصن:

---

(١) كذا في النسخ، ولعل المراد أنه خالدٌ فيها لا يموت.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦٧ .

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٢ .

(٤) بعدها في (م): سبحان المنعم. والخبر لم نقف عليه، وأخرجه الترمذي (٣٣٣٠) بنحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

«عَالِيْهِمِ» ساكنةَ الياء[١]، واختاره أبو عبيد اعتباراً بقراءة ابن مسعود وابن وثَّاب وغيرهما: «عالِيَتُهم»[٢] وبتفسير ابن عباس: أما رأيت الرجل عليه ثيابٌ يعلوها أفضلُ منها.

الفرَّاء: وهو مرفوع بالابتداء، وخبرُه: «ثِيَابُ سُنْدُسٍ» واسم الفاعل يراد به الجمع. ويجوز في قول الأخفش أن يكون إفراده على أنه اسم فاعل متقدِّم، و«ثِيابُ» مرتفعة به وسَدَّت مسدَّ الخبر، والإضافة فيه في تقدير الانفصال؛ لأنه لم يمضِ[٣]، وابتدئ به لأنه اختصَّ بالإضافة.

وقرأ الباقون: «عَالِيَهُمْ» بالنصب. وقال الفرَّاء[٤]: هو كقولك: فَوْقَهم، والعرب تقول: قومُك داخلَ الدار، فينصبون «داخل» على الظرف، لأنه مَحلّ. وأنكر الزجَّاج هذا وقال[٥]: هو مما لا نعرفه في الظروف، ولو كان ظرفًا لم يجز إسكان الياء، ولكنه نصب على الحال من شيئين: أحدهما: الهاء والميم في قوله: «يطُوفُ عَلَيْهِمْ» أي: على الأبرار «وِلْدانٌ» عالياً الأبرارَ ثيابُ سندس؛ أي: يطوف عليهم في هذه الحال، والثاني: أن يكون حالًا من الوِلدان، أي: «إذا رأيتَهم حَسِبْتَهم لؤلؤًا منثورًا» في حال علوِّ الثيابِ أبدانَهم.

وقال أبو عليّ[٦]: العامل في الحال إمَّا «لقَّاهم نَضْرةً وسرورًا» وإمَّا «جزاهم بما صبروا» قال: ويجوز أن يكون ظرفًا فصُرِف.

المهدوي: ويجوز أن يكون اسم فاعل ظرفًا؛ كقولك: هو ناحيةً من الدار،

---

(١) السبعة ص٦٦٤، والتيسير ص٢١٨. وقراءة ابن محيصن في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣.

(٢) قراءة ابن مسعود في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٩، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٤.

(٣) في (م): يخصّ، والمثبت من النسخ الخطية، وهو الموافق لما في الحجة لأبي علي ٦/ ٣٥٦.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢١٨ - ٢١٩.

(٥) في معاني القرآن ٥/ ٢٦٢.

(٦) في الحجة ٦/ ٣٥٤.

وعلى أنَّ «عاليًا» لمَّا كان بمعنى «فوق» أُجْرِي مُجْراه فجعل ظرفًا.

وقرأ ابن محيصن وابن كثير وأبو بكر عن عاصم: «خُضْرٍ» بالجرِّ على نعت السُّنْدس، «وَإِسْتَبْرَقٌ» بالرفع نَسْقًا على الثياب، ومعناه: عاليهم[1] سندسٌ وإستبرقٌ.

وقرأ ابن عامر وأبو عمرو ويعقوب: «خُضْرٌ» رفعًا نعتًا للثياب «وَإِسْتَبْرَقٍ» بالخفض نعتًا للسُّنْدس، واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم لجودة معناه؛ لأنَّ الخضر أحسنُ ما كانت نعتًا للثياب، فهي مرفوعة، وأحسن ما عطف الإستبرق على السُّنْدس عطفَ جنسٍ على جنس، والمعنى: عاليَهم ثيابٌ خُضْرٌ مِن سندسٍ وإستبرقٍ، أي: من هذين النوعين.

وقرأ نافع وحفص كلاهما بالرفع، ويكون «خُضْرٌ» نعتًا للثياب؛ لأنهما جميعًا بلفظ الجمع «وإِسْتَبْرَقٌ» عطفًا على الثياب.

وقرأ الأعمش وابن وَثَّاب وحمزة والكسائيُّ كلاهما بالخفض[2]، ويكون قوله: «خُضْرٍ» نعتًا للسُّندس، والسُّندس اسم جنس، وأجاز الأخفش[3] وصفَ اسم الجنس بالجمع على استقباح له؛ وتقول: أهلك الناسَ الدينارُ الصُّفْرُ والدرهمُ البِيضُ؛ ولكنه مستبعَدٌ في الكلام. والمعنى على هذه القراءة: عالِيهم ثِيابُ سُندسٍ خضرٍ وثيابُ إِستبرقٍ.

وكلُّهم صرف الاستبرق إلا ابنَ محيصن، فإنه فتحه ولم يصرفه، فقرأ: «وإستبرقَ» نصبًا في موضع الجرّ، على منع الصرف[4]، لأنه أعجميّ، وهو غلط، لأنه نكرة يدخله حرفُ التعريف؛ تقول: الإستبرق؛ إلَّا أن يزعم ابن محيصن أنه قد

(١) في النسخ الخطية: عليهم، والمثبت من (م).

(٢) السبعة ص٦٦٥، والتيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٣٩٠. وقراءة الأعمش في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وقراءة ابن وثاب في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٩.

(٣) كلامه في الحجة للفارسي ٦/ ٣٥٧.

(٤) نسب هذه القراءة لابن محيصن الزجاج في معاني القرآن ٥/ ٢٦٢، وذكرها الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩٩ - والكلام منه - دون نسبة.

يجعل علمًا لهذا الضرب من الثياب. وقرئ: «وَاسْتَبْرَقَ» بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمًّى باستفعل من البريق[١]، وليس بصحيح أيضًا؛ لأنه مُعرَّب مشهور تعريبه، وأنَّ أصله: اسْتَبْرَه[٢].

والسُّندس: ما رَقَّ من الديباج. والإستبرق: ما غَلُظ منه. وقد تقدَّم[٣].

قوله تعالى: ﴿وَحُلُّوٓا﴾ عطف على «ويطوف»[٤] ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي سورة فاطر: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الآية:٣٣] وفي سورة الحج: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الآية:٢٣]، فقيل: حُليُّ الرجل الفضة، وحُليُّ المرأة الذهب. وقيل: تارةً يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضَّة. وقيل: يجمع في يد أحدهم سواران من ذهب وسواران من فضَّة وسواران من لؤلؤ، ليجتمع لهم محاسنُ الجنة؛ قاله سعيد ابن المسيّب. وقيل: أي: لكل قومٍ ما تميل إليه نفوسُهم.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال عليٌّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ قال: إذا توجَّه أهلُ الجنة إلى الجنة، مرُّوا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فيشربون من إحداهما، فتجري عليهم بنضرة النَّعيم، فلا تتغير أبشارهم، ولا تتشعَّث أشعارهم أبدًا، ثم يشربون من الأخرى، فيخرج ما في بطونهم من الأذى، ثم تستقبلهم خَزنة الجنة، فيقولون لهم: «سَلَامٌ عليكم طِبتُم فادخلوها خالدين» [الزمر:٧٣].

وقال النَّخعيُّ وأبو قِلابة: هو إذا شربوه بعد أكلهم طَهَّرهم، وصار ما أكلوه وما

---

(١) هي قراءة ابن محيصن كما في القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحتسب ٢/ ٣٤٤، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٤.

(٢) في النسخ: استبرق، والمثبت من الكشاف ٤/ ١٩٩ والكلام منه، ومعاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٢. وفي القاموس (برق): استروه، وينظر التاج (برق).

(٣) ١٣/ ٢٦٦.

(٤) الكشاف ٤/ ١٩٩.

شربوه رَشْحَ مِسْك، وضَمَرت بطونهم[١].

وقال مقاتل: هو من عينِ ماءٍ على باب الجنة، تنبع من ساق شجرة، مَن شرب منها نزع اللهُ ما كان في قلبه من غِلّ وغشٍّ وحسدٍ، وما كان في جوفه من أذًى وقَذَر[٢].

وهذا معنى ما روي عن عليّ، إلّا أنه في قول مقاتل عينٌ واحدة، وعليه فيكون فَعولًا للمبالغة، ولا يكون فيه حُجَّةٌ للحنفيِّ أنه بمعنى الطاهر. وقد مضى بيانه في سورة الفرقان، والحمد لله[٣].

وقال طيِّب[٤] الجمَّال: صَلَّيْتُ خَلْفَ سهل بنِ عبد الله العَتَمة، فقرأ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ وجعل يُحرِّك شفتيه وفمه، كأنه يَمَصُّ شيئًا، فلما فرغ قيل له: أتشرب أم تقرأ؟ فقال: واللهِ لو لم أجد لذَّته عند قراءته كلذَّته عند شربه ما قرأته.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي: يقال لهم: إنما هذا جزاءٌ لكم، أي: ثواب. ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم﴾ أي: عملكم ﴿مَّشْكُورًا﴾ أي: من قبل الله، وشكره للعبد قبول طاعته، وثناؤه عليه، وإثابتُه إياه.

وروى سعيد عن قتادة قال: غَفَرَ لهم الذَّنب، وشَكَرَ لهم الحَسَن[٥]. وقال مجاهد: «مَشْكُورًا» أي: مقبولًا، والمعنى متقارب؛ فإنه سبحانه إذا قبل العمل شكره، فإذا شكره أثاب عليه بالجزيل؛ إذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم.

روي عن ابن عمر: أنَّ رجلًا حَبَشِيًّا قال: يا رسول الله! فُضِّلتم علينا بالصُّوَر

---

(١) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦٩ - ٥٧٠ عن إبراهيم التيمي وأبي قلابة بنحوه. ونسبه للنخعي وأبي قلابة ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وينظر الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٥، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣٠.

(٢) الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٥، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣١ بنحوه.

(٣) ١٥/ ٤٢٢ فما بعد.

(٤) في النسخ الخطية: طبيب، ولم نقف عليه.

(٥) في (م): الحسنى. والمثبت من النسخ الخطية، وهو موافق لما في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٧١.

والألوان والنبوَّة، أفرأيت إن آمنتُ بما آمنتَ به، وعملتُ بما عملت، أكائنٌ أنا معك في الجنة؟ قال: «نعم، والذي نفسي بيده إنه ليُرَى بياضُ الأسود في الجنة وضياؤه من مسيرة ألفِ عام» ثم قال النبيُّ ﷺ: «مَن قال: لا إله إلا الله، كان له بها عند الله عَهْد، ومَن قال: سبحان الله والحمد لله، كان له بها عند الله مئة ألفِ حسنةٍ وأربعةٌ وعشرون ألفَ حسنة»، فقال الرجل: كيف نَهلِك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال: «إنَّ الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضع على جبل لأثقله. فتجيء النعمة من نِعم الله، فتكاد أن تستنفد ذلك كلَّه، إلَّا أن يلطف اللهُ برحمته». قال: ثم نزلت: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ قال الحبشيّ: يا رسول الله! وإنَّ عينيَّ لترى ما ترى عيناك في الجنة؟ فقال النبيُّ ﷺ: «نعم» فبكى الحبشيُّ حتى فاضت نَفْسُه. قال ابن عمر: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يُدْليه في حفرته[1] ويقول: «إنَّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكُم مشكوراً» قلنا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: «والذي نفسي بيده لقد أوقفه الله ثم قال: أي عبدي! لأبيضنَّ وجهك، ولأُبوِّئنَّك من الجنة حيث شئت، فنعم أجر العاملين».

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ ما افتريتَه ولا جئتَ به مِن عندك، ولا من تلقاء نفسك كما يدَّعيه المشركون. ووجه اتصال هذه الآيةِ بما قبلُ أنه سبحانه لمَّا ذكر أصناف الوعد والوعيد، بيَّن أنَّ هذا الكتابَ يتضمن ما بالناس حاجةٌ إليه، فليس بسِحر ولا كَهانة، ولا شِعر، وأنه حقّ. وقال ابن عباس: أُنزل القرآن متفرِّقًا،

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (١٦٠٤)، والكبير (١٣٥٩٥)، وأبو نعيم في الحلية ٣/ ٣١٩ دون الزيادة الآتية. بعده. قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث عطاء، تفرد به عفيف عن أيوب بن عتبة اليمامي. وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٤٢٠ : فيه أيوب بن عتبة، وهو ضعيف.

آية بعد آيةٍ، ولم ينزل جملةً واحدة[١]؛ فلذلك قال: «نَزَّلْنَا». وقد مضى القولُ في هذا مبيَّنًا، والحمد لله[٢].

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لقضاء ربِّك. وروى الضحَّاك عن ابن عباس قال: اصبر على أذى المشركين؛ هكذا قضيت. ثم نسخ بآية القتال[٣]. وقيل: أي: اصبر لما حكم به عليك من الطاعات، أو انتظر حكم الله إذ وَعَدَك أنه ينصرك عليهم، ولا تستعجل فإنه كائنٌ لا محالة.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا﴾ أي: ذا إثم ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ أي: لا تطع الكفار. فروى مَعْمَر عن قتادة قال: قال أبو جهل: إنْ رأيتُ محمدًا يُصلِّي لأطأنَّ على عنقه. فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾[٤].

ويقال: نزلت في عتبة بنِ ربيعة والوليد بنِ المغيرة، وكانا أتيا رسولَ الله ﷺ يَعْرِضان عليه الأموالَ والتزويج، على أن يترك ذكر النبوَّة، ففيهما نزلت: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾. قال مقاتل: الذي عرض التزويج عُتبة بنُ ربيعة؛ قال: إنَّ بناتي من أجمل نساء قريش، فأنا أزوِّجك ابنتي بغير مهر وارجع عن هذا الأمر. وقال الوليد: إن كنتَ صنعت ما صنعتَ لأجل المال، فأنا أعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الأمر. فنزلت[٥].

ثم قيل: «أو» في قوله تعالى: ﴿ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أوْكَد من الواو؛ لأنَّ الواو إذا قلت: لا تطع زيدًا وعَمرًا، فأطاع أحدهما كان غيرَ عاص؛ لأنه أمرَه ألَّا يطيع الاثنين، فإذا قال: ﴿لَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ فـ «أو» قد دلَّت على أنَّ كلَّ واحد

(١) تفسير البغوي ٤/ ٤٣١ .

(٢) ١٥/ ٤٠٦ فما بعد.

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٤٠ : والمفسرون يقولون: هذا منسوخ بآية السيف، ولا يصح.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٧٢ .

(٥) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤/ ٤٣١ ، وينظر تفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٢ - ٤٣٣ .

منهما أهلٌ أن يُعصَى؛ كما أنك إذا قلت: لا تخالف الحسن أو ابنَ سيرين، أو اتَّبع الحسن أو ابن سَيرين، فقد قلت: هذان أهلٌ أن يُتَّبعا، وكلٌّ واحد منهما أهلٌ لأن يُتَّبع؛ قاله الزجَّاج(١).

وقال الفرَّاء: «أو» هنا بمنزلة «لا»، كأنه قال: ولا كفورًا؛ قال الشاعر:

لا وَجْدُ ثَكْلَى كما وَجِدْتُ ولا ... وَجْدُ عَجُولٍ أَضَلَّها رُبَعُ

أو وَجْدُ شيخٍ أَضلَّ ناقَتَه ... يومَ تَوافَى الحجيجُ فاندفعوا

أراد: ولا وجدُ شيخ(٢).

وقيل: الآثم: المنافق، والكفور: الكافر الذي يُظهر الكفر، أي: لا تطع منهم آثمًا ولا كفورًا. وهو قريبٌ من قول الفرَّاء.

قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أي: صلِّ لربِّك أولَ النهار وآخرَه، ففي أوَّله صلاةُ الصبح، وفي آخره صلاةُ الظهر والعصر ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ يعني التطوُّع في الليل؛ قاله ابن حبيب.

وقال ابن عباس وسفيان: كلُّ تسبيح في القرآن فهو صلاة(٣). وقيل: هو الذِّكر المطلَق، سواءٌ كان في الصلاة أو في غيرها.

وقال ابن زيد وغيره: إنَّ قوله: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ منسوخٌ بالصلوات

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٢٦٣.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢١٩ - ٢٢٠، والبيتان في أمالي أبي علي ٢/ ١٢٣ منسوبين لمالك بن حريم، والبيت الثاني في الكامل ٢/ ٦٠٩ غير منسوب، وذكر محققه: أنه جاء في زيادات إحدى النسخ: لرجل من قضاعة يقال له: مالك بن عمرو. قوله: العجول: الثَّكلى، والواله من النساء والإبل؛ لعجلتها في حركاتها جزعاً. رُبَع: الفصيل يُنتج في الربيع، وهو أول النِّتاج. القاموس (عجل) (ربع).

(٣) النكت والعيون ٦/ ١٧٢ - ١٧٣، وليس فيه: قاله ابن حبيب.

الخمس. وقيل: هو ندب. وقيل: هو مخصوصٌ بالنبيِّ ﷺ(١). وقد تقدَّم القولُ في مثله في سورة المزَّمِّل(٢). وقول ابن حبيب حسن.

وجمع الأصيل: الأصائل والأُصُل؛ كقولك: سَفَائن وسُفُن؛ قال:

ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ(٣)

وقال في الأصائل، وهو جمع الجمع:

لَعَمْري لَأَنْتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهلَه وأَقعدُ في أَفيائه بالأَصائلِ(٤)

وقد مضى هذا في آخر «الأعراف» مستوفًى. ودخلت «مِن» على الظرف للتبعيض، كما دخلت على المفعول في قوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾(٥) [نوح: ٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾: توبيخٌ وتقريع، والمراد أهل مكة. والعاجلة: الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ﴾ أي: ويَدَعون ﴿وَرَآءَهُمْ﴾ أي: بين أيديهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ أي: عسيرًا شديدًا(٦)، كما قال: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي: يتركون الإيمان بيوم القيامة.

---

(١) الكلام بنحوه في إعراب القرآن ٥/ ١٠٨، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٣/ ١٣٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٧، وتفسير أبي الليث ٣/ ٤٣٣. ورجح ابن العربي أنه للندب.

(٢) ص٣٢٠ من هذا الجزء.

(٣) قائله الأعشى، وهو في ديوانه ص١٠٧، وصدره: يوماً بأطيب منها نشر رائحة، وسلف ٩/ ٤٣٥.

(٤) قائله أبو ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١/ ١٤١، وسلف ٩/ ٤٣٥.

(٥) الكشاف ٤/ ٢٠٠.

(٦) الكلام بنحوه في الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٦، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣١، وينظر الكشاف ٤/ ٢٠٠ - ٢٠١.

وقيل: «وَرَاءَهُمْ» أي: خلفهم[١]، أي: ويذرون الآخرة خلف ظهورهم، فلا يعملون لها.

وقيل: نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول ﷺ وصحةِ نبوَّته. وحبُّهم العاجلة: أخذُهم الرُّشا على ما كتموه.

وقيل: أراد المنافقين؛ لاستبطانهم الكفرَ وطلب الدنيا. والآية تعمّ. واليوم الثقيل يوم القيامة. وإنما سمِّي ثقيلًا لشدائده وأهواله. وقيل: للقضاء فيه بين عباده[٢].

قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ﴾ أي: من طين. ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي: خَلْقهم؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم[٣]. والأَسْر: الخَلْق؛ قال أبو عُبيد: يقال: فرس شديد الأَسْر، أي: الخَلْق. ويقال: أسره الله جلَّ ثناؤه: إذا شَدَّد خَلْقه؛ قال لبيد:

سـاهِـمُ الـوجـهِ شـديـدٌ أَسْـرُهُ   مُـشْـرِفُ الـحارِكِ مَحبوكُ الـكَـتَـدْ[٤]

وقال الأخطل:

مِـن كـلِّ مُـجـتَـنِـبٍ شـديـدٍ أَسْـرُهُ   سَـلِـسِ الـقـيـادِ تَـخـالُـه مُـخْـتـالا[٥]

وقال أبو هريرة والحسن والربيع: شددنا مفاصلهم وأوصالهم بعضَها إلى بعض بالعروق والعصب[٦].

وقال مجاهد في تفسير الأَسْر: هو الشَّرْج، أي: إذا خرج الغائط والبول

---

(١) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٤٣٣ عن مجاهد.

(٢) النكت والعيون ٦/ ١٧٣ .

(٣) أخرج قولهم الطبري ٢٣/ ٥٧٥ - ٥٧٦ عدا قول مقاتل، وهو في تفسير البغوي ٤/ ٤٣١ .

(٤) شرح ديوانه ص١٨٧ برواية: مُغْبَط الحارك محبوك الكَفَل. الحارك: فروع الكتفين، وهو أيضًا الكاهل. الغبيط: قتب الهودج، فقوله: مغبط الحارك، أي: كأن ظهره غبيط. محبوك الكفل: مدمج فيه استواء مع ارتفاع. الكتد: موصل العنق في الظهر.

(٥) ديوانه ص٤٦ .

(٦) قول أبي هريرة ﷺ أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٧٦ ، وقول الحسن في الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٦ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣١ ، وقول الربيع في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٥ .

تقبُّضَ الموضعُ[(١)].

وقال ابن زيد: الأسر: القوّة[(٢)]. وقال ابن أحمر يصف فرسًا:

يَمشي بِأَوظِفةٍ شِدادٍ أَسْرُها ... صُمٍّ[(٣)] السَّنابكِ لا تقي بالجَدْجَدِ

واشتقاقه من الإسار، وهو القِدُّ الذي يشدُّ به الأقتاب؛ يقال: أَسَرْتُ القَتَبَ أسْرًا، أي: شددتُه وربطتُه؛ ويقال: ما أحسن أَسْرَ قَتَبِه، أي: شدَّه ورَبْطَه[(٤)]؛ ومنه قولهم: خذه بِأَسْرِه: إذا أرادوا أن يقولوا: هو لك كلُّه؛ كأنهم أرادوا تَعْكِيمه[(٥)] وشدّه لم يُفتَح ولم يُنقَص منه شيء. ومنه الأسير، لأنه كان يُكَتَّف بالإسار. والكلام خرج مَخرجَ الامتنان عليهم بالنِّعَم حين قابلوها بالمعصية. أي: سَوَّيتُ خَلْقك وأحكمتُه بالقوى ثم أنت تكفر بي!

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَـٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ قال ابن عباس: يقول: لو نشاء لأهلكناهم وجئنا بأطوعَ للَّه منهم. وعنه أيضاً: لغيَّرنا محاسنهم إلى أسمج الصُّورَ وأقبحها. كذلك روى الضحَّاك عنه. والأوَّل رواه عنه أبو صالح.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ﴾ أي: السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ أي: موعظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ

---

(١) الوسيط للواحدي ٤/٤٠٦، وتفسير البغوي ٤/٤٣١.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٥٧٦.

(٣) في النسخ الخطية: شم، وهو موافق لما في كتاب الحيوان للجاحظ ٣/٥٢٣، والمثبت من (م)، وهو موافق لما في النكت والعيون ٦/١٧٣. الأوظفة: جمع وظيف: وهو مستدق الذراع والساق من الخيل ومن الإبل وغيرها. السنابك: جمع سُنْبُك: وهو طرف الحافر. الجدجد: الأرض الصلبة المستوية. القاموس (وظف) (سنبك) (جدد).

(٤) الكلام بنحوه في تفسير غريب القرآن ص٥٠٤.

(٥) عكم المتاع: شدّه. الصحاح (عكم).

﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: طريقًا موصلًا إلى طاعته وطلب مرضاته. وقيل: «سَبِيلًا» أي: وسيلة. وقيل: وِجْهةً وطريقًا إلى الجنة. والمعنى واحد.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ أي: الطاعة والاستقامة واتخاذَ السبيل إلى الله ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فأخبر أنَّ الأمر إليه سبحانه ليس إليهم، وأنه لا تَنْفذ مشيئة أحدٍ ولا تتقدَّم. إلَّا أن تتقدَّم مشيئته.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «وَمَا يَشَاؤونَ» بالياء على معنى الخبر عنهم. والباقون بالتاء على معنى المخاطبة لله سبحانه[١]. وقيل: إنَّ الآية الأولى منسوخةٌ بالثانية. والأشبه أنه ليس بنسخ، بل هو تبيين أنَّ ذلك لا يكون إلا بمشيئته.

قال الفرَّاء[٢]: «وَما تشاؤون إِلَّا أَنْ يشاءَ الله» جوابٌ لقوله: «فَمَن شاء اتَّخذ إِلى ربِّه سبيلًا» ثم أخبرهم أنَّ الأمر ليس إليهم فقال: «وَمَا تَشَاؤونَ» ذلك السبيلَ «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ» لكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأعمالكم ﴿حَكِيمًا﴾ في أمره ونهيه لكم. وقد مضى في غير موضع.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: يدخله الجنة راحمًا له ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: ويعذِّب الظالمين، فنصبه بإضمار: يعذِّب. قال الزجَّاج[٣]: نصب الظالمين لأن قبله منصوب، أي: يُدخل من يشاء في رحمته ويعذِّب الظالمين، أي: المشركين، ويكون ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيرًا لهذا المضمَر؛ كما قال الشاعر:

أصبحتُ لَا أَحمِلُ السِّلاحَ ولا ... أَمْلِكُ رأسَ البعيرِ إِنْ نَفَرا
والذِّئبَ أَخشاهُ إِنْ مررتُ به ... وحدي وأَخشى الرِّياحَ والمَطَرا[٤]

---

(١) التيسير ص٢١٨، وينظر السبعة ص٦٦٥، وقرأ: يشاؤون، بالياء، أيضاً: ابن عامر الشامي.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٢٠.

(٣) في معاني القرآن ٥/ ٢٦٤.

(٤) البيتان للربيع بن ضبع الفزاري، وهما في الأمالي لأبي علي ٢/ ١٨٥، وجمهرة الأمثال ١/ ٢٣٧، ومجمع الأمثال ٢/ ١٨٠.

أي: أخشى الذئب أخشاه.

قال الزجّاج[١]: والاختيار النصب وإن جاز الرفع؛ تقول: أعطيت زيدًا وعَمرًا أعددت له بِرًّا، فيختار النصب، أي: وبَرَرْت عَمرًا أو أَبَرُّ عَمراً. وقوله: في «حم عسق»: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾[٢] ارتفع لأنه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصبَ في المعنى؛ فلم يجز العطف على المنصوب قبله، فارتفع بالابتداء، وها هنا قوله: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ يدل على: ويعذِّب، فجاز النصب.

وقرأ أبان بن عثمان: «وَالظَّالِمونَ» رفعًا بالابتداء[٣]، والخبر ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾.

﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: مُؤلِمًا مُوجِعًا. وقد تقدَّم هذا في سورة البقرة وغيرِها[٤]، والحمدُ لله. ختمت السورة.

---

(١) في معاني القرآن ٥/ ٢٦٤ .

(٢) تمامها: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨].

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٦ ، والمحتسب ٢/ ٣٤٤ .

(٤) ١/ ٣٠١ .

سُورَةُ الإِنسَانِ

مَكِّيَّةٌ، وآيُها إحدى وثلاثونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ استفهامُ تقريرٍ وتقريبٍ، ولذلك فُسِّرَ بـ(قد) وأصلُه: أَهَلْ؛ كقولِه:

أَهَلْ رَأَوْنا بسَفْحِ القَاعِ ذِي الأَكَمِ[1]

﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾: طائفةٌ محدودةٌ مِن الزَّمانِ الممتدِّ الغيرِ المحدودِ.

﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ بل كانَ شيئًا مَنسيًّا غيرَ مَذكورٍ بالإنسانيَّةِ كالعنصرِ والنُّطفَةِ، والجملَةُ حالٌ مِن ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ أو وصفٌ لـ﴿حِينٌ﴾ بحذفِ الرَّاجعِ[2].

---

(١) عجز بيت لزيد الخيل الطائي، وهو في «ديوانه» (ص: ١٠٠)، و«المقتضب» (١/ ٤٤)، و«الخصائص» (٢/ ٤٦٥)، و«أمالي ابن الشجري» (١/ ١٦٣)، و«الكشاف» (٩/ ٤٠٥)، و«مغني اللبيب» (ص: ٤٦٠)، و«خزانة الأدب» (١١/ ٢٦١)، وتقدم مع شرحه عند تفسير الآية (٢٢١) من سورة الشعراء، وصدره:

سَائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشَدَّتِنا

يربوع: أبو حي من تميم، والباء بمعنى «عن»، وسفح الجبل: أسفله، والقاع: المستوي من الأرض، والأكَم واحدها أَكَمة: وهي ما ارتفع عن الأرض ولا يبلغ أن يكون جبلاً. انظر: «شرح أبيات المغني» للبغدادي (٦/ ٧٢). وقال الزمخشري: فالمعنى: أقد أتى.

(٢) قولُه: «بحذفِ الرَّاجعِ»؛ أي: العائدِ، وتقديرُه: (فيه) كما في قولِه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ [البقرة: ٤٨]. قاله الشهاب.

والمرادُ بالإنسانِ: الجنسُ؛ لقولِه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾.

أو: آدمُ، بيَّنَ أوَّلًا خلقَهُ ثمَّ ذكرَ خَلْقَ بنيهِ.

﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاطٍ، جمعُ مَشَجٍ[١] أو مَشِيجٍ، مِن مَشَجْتُ الشَّيءَ: إذا خلَطْتَه، ووصفُ[٢] النطفةِ به لأنَّ المرادَ بها مجموعُ منيِّ الرَّجلِ والمرأةِ، وكلٌّ منهما مختلفةُ الأجزاءِ في الرقَّةِ والقَوامِ والخواصِّ[٣]، ولذلك يصيرُ كلُّ جزءٍ مِنْها مادَّةَ عضوٍ.

وقيل: مفردٌ كأعشارٍ وأكياشٍ[٤].

وقيل: ألوانٍ؛ فإنَّ ماءَ الرَّجُلِ أبيضُ وماءَ المرأةِ أصفرُ، فإذا اختلَطَا اخضرَّا.

أو: أطوارٍ، فإنَّ النُّطفةَ تَصيرُ علقةً ثمَّ مُضغةً إلى تمامِ الخلقةِ.

﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ في مَوقعِ الحالِ؛ أي: مُبْتلِينَ له، بمعنى: مريدينَ اختبارَهُ، أو ناقلينَ له مِن حالٍ إلى حالٍ فاستعارَ له الابتلاءَ.

﴿فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ليتمكَّنَ مِن مشاهدةِ الدَّلائلِ واستماعِ الآياتِ، فهو

---

(١) بفتحتَينِ كسبَبٍ وأسبابٍ، أو بفتحٍ فكسرٍ ككتِفٍ وأكتافٍ. قاله الشهاب.

(٢) «ووصف» من نسخة الخيالي وهامش نسخة الطبلاوي ومثله في حواشي الشهاب والقونوي وابن التمجيد، وفي باقي النسخ: «وجمع». وانظر التعليق الآتي.

(٣) قال الشهاب: قوله: «ووصَفَ النُّطفةَ» وهي مُفرَدةٌ «بها»؛ أي: بأمشاجٍ، وهو جمعٌ «لأنَّ المُرادَ بها مجموعُ ماءِ الرَّجلِ والمرأةِ»، والجمعُ قد يُقالُ على ما فوقَ الواحدِ، أو باعتبارِ الأجزاءِ المُختلفةِ فيهما رقَّةً وغلظًا، وصُفرةً وبياضًا، وطبيعةً وقوّةً وضعفًا.

(٤) قولُه: «وقيلَ: مُفرَد»؛ أي: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ هنا مُفرَدٌ بناءً على أنَّ «أفعالاً» يكونُ في المُفرَداتِ نادِرًا، وقد عدُّوا منه ألفاظًا مذكورةً في كتبِ اللُّغةِ، وإليه ذهبَ سيبويهِ في لفظِ «أنعام» وقولِـهم: بُرْمَةٌ أعشارٌ؛ أي: مُتكسِّرةٌ كأنَّها صارَت عشرَ قطعٍ، والبُرمةُ: القِدْرُ. والأكياشُ بالياءِ التحتية والشينِ مُعجمةٍ: ثوبٌ غُزِلَ غزلُه مرَّتينِ. وقيلَ: الثَّوبُ الأكياشُ من ملابسِ الأكياسِ. قاله الشهاب.

كالمسبَّبِ مِن الابتلاءِ، ولذلك عُطفَ بالفاءِ على الفعلِ المقيَّدِ بهِ[1]، ورتَّبَ عليهِ قولُه:

(٣) ـ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بنصبِ الدَّلائلِ وإنزالِ الآياتِ ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالانِ مِن الهاءِ، و﴿إِمَّا﴾ للتَّفصيلِ أو التَّقسيمِ؛ أي: هَدَيناه في حاليهِ جميعًا، أو مقسومًا إليهِمَا: بعضُهُم شاكرٌ بالاهتداءِ والأَخذِ فيه، وبَعضُهُم كَفورٌ بالإعراضِ عنه.

أو مِن ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ ووصفهُ بالشُّكرِ والكُفرِ مَجازٌ.

وقُرِئَ: (أَمَّا)[2] بالفَتحِ على حذفِ الجوابِ.

ولعلَّه لَمْ يَقُل: كافرًا؛ ليطابِقَ قَسيمَهُ محافظةً على الفواصلِ وإشعارًا بأنَّ الإنسانَ لا يخلو عن كُفرانٍ غالبًا، وإنَّما المأخوذُ بِهِ التَّوغُّلُ فيه.

(٤) ـ ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ بها يُقادونَ ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ بها يُقيَّدونَ ﴿وَسَعِيرًا﴾ بها يُحرَّقونَ، وتقديمُ وعيدِهِم وقَد تأخَّرَ ذِكرُهُم لأنَّ الإنذارَ أَهَمُّ وأنفعُ، وتَصديرُ الكلامِ وختمُه بذكرِ المؤمنينَ أحسَنُ.

وقرأَ نافِعٌ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ: ﴿سَلَاسِلاً﴾ للمُناسبةِ[3].

(٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾: جمعُ بَرٍّ كأَربابٍ، أو بارٍّ كأَشْهَادٍ.

﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾: مِن خمرٍ، وهي في الأصلِ لقَدَحٍ تكونُ فيهِ.

---

(١) أي: ولأجل أنه كالمسبَّب عطف بالفاء الدالة على السببية، والمراد بالفعل المقيد: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا﴾ وقيَّده قوله: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ لكونه حالاً. انظر: «حاشية القونوي» (١٩/ ٤٧٣).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٦) عن أبي السمال.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٣)، و«التيسير» (ص: ٢١٧).

﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: ما يُمزجُ بها ﴿كَافُورًا﴾ لبردِه وعُذوبَتِه وطِيْبِ عَرْفِه[١].

وقيل: اسمُ ماءٍ في الجنَّةِ يشبهُ الكافورَ في رائحَتِه وبياضِه.

وقيل: يَخلقُ فيها كيفيَّاتِ الكافورِ فتكونُ كالمَمْزوجةِ بهِ.

(٦) ـ ﴿عَيْنًا﴾ بدلٌ مِن ﴿كَافُورًا﴾ إنْ جعلَ اسمَ ماءٍ، ومِن محلِّ ﴿مِن كَأْسٍ﴾ على تقديرِ مُضافٍ؛ أي: ماءَ عينٍ أو خمرَها، أو نصبٌ على الاختصاصِ، أو بفعلٍ يُفسِّرُه ما بعدَه.

﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾؛ أي: مُلْتَذًّا أو ممزوجًا بها، وقيل: الباءُ مَزيدةٌ أو بمَعنى (مِن) لأنَّ الشُّربَ مبتدأٌ منها كما هو.

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: يُجرُونَها حيثُ شاؤُوا إجراءً سَهْلًا.

(٧) ـ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ استئنافٌ ببيانِ ما رُزقوهُ لأجلِهِ؛ كأنَّه سُئِلَ عنه فأُجيبَ بذلك، وهو أبلَغُ في وصفِهم بالتَّوفُّرِ على أداءِ الواجباتِ؛ لأنَّ مَن وفَّى بما أوجبَهُ على نفسِهِ للهِ كان أَوْفَى بما أوجبَهُ اللهُ عليه.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ﴾: شدائدُه ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: فاشِيًا مُنتَشِرًا غايةَ الانتشارِ، مِن استطارَ الحريقُ والفَجْرُ، وهو أبلَغُ مِن طارَ، وفيه إشعارٌ بحُسنِ عَقيدَتِهم واجتِنَابِهم عَن المَعاصِي.

(٨) ـ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾: حبِّ اللهِ، أو الطَّعامِ، أو الإطعامِ.

﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ يعني: أُسارَى الكُفَّارِ؛ فإنَّه عليهِ السَّلامُ كان يُؤْتَى بالأسيرِ فيدفعُه إلى بعضِ المسلمينَ فيقول: «أحسِنْ إليه»[٢].

---

(١) بفتح العين: رائحته.

(٢) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٩/ ٤١١) عن الحسن مرسلًا، ولم أجده مسنداً، وذكره الزيلعي =

أو: الأسيرَ المؤمنَ، ويدخل فيه المملوكُ والمسجونُ.

وفي الحديث: «غريمُكَ أَسِيرُكَ فأحسِنْ إلى أَسيرِكَ»(١).

(٩ ـ ١٠) ـ ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ على إرادةِ القَولِ بلسانِ الحالِ أو المقالِ؛ إزاحةً لتوهُّمِ المنِّ وتوقُّعِ المكافأةِ المُنقِصَةِ للأجرِ، وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عَنْها: أنَّها تبعَثُ بالصَّدقةِ إلى أهلِ بيتٍ ثمَّ تسألُ المبعوثَ: ما قالوا؟ فإنْ ذكرَ دُعاءً دَعَتْ لَهُم بمثلِه ليبقَى ثوابُ الصَّدَقةِ لها خالصًا عندَ اللهِ(٢).

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾؛ أي: شكرًا ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ فلذلك نحسنُ إليكُم، أو: لا نطلبُ المكافأةَ مِنْكُم.

﴿يَوْمًا﴾: عذابَ يومٍ ﴿عَبُوسًا﴾ تَعْبِسُ فيه الوجوهُ، أو يشبهُ الأسدَ العَبُوسَ في ضَرَاوتِه ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شديدَ العُبوسِ كالذي يَجمعُ ما بينَ عينيهِ، مِن اقمطرَّتِ النَّاقَةُ: إذا رفعَتْ ذنبَها وجمعَتْ قُطْريها، مُشتَقٌّ مِن القُطرِ، والميمُ مَزيدةٌ.

(١١) ـ ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ بسببِ خَوفِهم وتَحفُّظِهم عنه ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾: وأعطاهم ﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ بدلَ عُبوسِ الفُجَّارِ وحُزنِهم.

(١٢) ـ ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾: بصَبرِهم على أداءِ الواجِبَاتِ واجتنابِ المُحرَّماتِ وإيثارِ الأَموالِ ﴿جَنَّةً﴾: بستانًا يأكلونَ مِنه ﴿وَحَرِيرًا﴾ يلبسونَه.

= وابن حجر في تخريجيهما وسكتا عنه. وقال الشَّيخُ وَلِيُّ الدينِ: لَمْ أَقِف عليه. انظر: «حاشية السيوطي» (١٢/ ١٣٢).

(١) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٩/ ٤١٢)، وقال الشَّيخُ وَلِيُّ الدينِ: لَمْ أَقِف عليه. انظر: «حاشية السيوطي» (١٢/ ١٣٢).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٦٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٢٧٨).

وعـن ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ الحسنَ والحُسَينَ رضيَ اللهُ عَنْهُما مَـرِضَـا، فعادَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ في ناسٍ فقالوا: يا أبا الحسنِ! لو نذرتَ على ولدِكَ، فنذرَ عليٌّ وفاطمَةُ رضيَ اللهُ تعَالى عنهما وفضَّةُ جاريةٌ لهما صومَ ثلاثٍ إنْ بَرِئَا، فشُفِيَا وما مَعَهُم شيءٌ، فاستقرضَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ مِن شَمْعُونَ الخَيبريِّ ثلاثَ أَصْوُعٍ مِن شَعيرٍ، فطحَنَتْ فاطِمَةُ صاعًا واختبزَتْ خمسَةَ أقراصٍ، فوضعوا بين أيديهِم ليُفطِرُوا، فوقفَ عليهم مسكينٌ فآثَرُوهُ وباتوا لم يذوقُوا إلَّا الماءَ، وأصبحُوا صِيَامًا، فلَمَّا أَمْسَوْا ووَضَعُوا الطَّعامَ وقفَ عليهِمْ يَتيمٌ فآثَرُوهُ، ثمَّ وقفَ عليهم في الثَّالثَةِ أَسِيرٌ ففعَلُوا مثلَ ذلك، فنزلَ جبرئيلُ بهذه السُّورَةِ، وقال: خُذْهَا يا مُحمَّدُ هنأكَ اللهُ في أهلِ بيتِكَ[1].

(١٣) ـ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ حالٌ مِن (هم) في (جزاهم)، أو صِفَةٌ لـ﴿جَنَّةً﴾ ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ يحتمِلُهُما[2]، وأن يكونَ حالًا من المستكنِّ في ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾، والمَعنى: أنَّه يمرُّ عليهم فيها هواءٌ مُعتَدِلٌ لا حارٌّ مُحْمِي ولا باردٌ مُؤذِي.

وقيل: الزَّمهريرُ: القمرُ في لغةِ طيءٍ قال:

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ٢٢٣ ـ ٢٣٢) وفيه زيادات وأشعار على لسان علي وفاطمة رضي الله عنهما.
وهو حديث باطل باتفاق العلماء، وقد أفاض صاحب «منهاج السنة النبوية» (٧/ ١٧٥ ـ ١٨٧) في بيان وجوه بطلانه.
وقال المناوي في «إتحاف السائل» (ص: ١٠٧): «هذا حديث كذب موضوع، وممن جزم بوضعه الذهبي، وزين الدين العراقي، والحافظ ابن حجر العسقلاني، وغيرهم ممن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، لا يحل لهم نسبة ذلك للمصطفى، ولا إلى فاطمة، ولا إلى علي، وحاشا بلاغتهم من هذه الألفاظ الركيكة، والعبارات المنحطة الوضيعة، والله أعلم».

(٢) أي: الحاليةَ من ضمير ﴿وَجَزَىٰهُم﴾ وكونه صفة ﴿جَنَّةً﴾. انظر: «حاشية الخفاجي».

وَلَيْلَـةٍ ظَلَامُهَا قَـدِ اعْـتَـكَـرْ قَطَعْتُهَا وَالـزَّمْهَـرِيرُ مَا زَهَرْ[١]

والمعنى: أنَّ هواءَها مُضِيءٌ بذَاتِه لا يحتاجُ إلى شمسٍ وَقَمرٍ.

(١٤) ـ ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ حالٌ أو صِفَةٌ أُخرَى مَعطوفَةٌ على ما قبلَها، أو عطفٌ على ﴿جَنَّةً﴾؛ أي: وجنةً أخرى دانيةً، على أنهم وُعِدُوا جنَّتينِ كقولِه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقُرِئَت بالرَّفعِ[٢] على أنَّها خبرُ ﴿ظِلَالُهَا﴾، والجملةُ حالٌ أو صِفَةٌ[٣].

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ معطوفٌ على ما قبلَهُ، أو حالٌ مِن ﴿دانيةً﴾، وتـذليـلُ القُطوفِ: أَنْ تُجعَلَ سهلَ التَّناولِ لا تمتنعُ على قُطَّافِها كيفَ شاؤُوا.

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: وأباريـقَ بـلا عُـرًى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾؛ أي: تكوَّنَـتْ جامعـةً بيـنَ صَفـاءِ الزُّجاجـةِ وشَـفيفِها وبيـاضِ

---

(١) دون نسبة في «الجليس الصالح» (ص: ٧٢٧)، و«تفسير الثعلبي» (٢٨/ ٢٢١)، و«النكت والعيون» (٦/ ١٦٩)، و«الكشاف» (٩/ ٤١٦)، و«المجموع المغيث» لأبي موسى المديني (مادة: زمهر)، وفيه: أي: لم يطلع القمر.

(٢) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٥٤) عن أبي حية.

(٣) قوله: «والجملةُ حالٌ»، فالواوُ إمّا عاطفةٌ أو حاليّةٌ «أو صفة» فالجملةُ أيضًا معطوفةٌ على الصِّفةِ، أو صفةٌ والواوُ للإلصاقِ على مذهبِ الزَّمخشريِّ. قاله الشهاب. قلت: ومذهب الزمخشري في جعل الواو للإلصاق ذكره في «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] أن ﴿وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ جملة واقعة صفة لـ﴿قَرْيَةٍ﴾، ووُسِّطت الواو بينهما كواو الحال في قولك: جاءني زيد عليه ثوب، وجاءني وعليه ثوب. وتوسيط الواو بين الصفة والموصوف لتوكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتِّصافه بها أمرٌ ثابتٌ مستقرٌّ، وهذا الذي ذهب إليه الزمخشري ذكر ابن مالك أنه فاسد من خمسة أوجه تنظر في «شرح التسهيل» له (٢/ ٣٠٢).

الفضَّةِ ولِينِها، وقد نوَّنَ (قواريراً) مَن نوَّنَ (سلاسلاً)، وابنُ كثيرٍ الأولى[١] لأنَّها رأسُ الآيةِ.

وقُرِئَ: (قواريرُ مِن فضَّةٍ) على: هي قَواريرُ[٢].

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾؛ أي: قدَّرُوها في أنفُسِهِم فجاءَتْ مَقاديرُهَا وأشكالُها كما تمنَّوْهُ، أو: قدَّرُوهَا بأعمالِهِم الصَّالحةِ فجاءَتْ على حَسَبِها، أو: قدَّرَ الطَّائفونَ بها ـ المدلولُ عليهم بقولِه: (يطافُ) ـ شَرابَها على قَدْرِ اشتِهائِهِم.

وقُرِئَ: (قُدِّرُوها)[٣]؛ أي: جُعِلُوا قادرينَ لها كما شاؤُوا، مِن قدَّرَ مَنْقُولًا مِن قَدَرْتُ الشَّيءَ، وقَدَّرنيهِ فلانٌ: إذا جعلكَ قادرًا لهُ[٤].

(١٧) ـ ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾: ما يشبهُ الزَّنجبيلَ في الطَّعمِ، وكانت العربُ يستلذُّونَ الشَّرابَ الممزوجَ بهِ.

(١٨) ـ ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ لسلاسَةِ انحدارِهَا في الحلقِ وسُهولَةِ مَساغِها؛ يقال: شرابٌ سلسَلٌ وسَلْسَالٌ وسَلْسَبِيلٌ، ولذلك حُكِمَ بزيادَةِ الباءِ[٥]، والمرادُ به: أن ينفيَ عنها لذعَ الزَّنجبيلِ ويصفَها بنَقيضِهِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٤)، و«التيسير» (ص: ٢١٧).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٦) عن الأعمش.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٦) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم والسلمي والشعبي.

(٤) ومعناه: جُعِلُوا قادِرِيْنَ لهَا كما شاؤُوا، وأُطلِقَ لهُم أَنْ يَقْدِرُوا على حسَبِ ما اشتَهَوا. انظر: «الكشاف» (٩/ ٤١٨).

(٥) تبع الزمخشري في قوله: «يُقال: شرابٌ سَلْسَلٌ وسَلْسَالٌ وسَلسَبِيْلٌ، وقد زِيْدَتِ الباء في التَّركيْبِ حَتَّى صَارتِ الكلمةُ خُماسيَّةً، ودلَّت على غايَةِ السَّلاسة». انظر: «الكشاف» (٩/ ٤١٩).

وقيل: أصلُهُ: (سَلْ سَبِيلًا) فسُمِّيَت به كـ«تأبَّطَ شَرًّا» لأنَّه لا يَشرَبُ منها إلا مَن سأَلَ إليها سبيلًا بالعملِ الصَّالحِ.

(١٩) ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾: دائمونَ ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ مِن صَفاءِ أَلوانِهم وانبِثَاثِهم في مَجالسِهم وانعكاسِ شُعاعِ بعضِهِم إلى بعضٍ.

(٢٠) ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ ليسَ له مفعولٌ ملفوظٌ[١] ولا مقدَّرٌ لأنَّه عامٌّ معناه: أنَّ بصركَ أينما وقعَ ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾: واسعًا.

وفي الحديثِ: «أدنى أهلِ الجنَّةِ مَنزلةً يَنظرُ في ملكِهِ مَسيرةَ ألفِ عامٍ يَرى أقصاهُ كمَا يَرى أدناهُ»[٢].

هذا وللعارفِ أكثرُ من ذلك، وهو أن تنتقِشَ نفسُهُ بجلايا المُلكِ وخفايَا الملكوتِ فيستضيءَ بأنوارِ قدسِ الجَبَروتِ.

(٢١) ـ ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: يَعلُوهم ثيابُ الحريرِ الخضرُ ما رقَّ مِنْها وما غلظَ، ونصبُهُ على الحالِ مِن (هم) في ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أو ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾، أو (مُلكًا) على تقديرِ مضافٍ؛ أي: وأهلَ ملكٍ كبيرٍ عاليَهُم.

وقرأ نافعٌ وحمزةُ بالرفعِ[٣] على أنه خبرُ ﴿ثِيَابُ﴾، وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو بكرٍ: ﴿خُضْرٍ﴾ بالجرِّ حملاً على ﴿سُندُسٍ﴾ بالمعنى[٤]، فإنه اسمُ ﴿وإستبرقٌ﴾ بالرفع

---

(١) في نسخة الخيالي: «صريح» وفي الهامش كالمثبت نسخة.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤٦٢٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وفي إسناده ثوير بن أبي فاختة وهو مجمع على ضعفه.

(٣) أي: (عاليْهم) مرفوعا بالضمة المقدرة على الياء.

(٤) قولُه: «بالمعنَى)؛ لأنَّ المعطوف عليه وإنْ كانَ مُفرَدًا لفظًا فهو جمعٌ معنًى، وأمَّا جعلُ جرِّه للجِوارِ لتتوافَقَ القراءتانِ معنًى فلا يُلتَفَتُ إليه؛ لأنَّه شاذٌّ لا يُخرَّجُ عليه من غيرِ ضرورةٍ. قاله الشهاب.

عطفاً علـى ﴿ثِيَابُ﴾، وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالعكس، وقرأهما نافع وحفصٌ بالرفع، وحمزة والكسائي بالجرِّ[1].

وقُرِئَ: (واستَبْرَقَ) بوصلِ الهمزةِ والفتحِ[2] على أنَّهُ «استفعلَ» مِن البريقِ جُعل عَلَمًا لهذا النَّوعِ من الثِّيابِ.

﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ عطـفٌ عـلى ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾، ولا يخالفُهُ قولُه: ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الكهف: ٣١] لإمكانِ الجمعِ والمعاقبةِ والتَّبعيضِ[3]؛ فإنَّ حُليَّ أهلِ الجنَّةِ تختَلِفُ اختلافَ أعمالِهم، فلعلَّهُ تعالى يُفِيضُ عليهِمْ جزاءً لِمَا عَمِلُوهُ بأيديهِم حُليًّا وأنوارًا تتفاوَتُ تفاوُتَ الذَّهَبِ والفضَّةِ.

أو حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿عَلِيَهُمْ﴾ بإضمارِ (قد)، وعلى هذا يجوزُ أن يكونَ هذا للخدمِ وذاك للمَخدومينَ.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ يريدُ بهِ نوعًا آخرَ يفوقُ على النَّوعينِ المُتقدِّمَيْنِ، ولذلك أسندَ سقيَهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ووصفَهُ بالطُّهوريَّةِ، فإنه يُطهِّرُ شاربَهُ عن الميلِ إلى اللذَّاتِ الحسِّيَّةِ والرُّكونِ إلى ما سوى الحقِّ، فيتجرَّد لِمُطالعةِ جَمالهِ مُلْتَذًّا بلقائِه باقيًا ببقائِه، وهي مُنْتَهى درجاتِ الصِّدِّيقينَ، ولذلك خُتِمَ به ثوابُ الأبرارِ.

(٢٢) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ عـلى إضمارِ القَوْلِ، والإشارةُ إلى ما عُدَّ مِن ثَوابِهم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾: مُجازًى عليه غيرَ مضيعٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٤ ـ ٦٦٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٦)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٤)، عن ابن محيصن.

(٣) قوله: «لإمكانِ الجمعِ والمعاقبةِ والتَّبعيضِ» الجمع بتعدُّدِ الأساوِرِ لكلٍّ، والمُعاقبة بلُبسِ الذَّهبِ تارةً والفِضَّةِ أُخرى، والتَّبعيض بأن تكونَ أساورُ بعضٍ فضّةً وبعضٍ ذهبًا. قاله الشهاب.

(٢٣) ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾: مُفرَّقًا مُنجَّمًا لحكمةٍ اقتضَتْهُ، وتكريرُ الضَّميرِ مع (إنَّ) مزيدٌ لاختصاصِ التَّنزيلِ بهِ.

(٢٤) ـ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بتأخيرِ نَصرِكَ على كُفَّارِ مَكَّةَ وغيرِهم ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾؛ أي: كلَّ واحدٍ: مِن مرتكبِ الإثمِ الدَّاعي لكَ إليه، ومِن الغالي في الكفرِ الدَّاعي إليهِ، و﴿أَوْ﴾ للدَّلالةِ على أنَّهما سِيَّانِ[1] في استحقاقِ العصيانِ والاستقلالِ بهِ، والتَّقسيمُ باعتبارِ ما يَدْعونَهُ إليه، فإنَّ تَرتُّبَ النَّهيِ على الوَصْفَينِ مشعِرٌ بأنَّه لهما، وذلك يَستَدعِي أن تكونَ المطاوعَةُ في الإثمِ والكُفرِ فإنَّ مُطاوعتَهُمَا فيما ليسَ بإثمٍ ولا كفرٍ غيرُ مَحظورٍ.

(٢٥) ـ ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: وداوِمْ على ذكرِهِ، أو: دُمْ على صلاتي الفَجرِ والظُّهرِ والعَصرِ، فإنَّ الأصيلَ يَتناوَلُ وَقْتَيهِمَا[2].

(٢٦) ـ ﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ﴾: وبعضَ الليلِ فصَلِّ له، ولعلَّ المُرادَ بهِ صلاةُ المغربِ والعِشاءِ، وتقديمُ الظَّرفِ لِمَا في صَلاةِ الليلِ مِن مَزيدِ الكُلفَةِ والخُلوصِ.

﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾: وتهجَّدْ له طائفةً طَويلةً مِن اللَّيلِ.

(٢٧) ـ ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾: أمامَهُم، أو: خلفَ ظُهورِهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: شديدًا، مُستعارٌ مِن الثقلِ الباهظِ للحاملِ، وهو كالتَّعليلِ لِمَا أَمَرَ به ونَهى عنهُ.

(٢٨) ـ ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: وأحكَمْنا ربطَ مَفاصِلِهم بالأَعصابِ.

---

(١) في نسخة التفتازاني: «مستويان».

(٢) قولُه: «فإنَّ الأصيلَ...» أمّا تناولُه للعصرِ فظاهرٌ، وأمّا تناولُه للظُّهرِ فباعتبارِ أواخرِه؛ إذ الزَّوالُ وما يقرُبُ منه لا يُسمَّى أصيلًا. قاله الشهاب.

﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾: وإذا شِئْنا أَهْلَكناهُم وبَدَّلْنا أَمْثالَهُم فـي الخِلْقةِ وشِدَّةِ الأَسْرِ، يعني: النَّشأةَ الثَّانيةَ، ولذلك جيءَ بـ(إذا).

أو: بدَّلْنا غيرَهُم ممَّنْ يُطِيعُ، و(إذا) لتحقُّقِ القُدرَةِ وقوَّةِ الدَّاعيَةِ.

(٢٩) ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارةُ إلى السُّورةِ أو الآياتِ القريبةِ ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: تقرَّبَ إليه بالطَّاعةِ.

(٣٠) ـ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾: وما تشاؤونَ ذلك إلَّا وقتَ أَنْ يشاءَ اللهُ مَشيئتَكُم. وقرأَ ابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو وابنُ عامرٍ: ﴿يشاؤون﴾ باليَاءِ[١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يَستأهِلُ كُلُّ أَحدٍ ﴿حَكِيمًا﴾ لا يشاءُ إلَّا ما تَقتَضيهِ حِكمتُهُ.

(٣١) ـ ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ بالهدايةِ والتَّوفيقِ للطَّاعةِ ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ نصبَ (الظالمين) بفعلٍ يُفسِّرُه ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ مثلَ: أوعدَ أو كافأَ؛ ليطابقَ الجملَ المعطوفَ عليها. وقُرِئَ بالرَّفعِ على الابتداءِ[٢].

عن النَّبيِّ عليه السَّلامُ: «مَن قرأَ سُورةَ ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ كانَ جَزاؤُهُ على اللهِ جنَّةً وحَريرًا»[٣].

***

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٦٥)، و«التيسير» (ص: ٢١٨).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٧)، و«المحتسب» (٢/ ٣٤٤) عن ابن الزبير وأبان بن عثمان.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٨/ ١٩٠)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٣٩٨)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. قال ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤/ ٣٤٤): مصنوع بلا شك.

سورة الإنسان(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ
مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا
كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ
يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا
تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ
مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ
مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم
بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾
وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ
قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا
فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا
رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن
فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم
مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ هذه السورة مكية وقيل غير

(١) مدنية وهي إحدى وثلاثون آية.

مكية. ومناسبتها لما قبلها ظاهرة. و﴿هَلْ﴾ حرف استفهام فإن دخلت على الجملة الإسمية لم يمكن[1] تأويله بقد، لأنّ قد من خواصّ الفعل. وإن دخلت على الفعل فالأكثر أن تأتي للاستفهام المحض. و«الإنسان» هنا جنس بني آدم. والحين الذي مّر عليه إما حين عدمه، أو حين كونه نطفة، وانتقاله من رتبة إلى رتبة، حتى جين إمكان خطابه، فإنه في تلك المدة لا ذكر له. وسمّي إنساناً باعتبار من صار [٥٦٦/ب] إليه.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ هو جنس بني آدم، لأن آدم لم يُخلق من نطفة. ﴿أَمْشَاجٍ﴾ وهو وصف للنطفة. قال ابن عباس: هو ماء الرجل وماء المرأة اختلطا في الرحم فخلق الإنسان منهما. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ نختبره في الدنيا بالتكليف. وامتنّ تعالى عليه بهاتين الصفتين، وهما كناية عن التمييز والفهم.

ولمّا جعله بهذه المثابة، أخبر تعالى أنه هداه السبيل، أي: أرشده إلى الطريق، وعرّفه مآل طريق النجاة ومآل [طريق] الهلاك.

وانتصب ﴿شَاكِرًا﴾ و﴿كَفُورًا﴾ على الحال من ضمير المنصب في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾.

ولمّا ذكر الفريقين، أتبعهما الوعيد والوعد. ﴿مِن كَأْسٍ﴾ «من» لابتداء الغاية. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ يمزج لهم بالكافور ويختم بالمسك.

و﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿كَافُورًا﴾. و﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ هنا هم المؤمنون. ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ أي: يثقبونها بعود قصب ونحوه حيث شاؤوا، فهو يجري[2] عند

(١) ق: دخل.. لم يكن.

(٢) أي: الماء.

كل واحد منهم، هكذا ورد في الأثر[١].

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الظاهر أن المراد بالنذر ما هو المعهود في الشريعة أنه نذر.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: على حب الطعام إذ هو محبوب للفاقة والحاجة، قاله ابن عباس. ﴿مِسْكِينًا﴾ وهو الطّواف المنكسر[٢] في السؤال. ﴿وَيَتِيمًا﴾ وهو الصبي الذي لا أب له. ﴿وَأَسِيرًا﴾ الاسير معروف وهو من الكفار.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ هو على إضمار القول. ﴿جَزَآءً﴾ أي: بالأفعال. ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ أي ثناءً بالأقوال.

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ نسبة العُبوس إلى اليوم مجاز. قال ابن عباس: يعبس[٣] الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق كالقطران ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ أي: شديداً. يقال: يوم قمطريراً أي: شديد العبوسة. واقمطرّ فهو مقمطرّ إذا كان صعباً شديداً.

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ بدل عبوس الكافر. ﴿وَسُرُورًا﴾ فرحاً بدل حزنه.

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: بستاناً فيه كل مأكل هنيء. ﴿وَحَرِيرًا﴾ فيه ملبس بهيّ. وناسب ذكر الحرير مع الجنّة، لأنهم أوثروا على صبرهم على الجوع والعري.

﴿لَا يَرَوْنَ﴾ أي: في الجنة. ﴿شَمْسًا﴾ أي: حرّ شمسٍ ولا شدة برد، أي:

(١) انظر القرطبي ١٩: ١٢٦.
(٢) ق: المنكشف.
(٣) ق: يعيش.

لا شمس فيها فتُرى فيؤذي حرُّها، ولا زمهريراً يُرى فيؤذي[١] بشدّته، أي: هي معتدلة الهواء. وفي الحديث[٢] «هواء الجنة سجسج لا حرٌّ ولا قُرٌّ».

﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾ منصوب على الحال، والعامل فيه ﴿وَجَزَىٰهُم﴾. و﴿لَا يَرَوْنَ[٣]﴾ حال ثانية.

﴿وَدَانِيَةً﴾ حال ثالثة. و﴿ظِلَٰلُهَا﴾ فاعل «بدانية». ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ قال مجاهد: إن كان الإنسان قائماً تناول الثمر دون كلفة، وإن كان قاعداً أو مضجعاً فكذلك، فهذا تذليلها لا يَردُّ اليد عنها بُعدٌ ولا شوك.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ قَوَارِيرَاْ﴾ الآية، لما وصف تعالى طعامهم وسكناهم وهيئة جلوسهم ذكر شرابهم.

وقدّم ذكر الآنية التي يسقون منها. والآنية: جمع إناء. القارورة [٥٦٧/أ] إناء رقيق صافٍ توضع فيه الأشربة ويكون من زجاج. وقرىء: قواريراً، بتنوينهما، ويمنع صرفهما[٤]، وصَرْف[٥] الأول ومَنْع الصرف في الثاني. وكذلك الخلاف في ﴿سَلَٰسِلَاْ ۝٤﴾ [الإنسان]. والأصل ألّا يُصرف، لأنه جمع منتهاه، وصُرف للمناسبة إذ بعد «سلاسل» قوله «أغلالاً»، وقبل هذين وبعدهما مصروفات.

﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿زَنجَبِيلًا﴾. وسلسبيل اسمها. والسلسبيل والسَّلسل

(١) ق: فيأتي.
(٢) النهاية ٢: ٣٤٣.
(٣) ق: يخافون.
(٤) ويمنع صرفهما: مكررة في ق.
(٥) ق: ويمنع صرف.

والسَّلسال: ما كان من الشراب غاية في السلاسلة.

وتقدّم شرح ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾[١] وتشبيه الولدان باللؤلؤ المنثور في بياضهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم في المساكن في خدمة أهل الجنة يجيئون ويذهبون.

وجواب ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾: ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾. ومفعول فعل الشرط محذوف حُذف اختصاراً، والمعنى: وإذا رميت ببصرك هناك. و﴿ثَمَّ﴾ ظرفٌ العامل فيه[٢] [«رأيت»]. وقيل: التقدير: وإذا رأيت ماثَمَّ، فحذف كما حذف في قوله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام] أي: ما بينكم.

وقرىء: خضر واستبرق، [برفعهما. «فخضر» صفة لقوله «ثياب»، و«استبرق»] معطوف على «ثياب». وقرىء بجرّهما، «فخضر» صفة «لسندس». و«سندس» اسم جنس وصف بالجمع، و«استبرق» معطوف على «خضر» على حذف مضاف تقديره: وثيابُ إستبرق، والهمزة فيه للقطع. والاستبرق تقدم شرحه[٣].

﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي موضع آخر ﴿مِن ذَهَبٍ ﴿٣١﴾﴾ [الكهف] أي: يُحلَّون منهما على التعاقب أو على الجمع بينهما كما يقع للنساء في الدنيا. ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ «طهوراً» صفة مبالغة في الطهارة، وهي من فعل لازم. وطهارتها لكونها لم يؤمر باجتنابها، وليست كخمر[٤] الدنيا التي هي في الشرع رجس.

---

(١) انظر شرح الآية ١٧ من الواقعة.
(٢) ق: فيه فيه، وفوقها: كذا.
(٣) انظر شرح الآيه ٣١ من الكهف.
(٤) ق: بخمر.

﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي لأعمالكم الصالحة ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي مقبولاً مُثاباً. [قال قتادة]: لقد شكر الله سعياً قليلاً.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

ولمّا ذكر أولاً حال الإنسان وقسمه[1] إلى العاصي والطائع [وأمعن] فيما أعدّه للطائع، ذكر ما شرّف به نبيه وحبيبه محمداً عليه السلام فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ الآية، وأمره بالصبر لحكمه. وجاء التوكيد «بنحن» بعد التوكيد «بإن» لمضمون الخبر ومدلول المخبر عنه، وأكّد الفعل بالمصدر.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ قال قتادة: نزلت في أبي جهل، قال: إن رأيت محمداً يصلّي لأطأن على عنقه. فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

والنهي عن طاعة كل واحد منهما أبلغ من النّهي عن طاعتهما، لأنه يستلزم النّهي عن طاعة أحدهما النهي عن طاعتهما، لأنّ في طاعتهما طاعة أحدهما.

ولو قال[3]: لا تضرب زيداً وعمراً، لجاز أن يكون نهياً عن ضربهما

(١) ق: وقسمته.
(٢) انظر اللباب ص٢٢٥. وانظر أيضاً البخاري ٤: ١٨٩٦.
(٣) ق: وقال.

جميعاً لا عن ضرب أحدهما والكفور وإن كان آثماً فإن فيه مبالغة في الكفر. ولما كان [من] يوصف بالكفور[1] مبايناً للموصوف بمجرد الإثم صلح التغاير فحسن العطف. وقيل: الآثم عُتبة والكفور الوليد، لأنّ عُتبة كان [٥٦٧/ب] ركّاباً للإثم متعاطياً لأنواع الفسوق، وكان الوليد غالباً في الكفر شديد الشكيمة في العتوّ.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً﴾ يعني صلاة الصبح. ﴿وَأَصِيلًا﴾ الظهر والعصر.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى الكفرة. ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يؤثرونها على الآخرة. ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ أي: أمامهم وهو ما يستقبلون من الزمان. ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استعير الثقل لليوم لشدّته وهوله من ثقل الجرم الذي يتعب به حامله.

﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أي: تبديل أمثالهم بإهلاكهم. ﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ ممن يطيع.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ أي: السورة، أو آيات القرآن، أو جملة الشريعة، ليس على جهة التخيير، بل على جهة التّحذير من اتّخاذ غير سبيل الله.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ مذهب أهل السنّة أنه نفي لقدرتهم على الاختراع وإيجاد المعاني في أنفسهم.

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ وهم المؤمنون. ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ منصوب بإضمار فعل يفسّره معنى ما بعده، تقديره: ويعذّب الظالمين.

---

(١) ق: الكفور.

مفردات سورة الدَّهر

الأمْشَاجُ: الأخْلاط، واحدُها: مَشَجٌ، بفتحتين، أو مِشْج، كعِدْل، أو مَشِيج، كشَرِيف وأشراف[1]، قاله ابنُ الأعرابي. وقال رُؤبة[2]:

يَـطْـرَحْـنَ كـلَّ مُـعْـجَـلٍ نَـشَّـاجِ　　لـم يُـكْـسَ جِـلْـداً مِـنْ دَمٍ أَمْـشَـاجِ

وقال الهُذَليّ:

كـأنَّ الـرِّيـشَ والـفُـوقَـيْـنِ مـنـهـا　　خِـلافَ الـنَّـصْـلِ سِـيـطَ بـه مَـشِـيـجُ[3]

وقال الشَّمَّاخ:

طَـوَتْ أحـشـاءَ مُـرْتِـجَـةٌ لـوقـتٍ　　عـلـى مَـشَـجٍ سُـلَالـتُـهُ مَـهِـيـنِ[4]

ويقال: مَشَجَ يَمْشِجُ مَشْجاً: إذا خَلَطَ، ومَشِيج كخليط، ومَمْشُوج كمخلوط.

مَزَجَ الشيءَ بالشيء: خَلَطَهُ، وقال الشاعر:

كـأنَّ سَـبِـيـئـةً مـن بـيـتِ رَأسٍ　　يـكـونُ مِـزَاجَـهـا عَـسَـلٌ ومـاءُ[5]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٤٠٨-٤٠٩، وقيَّد صاحب القاموس الكلام بقوله: وشيءٌ مَشِيج، كقتيل، وسَبَب، وكَتِف في لغتيه (أي: كَتْف وكِتْف).

(٢) ديوانه ص٣٢.

(٣) البيت لعمرو بن الداخل، وهو في ديوان الهُذليين ٣/١٠٤، وتفسير القرطبي ٢١/٤٤٧، واللسان (مشج)، والكامل ٢/١٠١٦، وروايةُ صدره فيه: كأنَّ المتنَ والشرخين منه. والفُوقُ: موضع الوتر من السهم.

(٤) ديوان الشَّمَّاخ ص٣٢٨. وينظر الكامل ٢/١٠١٧، والكشاف ٤/١٩٤، وتفسير القرطبي ٢١/٤٤٧، وخزانة الأدب ٤/٣٤٩.

(٥) البيت لحسان، وهو في ديوانه ص٨، قال المبرِّد في الكامل ١/١٦٤: يقال سبأتُها: إذا

استطارَ الشيءُ: انتشَرَ، وتقول العرب: استطارَ الصَّدْعُ في القارورة وشِبْهِها واستطالَ[١]، ومنه قول الشاعر:

فبانَتْ وقد أَسْأَرَتْ في الفؤا دِ صَدْعاً على نَأْيِها مُسْتَطِيرَا[٢]

وقال الفرَّاء: مستطير: مستطيل.

يقال: يومٌ قَمْطَرِير، وقُمَاطِر، واقْمَطَرَّ، فهو مُقْمَطِرٌّ: إذا كان صعباً شديداً. وقال الراجز:

قَدْ بَكَّرَتْ شَبْوَةُ[٣] تَزْبَئِرُّ تَكْسُو اسْتَهَا لحماً وتَقْمَطِرُّ[٤]

وقال الشاعر:

ففِرُّوا إذا ما الحَرْبُ ثارَ غُبارُها ولَجَّ بها اليومُ الشديدُ القُمَاطِرُ[٥]

وقال الزَّجَّاج[٦]: القَمْطَرِير الذي يَعْبِسُ[٧] حتى يجتمعَ ما بين عينيه، ويقال:

= اشتريتَها سِباءً، يعني الخمر، والسابئ: الخمَّار، وبيت رأس: موضع. اهـ. وقوله: «مِزاجَها» بالنصب رواية سيبويه على أنه خبر «يكون» وهو معرفة، و«عسلٌ» اسمها، وهو نكرة، وجوَّز أبو البقاء زيادة «يكون» بلفظ المضارع، وادَّعى أنها زائدة على رواية رفع «مزاجها» على المبتدأ، و«عسل» خبرها، ذكره البغدادي في خزانة الأدب، الشاهد (٧٣٢) وفيه بحث ينظر ثمة.

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٦. ونقله عنه القرطبي ٢١/ ٤٥٨.

(٢) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص١٤٣ برواية: أورثَتْ، بدل: أسأرت، وهو برواية المصنف في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٨.

(٣) في مطبوع البحر: قد جعلت شَبْوةُ. وينظر التعليق التالي.

(٤) جمهرة اللغة (شبو)، والمستقصى في الأمثال ٢/ ١٩٠، وجمهرة الأمثال ١/ ١٠٠، وهو في اللسان (قمطر) برواية: قد جَعَلَتْ شبوةُ... الخ، وكذلك هو في اللسان (شبو) وبرواية: تقشعرُّ، بدل: تقمطرُّ. وشَبْوَة: العقرب، قال الفيروز أبادي: وتدخلها «أل». اهـ. وتزبئرُّ: تنتفش.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦٨، وروايته فيها: العَبُوسُ القُماطِرُ.

(٦) ينظر معانيه ٥/ ٢٥٩.

(٧) تحرَّفت اللفظة في (أ) والمطبوع إلى: يعيش.

اقْمَطَرَّتِ الناقة: إذا رفعَتْ ذنَبَها، وجمعت قُطْرَيْها، وزمَّتْ بأنفِها، فاشتقَّه من القُطْر وجعلَ الميم مزيدة. قال أسد بن ناعصة:

واصْطَلَيْتُ الحروبَ في كلِّ يومٍ   باسلِ الشَّرِّ قمطريرِ الصَّباحِ[1]

واختُلف في هذا الوزن، وأكثرُ النحاة لا يثبت «افمعلّ» في أوزان الأفعال.

الزَّمهرير: أشَدُّ البرد، وقال ثعلب: هو القمرُ بلغة طَيِّئٍ، وأنشدَ قول الراجز:

وليلةٍ ظَلَامُها قدِ اعتَكَرْ
قَطَعْتُها والزَّمْهَرِيرُ ما زَهَرْ[2]

القارورة: إناءٌ رقيقٌ صافٍ توضعُ فيه الأشربة، قيل: ويكون من الزُّجاج.

الزَّنْجَبِيل؛ قال الدِّينَوَرِيّ[3]: نبتٌ في أرضِ عُمان، عروقٌ تَسْرِي في الأرض وليس بشجرة، يؤكلُ رَطْباً، وأجودُه ما يُحْمَلُ من بلاد الصِّين، كانت العربُ تُحِبُّهُ لأنه يُوجب لَذْعاً في اللسان إذا مُزج بالشراب فيَلْتَذُّونَ به، قال الشاعر:

كأنَّ جَنِيًّا من الزَّنْجَبِيـ   ـلِ بَاتَا بِفِيها وأَرْياً مَشُورَا[4]

وقال المسيَّب بنُ عَلَس:

وكأنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبيلِ بهِ   إذْ ذُقْتَهُ وسُلافَةَ الخمرِ[5]

(١) الكشاف ٤/ ١٩٧ (والكلام منه) وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦٨.

(٢) ينظر الرَّجز والكلام قبله في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٢، والكشاف ٤/ ١٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧١. والرَّجز أيضاً في النكت والعيون ٦/ ١٩٦ برواية: ما ظهر.

(٣) في كتاب النبات ص٢١٤.

(٤) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص١٤٣، برواية: خالط فاها، بدل: باتا بفيها، وهو في الكشاف ٤/ ١٩٨ برواية: كأن القرنفل والزَّنجبيل... الخ. الأرْيُ: العَسَل، والمَشُور أي: المَجْنِيّ.

(٥) الشعر والشعراء ١/ ١٧٥، والنكت والعيون ٦/ ١٧١، والكشاف ٤/ ١٩٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٧، وسُلافةُ الخمر: أفضلها، والمسيَّب بن عَلَس خال الأعشى، واسمُه زهير، ولقِّب بالمسيَّب ببيت قاله.

السَّلْسَبِيل والسَّلْسَل والسَّلْسَالُ: ما كانَ من الشَّراب غايةً في السَّلاسَة، قاله الزَّجَّاج(١)، وقال ابنُ الأعرابيّ: لَم أسمع السَّلْسَبيلَ إلا في القرآن(٢).

«ثَمَّ» ظرف مكان للبُعْد.

* * *

سورة الدهر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ① إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ
أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③ إِنَّآ
أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ④ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
كَافُورًا ⑤ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ⑥ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ
مُسْتَطِيرًا ⑦ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ⑨ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ⑩ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ
وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ⑪ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ⑫ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا
شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ⑬ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ⑭﴾.

هذه السورةُ مكيَّة في قول الجمهور(٣).

وقال مجاهد وقتادة: مدنية.

وقال الحسن وعكرمة: مدنية إلا آية واحدة فإنها مكيَّة، وهي ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

---

(١) بنحوه في معانيه ٥/ ٢٦١، وينظر الكشاف ٤/ ١٩٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣، واللسان (سلسل).

(٣) لم أقف على هذا القول، وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨ أن بعض المفسّرين قال: هي مكية كلها، وذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٢٧ في قول: أنها مدنية كلُّها، وقال القرطبي ٢١/ ٤٤٣ هو قول الجمهور.

وقيل: مدنيَّة إلا من قوله: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ إلى آخرها، فإنه مكّيّ، حكاه الماورديُّ[(١)].

ومناسبتُها لِمَا قبلَها ظاهرةٌ جدًّا لا تحتاجُ إلى شرح.

«هل» حرف استفهام، وإن دخلَ على الجملة الاسمية لا يمكن تأويلُه بـ «قَدْ» لأنَّ «قَدْ» من خواصّ الفعل، وإن دخلت على الفعل فالأكثر أنْ تأتيَ للاستفهام المحض.

وقال ابنُ عبَّاس وقتادة: هي هنا بمعنى «قد»[(٢)]. قيل: لأنَّ الأصل: «أَهَلْ»، فكأنَّ الهمزة حُذفت واجْتُزِئَ بها في الاستفهام، ويدلُّ على ذلك قوله:

سائِلْ فوارسَ يَرْبُوعٍ بجهلتها[(٣)] أَهَلْ رَأَوْنا بِوادِي القُفِّ ذِي الأَكَمِ[(٤)]

فالمعنى: أقد أتى؟ على التقرير والتقريب جميعاً، أي: أتَى على الإنسان قبل زمان قريب حينٌ من الدَّهر. وقيل: «هل» هنا للاستفهام المحض، أي: هو ممَّن يُسألُ عنه لغرابته: أأَتَى عليه حينٌ من الدَّهرِ[(٥)] لم يكن كذا؟ فإنه يكون الجواب: أتَى عليه ذلك وهو بالحال المذكورة.

ولما تُلِيَتْ عند أبي بكر ـ وقيل عند عُمر رضي الله تعالى عنهما ـ قال: ليتها تَمَّتْ. أي: ليت تلك الحالةَ تَمَّتْ، وهي كونُه شيئاً غيرَ مذكورٍ ولم يُخْلَقْ. ولم يُكلَّف[(٦)].

---

(١) ينظر النكت والعيون ٦/ ١٦١، والمصادر السالفة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨.

(٣) كذا في (أ) و(ع)، ورسمُها في (يه): بحلقتها، وفي المطبوع: لحلتها، ولم ترد هذه اللفظة في (ت). ولم تتبيَّن لي، وفي المصادر: بشدَّتنا.

(٤) البيت لزيد الخيل، وهو في ديوانه ص١٠٠، وفيه: ... بشدَّتنا، أَهَلْ رَأَوْنا بسفح القاع... وكذا هو في خزانة الأدب ١١/ ٢٦١، والكشاف ٤/ ١٩٤ (وفيه عجزُه) وروايتُه في المقتضب ١/ ٤٤ وأمالي ابن الشجري ١/ ١٦٣ والخصائص ٢/ ٤٦٣: بسفح القُفّ، والقُفُّ ـ كما في الأمالي ـ ما ارتفع من الأرض في صلابة.

(٥) من قوله: وقيل: «هل» للاستفهام... إلى هذا الموضع، سقط من (أ) والمطبوع.

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٣٧ عن عمر، وبنحوه في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٤٦ عن أبي بكر ﷺ، وعن بعضهم في الكشاف ٤/ ١٩٤.

و«الإنسان» هنا جنس بني آدم، والحِينُ الذي مَرَّ عليه إمَّا حينُ عَدَمِه، وإمَّا حينُ كونِهِ نطفةً، وانتقالُه من رُتبة إلى رُتبة حتى حينِ إمكانِ خطابِه، فإنه في تلك المدَّة لا ذِكْرَ له، وسُمِّيَ إنساناً باعتبار ما صارَ إليه.

وقيل: آدمُ عليه السلام، والحينُ الذي مَرَّ عليه المدةُ التي بقيَ فيها إلى أنْ نُفِخَ فيه الرُّوح.

وعن ابن عبَّاس: بقيَ طيناً أربعين سنةً، ثم صَلْصالاً أربعين، ثم حَمَأً مَسْنُوناً أربعين، فَتمَّ خَلْقُه في مئة وعشرين سنةً[1] وسُمِّيَ إنساناً باعتبار ما آلَ إليه.

والجملةُ من «لَم يَكُنْ» في موضع الحال من الإنسان، كأنه قيل: غيرَ مذكور، وهو الظاهر، أو في موضع الصفة لـ «حِين» فيكونُ العائدُ على الموصوف محذوفاً، أي: لم يكن فيه.

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ هو جنس بني آدم، لأنَّ آدمَ لم يُخلق من نُطفة.

﴿أَمْشَاجٍ﴾: أخلاط، وهو وصفٌ للنُّطفة، فقال ابن مسعود وأسامة بنُ زيد عن أبيه: هي العروقُ التي في النُّطفة.

وقال ابن عباس ومجاهد والرَّبيع: هو ماءُ الرجل وماءُ المرأة اختلطا في الرَّحِم، فخُلِقَ الإنسانُ منهما.

وقال الحسن: اختلاطُ النُّطفة بدم الحيض، فإذا حَبِلَتْ ارتفعَ الحيض.

وقال ابن عباس أيضاً وعكرمة وقتادة: «أمشاج» منتقلة من نطفة إلى علقة، إلى مضغة، إلى غير ذلك، إلى إنشائه إنساناً.

وقال ابن عباس أيضاً والكلبي: هي ألوانُ النُّطفة[2].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٤٤، وفيهما ذكرُ الحمأ المسنونِ قبل الصَّلْصَال.

(٢) تنظر الأقوال بعضها دون بعض في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٣٣-٥٣٥، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٣٨، والنكت والعيون ٦/ ١٦٢-١٦٣، والكشاف ٤/ ١٩٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٤٧-٤٤٨.

وقيل: أخلاط الدَّم والبَلْغَم والصَّفْراء والسَّوْدَاء.

والنُّطفة أُرِيدَ بها الجنس، فلذلك وُصفت بالجمع، كقوله: ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] أو لتنزيل كلِّ جزءٍ من النُّطفةِ نطفةً.

وقال الزمخشري[(١)]: «نطفةٍ أمشاجٍ» كبُرْمَةٍ أعْشَارٍ، وبُرْدٍ أكْيَاشٍ[(٢)]، وهي ألفاظٌ مفردة غيرُ جُمُوع، ولذلك وقعت صفاتٍ للأفراد، ويقال أيضاً: نطفةٌ مَشَجٌ، ولا يصحُّ «أمْشَاج» أن يكون تكسيراً له، بل هما مِثْلانِ في الإفرادِ لوصفِ المفردِ بهما. انتهى.

وقولُه مخالفٌ لنصِّ سيبويه والنَّحْويِّين على أنَّ «أفعالاً» لا يكون مفرداً، قال سيبويه[(٣)]: وليس في الكلام «أفعال» إلا أن يُكَسَّرَ عليه اسماً للجميع، وما وَرَدَ من وصف المفرد بـ «أفعال» تأوَّلُوه[(٤)].

﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ أي: نختبرُه بالتكليف في الدُّنيا، وعن ابنِ عبَّاس[(٥)]: نُصَرِّفُه في بطن أمِّه نطفةً ثم علقة، فعلى هذا هي حال مصاحِبة، وعلى أنَّ المعنى: نختبره بالتكليف، فهي حال مقدَّرة، لأنه تعالى حين خلقَه من نطفة لم يكن مُبتَلِياً له بالتكليف في ذلك الوقت.

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يُراد: ناقلين له من حالٍ إلى حال، فسَمَّى ذلك ابتلاءً على طريق الاستعارة. انتهى. وهذا معنى قول ابن عباس.

وقيل: «نبتليه» بالإيجادِ والكونِ في الدُّنيا، فهي حال مقارِنة.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٤.

(٢) البُرْمَة: القِدْرُ من الحجارة، وأعشار، أي: مُكَسَّرة على عَشْرِ قِطَع. والبُرْد: ثوبٌ مخطَّط، وأكْياش، أي: أُعِيدَ غزلُه، مثل الخزّ والصوف، أو هو الرديء. ينظر القاموس.

(٣) ينظر الكتاب ٣/ ٤٩٦.

(٤) نقل السمين في الدُّرِّ المصون ١٠/ ٥٩٢ كلام المصنف هذا وتعقَّبه بقوله: هو (أي الزمخشري) لم يجعل «أفعالاً» مفرداً، إنما قال: يوصف به المفرد.

(٥) الكشاف ٤/ ١٩٥.

وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، الأصل: فجعلناه سميعاً بصيراً نبتليه، أي جَعلُه سميعاً بصيراً هو للابتلاء[١]. ولا حاجة إلى ادّعاء التقديم والتأخير، والمعنى يصحُّ بخلافه. وامتنَّ تعالى عليه بجعله بهاتين الصفتين، وهما كنايةٌ عن التمييز والفهم، إذ آلتهُما سببٌ لذلك، وهما أشرفُ الحواسّ تُدرَكُ بهما معظم المدرَكات.

ولمَّا جعلَه بهذه المثابةِ أخبرَ تعالى أنه هَدَاه إلى السبيل، أي: أرشدَه إلى الطريق، وعرَّفْناهُ[٢] مآلَ طريقِ النَّجاة ومآلَ طريق الهلاك، إذْ[٣] أرشَدْناه طريقَ الهُدى.

وقال مجاهد: سبيل السعادة والشقاوة.

وقال السُّدِّيّ: سبيل الخروج من الرَّحِم.

وقال الزمخشريّ: أي: مكَّنَّاهُ وأقْدَرْناهُ في حالتيه جميعاً، أو إذْ[٤]دعوناه إلى الإسلام بأدلَّة العقل والسمع كان معلوماً منه أنه يؤمن أو يكفر لإلزام الحجَّة. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

وقرأ الجمهور: «إمَّا» بكسر الهمزة فيهما، وأبو السَّمَّال وأبو العاج ـ وهو كثير بنُ عبد الله السُّلَميّ، شاميّ، وليَ البصرةَ لهشام بن عبد الملك ـ بفتحها فيهما[٥]، وهي لغة حكاها أبو زيد عن العرب، وهي التي عدَّها بعضُ الناس في حروف العطف، وأنشدوا:

تُلَقِّحُها أمَّا شَمالٌ عَرِيَّةٌ ... وأمَّا صَباً جِنْحَ العَشِيِّ هَبُوبُ[٦]

(١) القولان في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩.
(٢) في (أ) و(ت) والمطبوع: وعرَّفنا.
(٣) في (يه): أو، بدل: إذ.
(٤) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: وإذْ، بدل: أو إذ، ولفظة «إذْ» ليست في الكشاف ٤/ ١٩٥ (والكلام منه)، والمثبت من (يه).
(٥) القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩.
(٦) المقرّب ١/ ٢٣١، ورصف المباني ص١٠١، ونُسب في خزانة الأدب ١١/ ٨٧ لأبي القمقام، وذكر البغدادي فيه أن الفراء رواه: أيما، في الموضعين. وعَرِيَّة ـ كما في القاموس ـ الرِّيحُ الباردة.

وقال الزمخشريّ: وهي قراءة حسنة، والمعنى أمَّا شاكراً فبتوفيقنا، وأمَّا كفوراً فبِسُوءِ اختيارِه. انتهى[(١)].

فجلعَها «أمَّا» التفصيلية المتضمِّنة معنى الشرط، ولذلك تلقَّاها بفاء الجواب، فصار كقول العرب: أمَّا صديقاً فصديق.

وانتصب «شاكراً» و«كَفُوراً» على الحال من ضمير النصب في «هَدَيْناه».

وقال الزمخشريّ: ويجوز أن يكونا حالين من «السَّبِيل» أي: عرَّفْناه السَّبيل إمَّا سبيلاً شاكراً وإما سبيلاً كَفُوراً، كقوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١١] فوصفُ السَّبيلِ بالشكرِ والكفرِ مجاز. انتهى.

ولمَّا كان الشكرُ قلَّ من يتَّصفُ به قال: «شاكراً» ولمَّا كان الكفر كثُرَ من يتَّصفُ به[(٢)] ويكثُرُ وقوعُه من الإنسان بخلاف الشكر جاء «كفوراً» بصيغة المبالغة[(٣)].

ولمَّا ذكرَ الفريقين أتبعهما الوعيدَ والوعد.

وقرأ طلحة وعَمرو بن عُبيد وابن كثير وأبو عَمرو وحمزة: «سلاسلَ» ممنوع الصَّرف وَقْفاً ووصلاً، وقيل عن حمزة وأبي عَمرو الوقف بالألف[(٤)].

وقرأ حفص وابنُ ذكوان بمنع الصَّرْف، واختُلف عنهم في الوقف، وكذا عن البَزّيّ[(٥)].

وقرأ باقي السبعة بالتنوين وصلاً وبالألف المبدَلة منه وقفاً، وهي قراءة الأعمش، قيل: وهذا على ما حكاه الأخفش[(٦)] من لغة من يصرفُ كلَّ ما لا ينصرف

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٥. قال الآلوسي في روح المعاني ٢٨/ ١٣٢: وهذا التقدير إبرازٌ منه للمذهب.

(٢) في (يه): قلَّما يتصف به... كثر ما يتصف به...

(٣) بنحوه في النكت والعيون ٦/ ١٦٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩.

(٥) ينظر السبعة ص٦٦٣، والتيسير ص٢١٧.

(٦) ذكره عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٩.

إلا «أفعَل مِن» وهي لغة الشعراء، ثم كثُر حتى جرى في كلامهم، وعلّل ذلك بأنَّ هذا الجمع لمَّا كان يُجمع فقالوا: صواحبات يوسف[١]، ونواكسي الأبصار[٢]، أشبهَ المفرد، فجرى فيه الصَّرْف. وقال بعض الرُّجَّاز:

والصرفُ في الجمعِ أتَى كثيرا حتى ادَّعى قومٌ به التخييرَا[٣]

والصَّرْفُ ثابتٌ في مصاحف المدينةِ ومكةَ والكوفةِ والبصرة، وفي مصحف أُبيّ وعبدِ الله، وكذا «قوارير».

وروى هشام عن ابنِ عامر: «سلاسلَ» في الوصل، و«سَلاسِلا» بألف دون تنوين في الوقف، ورُويَ أنَّ من العرب من يقولُ: «رأيتُ عَمْرَا» بالألف في الوقف[٤].

﴿مِن كَأْسٍ﴾ «مِنْ» لابتداء الغاية.

﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ قال قتادة: يُمْزَجُ لهم بالكافور، ويُخْتَمُ لهم بالمِسْك[٥].

وقيل: هو على التشبيه، أي: طِيبِ رائحةٍ وبَرْدٍ كالكافور[٦].

---

(١) جاء هذا اللفظ في حديث عائشة ﵂ في خبر مرضه ﷺ الذي قال فيه: «مُرُوا أبا بكر فليصلِّ بالناس» وهو في صحيح ابن حبان (٢١٢٠) وغيره، ولفظه في صحيح البخاري (٦٦٤) وصحيح مسلم (٤١٨): (٩٥): صواحب يوسف. قال الأخفش في معانيه (الشاهد ٢٥١): وهذا المذهب يكون فيه المذكر: صواحبون.

(٢) جاء هذا القول في بيت ذكره السمين في الدر المصون ١٠/٥٩٨، وهو للفرزدق:

وإذا الرِّجالُ رأَوْا يزيدَ رأيتَهم خُضُعَ الرِّقابِ نواكسي الأبصارِ

قال السمين: الأصل: نواكِسين، فحذفت النون للإضافة، والياء لفظاً (لا خطًّا) لالتقاء الساكنين، وهذا على رواية كسر السين، والأشهر فيها نصبُ السين، فلما جُمع شابَهَ المفرداتِ فانصرف.

(٣) سلف في تفسير سورة الحج (٣٦).

(٤) المحرر الوجيز ٥/٤٠٩.

(٥) تفسير كل من الطبري ٢٣/٥٣٩، والثعلبي ٦/٣٣٩، والكشاف ٤/١٩٥-١٩٦، والمحرر الوجيز ٥/٤٠٩، وتفسير القرطبي ٢١/٤٥٤.

(٦) بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/٣٣٩ والقرطبي ٢١/٤٥٥، وفيهما آخر القول زيادة: لأن الكافور لا يُشرب.

وقال الكلبيّ: «كافور» اسم عين في الجنة[١]، وصُرفت لتوافق الآي.

وقرأ عبد الله: «قافورا» بالقاف بدل الكاف، وهما كثيراً ما يتعاقبان في الكلمة كقولهم: عربيّ قُحّ وكُحّ.

و«عَيْناً» بدل من «كافوراً»، أو مفعولاً[٢] بـ «يشربون» أي: ماءَ عَيْن، أو بدلٌ من محلّ «من كأس» على حذف مضاف، أي: يشربون خمراً خمرَ عَيْن، أو نصبٌ على الاختصاص.

ولما كانت الكأسُ مبدأ شُربِهم أتَى بـ «من» وفي «يشربُ بها» أي: يُمزجُ شرابُهم بها أتَى بالباء الدالَّةِ على الإلصاق، والمعنى: يشربُ عبادُ الله بها الخمرَ كما تقول: شربتُ الماءَ بالعسل[٣]، أو ضُمِّن «يشربُ» معنى «يَرْوَى» فعُدِّيَ بالباء[٤].

وقيل: الباء زائدة، والمعنى: يشربُها[٥]، وقال الهُذَليّ:

شَرِبْنَ بماءِ البحرِ ثمَّ تَرفَّعَتْ مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ[٦]

قيل: أي شَرِبْنَ ماءَ البحر، وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «يَشْرَبُها»[٧].

و«عبادُ الله» هنا هم المؤمنون ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾: يَبْثُقُونَها[٨] بعُودِ قَصَبٍ ونحوِه حيث

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٥، ونُسب القول في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٤ لابن عباس ﷺ.

(٢) كذا. والجادَّة: أو مفعولٌ.

(٣) الكشاف ٤/ ١٩٦.

(٤) ينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٦.

(٥) المصدران السالفان، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٠.

(٦) البيت لأبي ذُؤيب الهُذلي، وهو في ديوان الهُذَليين ١/ ٥٢. قال البطليوسي في شرح أدب الكاتب ٣/ ٣٧٢: وصفَ سحاباً ارتفعت من البحر، وهُذيل كلها تصف أن السحاب تستقي من البحر ثم تصعد في الجوّ، وقوله: متى لُججٍ، أي: من لُجج، وقيل: متى بمعنى وسط، والنَّئيج: المَرُّ السريع معه صوت. اهـ. وسلفَ قوله: «شَرِبْنَ بماء البحر» أول الكتاب في الكلام على البسملة.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وهذه القراءة تدلُّ على زيادة الباء. ينظر الدر المصون ١٠/ ٦٠٠.

(٨) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: يثقبونها، وهو تحريف.

شاؤوا، فهي تجري عند كلِّ أحدٍ منهم، هكذا وردَ الأثر[١].

وقيل هي عينٌ في دارِ رسولِ الله ﷺ تفجّرُ[٢] إلى دور الأنبياء والمؤمنين.

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ في الدُّنيا وكانوا يخافون[٣].

وقال الزمخشريّ: «يوفون» جوابُ مَنْ عَسَى يقولُ: ما لَهم يُرزقون ذلك؟ انتهى. فاستعملَ «عَسَى» صلة لـ «مَنْ» وهو لا يجوز، وأتى بعد «عَسَى» بالمضارع غير مقرون بـ «أَنْ» وهو قليل أو في شِعر.

والظاهر أنَّ المرادَ بالنَّذْرِ ما هو المعهودُ في الشريعة أنه نَذْرٌ، قال الأصمّ وتبعَه الزمخشريّ: هذا مبالغةٌ في وصفهم بالتوفُّر على أداء الواجبات، لأنَّ مَنْ وَفَّى بما أوجبَهُ هو على نفسه كانَ لِما أوجبَهُ الله تعالى عليه أَوْفَى.

وقيل: النَّذْرُ هنا عامٌّ لِما أوجبَه اللهُ تعالى وما أوجبَه العبدُ، فيدخُل فيه الإيمانُ وجميعُ الطاعات.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: على حُبِّ الطعام، إذْ هو محبوبٌ للفاقة والحاجة؛ قاله ابنُ عباس ومجاهد[٤].

أو على حُبِّ الله، أي: لوجهِهِ وابتغاءِ مرضاتِه؛ قاله الفُضيل بنُ عِياض وأبو سليمان الدَّارانيّ[٥].

---

(١) في (أ) و(ت) والمطبوع. عند كل واحد منهم، هكذا ورد في الأثر. والكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠.

(٢) في (أ) والمطبوع: تنفجر، والقول في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠ عن الثعلبي.

(٣) هذا على تقدير الفرَّاء؛ ونقل عنه السمين في الدُّر المصون ١٠/ ٦٠١ أن التقدير: «كانوا يوفون بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون» ثم قال السمين: هذا ما لا حاجة إليه. وينظر معاني الفراء ٣/ ٢١٦.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٤٣، والثعلبي ٦/ ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٠، وزاد المسير ٨/ ٤٣٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٨-٤٥٩.

(٥) قول الداراني في المصادر: على حُبِّ الله، وقول الفُضيل بن عياض كما في تفسير القرطبي: على حُبِّ إطعام الطعام.

والأوَّلُ أمدحُ لأنَّ فيه الإيثارَ على النفس، وأما الثاني فقد يفعلُه الأغنياء أكثر.

وقال الحُسين بنُ الفَضْل: على حُبِّ الإطْعام، أي: محبِّين في فعلِهم ذلك، لا رِياءَ فيه ولا تكلُّف[(١)].

﴿مِسْكِينًا﴾ وهو الطَّوَّافُ المتكشِّفُ[(٢)] في السؤال. ﴿وَيَتِيمًا﴾ هو الصبيُّ الذي لا أبَ له ﴿وَأَسِيرًا ۝٨﴾ الأسيرُ معروف، وهو من الكفَّار، قاله قتادة.

وقيل: من المسلمين، تُرِكوا في بلاد الكفَّار رهائن وخرجُوا لطلبِ الفِداء.

وقال ابنُ جُبير وعطاء: هو الأسير من أهل القِبلة[(٣)].

وقيل: «وأسيراً» استعارة وتشبيه، فقال مجاهد وابنُ جُبير وعطاء: هو المسجون[(٤)].

وقال أبو حمزة الثُّمالي: هي الزَّوجة.

وعن أبي سعيد الخُدْري: هو المملوك والمسجون[(٥)].

وفي الحديث: «غَرِيمُك أسِيرُك، فأحْسِنْ إلى أسِيرِك»[(٦)].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ هو على إضمار القول، ويجوزُ أن يكونوا صرَّحُوا به خِطاباً للمذكورين منعاً منهم[(٧)] عن المجازاة بمثله أو الشكر، لأنَّ إحسانَهم مفعولٌ لوَجْهِ الله تعالى، فلا معنى لمكافأة الخلق، وهذا هو الظاهر.

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٠ (والكلام منه).

(٢) في (أ) والمطبوع: المنكسر. والقول في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠.

(٣) في زاد المسير ٨/ ٤٣٣: هو المسجون من أهل القبلة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠.

(٥) القولان في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٠-٤١١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٠٩-٤١٠.

(٦) أورده الزمخشري ٤/ ١٩٦، ولم أقف عليه في مصادر الحديث، وفي سنن أبي داود (٣٦٢٩) من حديث هِرْماس بن حبيب رجل من أهل البادية، عن أبيه، عن جدِّه قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ بغريم لي فقال لي: «الْزَمْهُ». ثم قال لي: «يا أخا بني تميم، ما تريد أن تفعل بأسيرِك؟». فسمَّى الغريمَ أسيراً. وهِرْماس بن حبيب مجهول.

(٧) في الكشاف ٤/ ١٩٦ (والكلام فيه): لهم.

وقال مجاهد: أما إنَّهم ما تكلَّمُوا به، ولكنَّ الله تعالى عَلِمَهُ منهم، فأثْنَى عليهم به[١].

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ أي: بالأفعال ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ أي: ثناءً بالأقوال.

وهذه الآية قيل: نزلت في علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه، وذكر النقَّاش في ذلك حكايةً طويلةً جدًّا ظاهرةَ الاختلاف، وفيها أشعارٌ للمسكين واليتيم والأسير يخاطبون بها بيت النبوة، وأشعارٌ لفاطمة ﵂ تُخاطبُ كلَّ واحد منهم، ظاهرُها الاختلاف لِسَفْسَافِ ألفاظِها وكسرِ أبياتها وسَفَاطةِ معانيها[٢].

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ نسبة العُبوس إلى اليوم مجاز؛ قال ابن عباس: يَعْبِسُ الكافر يومئذٍ حتى يسيلَ من عينيه عَرَقٌ كالقَطِران[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿فَوَقَىٰهُمُ﴾ بخفَّ[٤] القاف، وأبو جعفر بشدِّها[٥].

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً﴾ بَدَلَ عُبُوسِ الكافرِ ﴿وَسُرُورًا﴾ فَرَحاً بَدَلَ حُزْنِه، ولا تكادُ تكونُ النَّضْرَةُ إلا مع فَرَحِ النَّفسِ وقُرَّةِ العين.

وقرأ الجمهور: ﴿وَجَزَىٰهُم﴾ وعليّ: «وجازاهم»[٦] على وزن فاعل.

﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ أي: بستاناً فيه كلُّ مأكلٍ هنيّ، وحريراً فيه ملبسٌ بهيّ، وناسبَ ذكرُ الحرير مع الجنة لأنهم أوثروا على صبرهم على الجوع والعُرْي.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿شَمْسًا﴾ أي: حَرَّ شمسٍ ولا شدَّةَ برد، أي:

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/٥٤٦، والكشاف ٤/١٩٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦٠.
(٢) القصة بطولها في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٣-٣٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦١-٤٦٦، وذكر القرطبي في صدر إيراده الخبر أنه لا يصحُّ ولا يثبت، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٥٠٣-٥٠٥.
(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦٧.
(٤) في (أ) و(ت) والمطبوع: بخفة.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤١١.
(٦) المصدر السالف.

لا شمسَ فيها فتُرَى فيؤذي حرُّها، ولا زمهريرَ يُرَى فيؤذي بشدَّتِه، أي: هي معتدلةُ الهواء[١]، وفي الحديث: «هواءُ الجنة سَجْسَج، لا حَرَّ ولا قَرَّ»[٢].

وقيل: لا يرون فيها شمساً ولا قمراً، والزَّمهرير في لغة طيِّئ القمر[٣].

وقرأ الجمهور: ﴿وَدَانِيَةً﴾ قال الزجَّاج: هو حال عطفاً على «مُتَّكئين» وقال أيضاً: ويجوزُ أن يكون صفة للجنة، فالمعنى: وجزاهم جنَّةً دانيةً[٤].

وقال الزمخشري ما معناه: إنها حالٌ معطوفةٌ على حال، وهي «لا يَرَوْنَ» أي: غيرَ رائين، ودخلت الواو للدلالةِ على أنَّ الأمرَيْن مجتمعان لهم، كأنه قيل: وجزاهم جنةً جامعين فيها بين البُعد عن الحَرِّ والقَرِّ ودُنُوِّ الظِّلالِ عليهم.

وقرأ أبو حَيْوَة: «ودانيةٌ» بالرفع[٥]، واستدلَّ به الأخفش على جواز رفع اسم الفاعل من غير أن يعتمد، نحو قولك: قائم الزيدون، ولا حجَّة فيه لأنَّ الأظهر أن يكون «ظِلالُها» مبتدأ، و«دانيةٌ» خبرٌ له.

وقرأ الأعمش: «ودَانِياً عليهم»[٦] وهو كقوله: خاشعاً أبصارُهم، وقرأ أُبيّ: «ودَانٍ» مفرد مرفوع[٧]، فهذا يمكن أن يستدلَّ به الأخفش.

---

(١) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٩٧.

(٢) الكشاف ٤/ ١٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧١، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٢٥) وابن أبي شيبة ١٣/ ١٠٠عن عبد الله بن مسعود موقوفاً. والسَّجْسَج ـ كما في تفسير القرطبي ـ الظلُّ الممتدّ كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس.

(٣) الكشاف ٤/ ١٩٧ وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧١ عن ثعلب، وسلف في المفردات قول الراجز، وفيه: والزَّمهريرُ ما ظَهَرْ.

(٤) الكلام في المحرر الوجيز ٥/ ٤١١، وينظر معاني الزجاج ٥/ ٢٥٨.

(٥) القراءة في الكشاف ٤/ ١٩٧ وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٣ دون نسبة، ونُسبت في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ٤١١ لأبي جعفر، ولعله خطأ، فلم تُذكر هذه القراءة لأبي جعفر في النشر.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٤١١، ونُسبت في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٣ لابن مسعود ﷺ.

(٧) القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٣.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ قال قتادة ومجاهد وسفيان: إنْ كانَ الإنسان قائماً تناولَ الثمرَ دون كُلْفة، وإن كان قاعداً أو مضطجعاً فكذلك، فهذا تذليلُها لا يردُّ اليدَ عنها بُعدٌ ولا شَوْك[1].

فأمَّا على قراءة الجمهور: «ودانيةً» بالنصب؛ كان «وذُلِّلت» معطوفاً على «دانيةً» لأنها في تقدير المفرد، أي: ومُذلَّلَةً، وعلى قراءة الرفع كان من عطف جملة فعلية على جملة اسمية، ويجوزُ أن تكونَ في موضع الحال، أي: وقد ذُلِّلَتْ، رفعتَ «دانية» أو نصبتَ.

* * *

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾.

لمَّا وصفَ تعالى طعامَهم وسُكناهم وهيئةَ جُلوسِهم، ذكرَ شرابَهم، وقدَّمَ ذِكْرَ الآنية التي يُسْقَوْنَ منها.

والآنية جمع إناء، وتقدَّم شرحُ الأكواب.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٥٣-٥٥٤، والنكت والعيون ٦/ ١٦٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٣.

وقرأ نافع والكسائيّ وأبو بكر[(١)]: «قواريراً قواريراً» بتنوينهما وصلاً، وبإبدالِه ألفاً وقفاً، وابنُ عامر وحمزة وأبو عَمرو وحفص بمنع صرفِهما، وابنُ كثير بصرفِ الأوَّل ومنع الصَّرف في الثاني[(٢)].

وقال الزمخشريّ[(٣)]: وهذا التنوينُ بدلٌ من ألف الإطلاق لأنه فاصلة، وفي الثاني لإتْباعِهِ الأول. انتهى. وكذا قال في قراءة مَنْ قرأ «سَلَاسِلاً» بالتنوين: إنَّه بدلٌ من حرف الإطلاق، أجرى الفواصل مُجرى أبيات الشعر، فكما أنه يدخل التنوين في القوافي المطلقة إشعاراً بترك الترنّم كما قال:

يـا صـاح مـا هـاجَ الـدُّمـوعَ الـذُّرَّفَـنْ[(٤)]

فهذه النونُ بدلٌ من الألف، إذْ لو ترنَّم لوقفَ بألف الإطلاق.

﴿مِن فِضَّةٍ﴾ أي: مخلوقةٌ من فضَّة، ومعنى «كانَتْ» أنه أوجدَها تعالى في قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ تفخيماً لتلك الخِلْقَةِ العجيبةِ الشأن الجامعةِ بين بياضِ الفضَّة ونُصوعِها وشفيفِ القوارير وصفائِها، ومن ذلك قوله: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[(٥)].

وقرأ الأعمش: «قَوَارِيرُ من فضَّة» بالرفع، أي: هي قوارير[(٦)].

وقرأ الجمهور: «قَدَّرُوها» مبنيًّا للفاعل، والضميرُ للملائكة، أو للطُّوَّافِ عليهم، أو للمنعَّمِين، والتقدير: على قَدْرِ الأكفّ؛ قاله الرَّبيع، أو على قَدْرِ الرِّيّ؛ قاله مجاهد[(٧)].

---

(١) قوله: وأبو بكر، من (يه)، وسقط من النسخ الأخرى والمطبوع.

(٢) ينظر الوقف والابتداء لابن الأنباري ١/٣٦٨، والسبعة ص٦٦٣، والتيسير ٢١٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٥٠، والدر المصون ١٠/٦٠٨.

(٣) ٤/ ١٩٨.

(٤) الرَّجَز للعجَّاج، وهو في ديوانه ص٤٢١، والكتاب ٤/ ٢٠٧.

(٥) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٩٨.

(٦) القراءات الشاذة ص١٦٦، وهي في الكشاف ٤/ ١٩٨ دون نسبة.

(٧) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٥٨، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢ (والكلام منه)، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٥-٤٧٦.

وقال الزمخشريّ: «قَدَّرُوها» صفة لـ «قواريرَ من فضَّة»، ومعنى تقديرِهم لها أنهم قَدَّرُوها في أنفسهم على مقاديرَ وأشكالٍ على حسب شهواتِهم، فجاءت كما قَدَّرُوها.

وقيل: الضمير للطائفين بها، دَلَّ عليه قولُه: «ويُطافُ عليهم» على أنهم قَدَّرُوا شَرابَها على قَدْرِ الرِّيّ، وهو ألذُّ الشراب[١]، لكونِه على مقدارِ حاجتِه لا يفضُلُ عنها ولا يَعْجِز، وعن مجاهد: لا تَفِيضُ ولا تَغِيض[٢]. انتهى.

وقرأ عليٌّ، وابنُ عبَّاس، والسُّلَميُّ، والشعبيُّ، وابنُ أبْزَى، وقتادةُ، وزيدُ بنُ عليّ، والجَحْدَرِيُّ، وعبدُ الله بنُ عُبيد بنِ عُمير[٣]، وأبو حَيْوَة، وعبَّاس عن أبانَ، والأصمعيُّ عن أبي عَمرو، وابنُ عبد الخالق عن يعقوب: «قُدِّرُوها» مبنياً للمفعول[٤].

قال أبو علي: كأنَّ اللفظ: قُدِّرُوا عليها، وفي المعنى قلبٌ، لأنَّ حقيقةَ المعنى أن يقال: قُدِّرَتْ عليهم، فهي مثلُ قوله: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] ومثلُ قولِ العرب: إذا طلعتِ الجوزاءُ أَلْفَى العُودُ على الحِرْباء[٥].

---

(١) في الكشاف ٤/ ١٩٨ (والكلام منه): للشارب.

(٢) المصدر السالف. ولفظه في النكت والعيون ٦/ ١٧٠: على مقدار لا تزيد فتفيض، ولا تنقص فتغيض.

(٣) كذا في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠١-١٠٢، وفي تفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٦: عُبيد بن عمير. وينظر التعليق التالي.

(٤) ينظر القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وزاد المسير ٨/ ٤٣٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٦. ونُسب في القراءات الشاذة ص١٦٦ لعبد الله بن عُبيد: قَدَرُها، بالتخفيف.

(٥) لفظة «ألْفَى» من (يه)، وفي (ع) والمطبوع: ألقى، وهي غير واضحة في (أ) و(ت)، وكلام أبي علي في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، وينظر الحجة له ٦/ ٣٥٣-٣٥٤. وجاء هذا القول في المصادر بألفاظ متقاربة، فأورده الطبري في تفسيره ١٦/ ٢٧٣ بلفظ: إذا طلعتِ الشِّعْرَى واستوى العُودُ على الحِرْباء، أي: استوتِ الحِرْبَاءُ على العُود، وفي مغني اللبيب ٢/ ٩١٣: إذا طلعتِ الجوزاء انتصبَ العُودُ في الحِرْبَاء، وجاء في شعر أبي زبيد الطائي - كما في
=

وقال الزمخشري: ووَجْهُهُ أنْ يكونَ من «قَدَّرَ» منقولاً من «قَدَرَ» تقول: قَدَرْتُ الشيءَ، وقَدَرَنِيهِ فلانٌ: إذا جعلكَ قادراً له[1]، ومعناه: جُعِلُوا قادرين لها كما شاؤوا، وأطلق لهم أن يقدِّروا على حَسَبِ ما اشتَهَوْا. انتهى.

وقال أبو حاتم: قُدِّرتِ الأواني على قَدْرِ رِيِّهم. ففسَّرَ بعضُهم قولَ أبي حاتم هذا قال: فيه حذفٌ على حذف، وهو أنه كان قُدِّرَ على قَدْرِ رِيِّهِم إيَّاها، ثم حُذف «على» فصارَ: «قَدْرُ رِيِّهم» ما لم[2] يُسَمَّ فاعلُه، ثم حُذف «قَدْرُ» فصارَ «رِيُّهُمْ» ما لم يُسَمَّ فاعِلُه، فحُذفَ «الرِّيُّ»[3] فصارت الواو مكانَ الهاء والميم لمَّا حُذف المضافُ ممَّا قبلَها وصارتِ الواوُ مفعولَ ما لم يُسَمَّ فاعلُه، واتصلَ ضمير المفعول الثاني في تقدير النَّصب بالفعل بعد الواو التي تحوَّلت من الهاء والميم حتى أُقيمت مقامَ الفاعل. انتهى[4].

والأقربُ في تخريج هذه القراءةِ الشاذَّةِ أن يكون الأصلُ: قُدِّرَ رِيُّهم منها تقديراً، فحُذِفَ المضاف ـ وهو الرِّيّ ـ وأُقيمَ الضميرُ مُقامَه، فصار التقدير: قُدِّرُوا منها، ثم اتُّسِعَ في الفعل فحُذفت «من» ووُصِلَ الفعلُ إلى الضمير بنفسِه، فصار «قُدِّروها» فلم يكن فيه إلا حذفُ مضافٍ واتساعٌ في المجرور[5].

والظاهر أنَّ الكأس تُمزجُ بالزَّنجبيل، والعربُ تستلذُّه وتذكرُه في وصفِ رِضَابِ أفواه النِّساء كما أنشَدْنا لهم في الكلام على المفردات.

= الشعر والشعراء وغيره ـ في وصف شدَّة الحَرّ:

واستظلَّ العصفورُ كَرْهاً مع الضَّـ ـبِّ وأوْفَى في عُودِهِ الحِرْبَاءُ

(١) في (أ) والمطبوع: عليه، وهو خطأ، والكلام في الكشاف ٤/ ١٩٨.

(٢) في المطبوع: مفعول، بدل: ما.

(٣) في المطبوع: فصار رِيُّهم قائماً مقامه ثم حذف الرِّيّ... الخ. وسقط من (أ) بعض الكلام في موضعين.

(٤) أورد السمين في الدر المصون ١٠/ ٦١١ هذا الكلام وتعقَّبه بقوله: في هذا التخريج من التكلُّف ما لا يخفى مع عجرفة ألفاظه.

(٥) قال السمين: وهذا منتزعٌ من تفسير كلام أبي حاتم.

وقال الزمخشريّ: تسمَّى العينُ زنجبيلاً لطعم الزَّنجبيلِ فيها[١]. انتهى.

وقال قتادة: الزَّنجبيل اسمٌ لعينٍ في الجنة يشربُ منها المقرَّبون صِرْفاً، ويُمزَجُ لسائر أهل الجنة[٢].

وقال الكلبيّ يُسْقَى بجامَيْن[٣]: الأولُ مِزَاجُه الكافور، والثاني مِزَاجُه الزَّنجبيل.

و«عَيْناً» بدل من «كأس» على حذف، أي: كأسَ عَيْنٍ، أو من «زنجبيل» على قول قتادة. وقيل: منصوبة على الاختصاص.

والظاهر أنَّ هذه العين تسمَّى «سلسبيلاً» بمعنى توصف بأنها سَلِسَةٌ في الانسياغ[٤]، سهلةٌ في المَذَاق، ولا يُحملُ «سَلْسَبِيل» على أنه اسمٌ حقيقةً، لأنه إذْ ذاكَ كان يكون ممنوعَ الصَّرفِ للتأنيث والعلميَّة، وقد رُوِيَ عن طلحة أنه قرأه بغير ألف[٥]؛ جعله عَلَماً لها، فإنْ كانَ عَلَماً فوجهُ قراءةِ الجمهور بالتنوين المناسبةُ للفواصل كما قال ذلك بعضُهم في «سلاسلاً» و«قواريراً»، ويُحسِّنُ ذلك أنه لغةٌ لبعض العرب، أعني صرفَ ما لا يصرفُه أكثرُ العرب.

وقال الزمخشريّ: وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية. انتهى. وكان قد ذكرَ: «يُقال: شرابٌ سَلْسَلٌ وسَلْسَالٌ وسَلْسَبِيل» فإنْ كان عَنَى أنه زِيدَ حقيقةً فليس بجيِّد، لأنَّ الباء ليست من حروف الزيادة المعهودة في علم النحو، وإنْ عَنَى أنها حرف جاء في سِنْخِ[٦] الكلمة وليس في «سَلْسَل» ولا في

(١) لفظة «فيها» ليست في الكشاف ٤/ ١٩٨.
(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٦١، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٢-٤١٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٧.
(٣) الجامُ ـ كما في القاموس ـ إناءٌ من فضَّة.
(٤) تحرفت اللفظة في المطبوع إلى: الاتِّساع.
(٥) يعني دون تنوين، وهي في القراءات الشاذة ص١٦٦، وذكرت في الكشاف ٤/ ١٩٨ دون نسبة.
(٦) أي: أصل.

«سَلْسَال» فيصحُّ، ويكون ممَّا اتفقَ معناه وكان مختلفاً في المادَّة.

وقال بعض المفسِّرين[١]: «سلسبيلا» أمرٌ للنبيّ ﷺ ولأمَّتِهِ بسؤال السبيلِ إليها[٢]، وقد نسبُوا هذا القولَ إلى عليٍّ كرَّم الله وجهه، ويجبُ طرحُه من كتب التفسير، وأعجبُ من ذلك توجيهُ الزمخشريّ له واشتغالُه بحكايته ويذكر نسبته إلى عليٍّ كرَّم الله وجهه ورضيَ عنه.

وقال قتادة: هي عينٌ تنبعُ من تحتِ العرشِ من جنَّةِ عَدْنٍ إلى الجنان[٣].

وقال عكرمة: عينٌ سَلِسٌ ماؤُها.

وقال مجاهد: عَيْنٌ جديدةُ الجرية سَلِسَةٌ سهلةُ المَساغ[٤].

وقال مقاتل: عينٌ يَتَسَلْسَلُ عليهم ماؤها في مجالسهم كيف شاؤوا[٥].

وتقدَّم شرح «مخلَّدون»[٦].

وتشبيهُ الوِلْدانِ باللؤلؤ المنثور في بياضِهم وصفاءِ ألوانِهم وانتشارِهم في المساكن في خدمة أهلِ الجنة يجيئون ويذهبون[٧].

وقيل: شُبِّهوا باللؤلؤ الرَّطْب إذا نُثِرَ من صَدَفِهِ[٨]، فإنه أحسنُ في العين وأبهجُ للنَّفس.

---

(١) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع وروح المعاني ٢٨/ ١٥٢: المعربين.
(٢) أي: سَلْ سبيلاً. وهذا القول في النكت والعيون ٦/ ١٧١، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣ وضعَّفه.
(٣) هذا القولُ هو قطعة من قول أبي العالية ومقاتل، كما في تفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٨، ولفظ قول قتادة فيه (وبنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ٥٦١): سَلِسَةٌ منقادٌ ماؤها حيث شاؤوا. وينظر أيضاً تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٩.
(٤) ينظر (إضافة إلى ما سلف): النكت والعيون ٦/ ١٧١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٣.
(٥) هو قطعة من قوله المشار إليه قبل تعليق، وفي تفسير الثعلبي والقرطبي: تسيل، بدل: يتسلسل. وينظر النكت والعيون ٦/ ١٧١.
(٦) في سورة الواقعة (١٧).
(٧) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣.
(٨) الكشاف ٤/ ١٩٩.

وجوابُ «إذا رأيتَ ثَمَّ»: «رأيتَ نعيماً»[١]، ومفعولُ فعل الشرط محذوف؛ حُذف اقتصاراً، والمعنى: وإذا رَمَيْتَ ببصرِك هناك. و«ثَمَّ» ظرف، والعاملُ فيه «رأيتَ».

وقيل: التقدير: وإذا رأيتَ ما ثَمَّ، فحذف «ما» كما حُذف في قوله: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] أي: ما بينكم[٢].

وقال الزجَّاج وتبعَه الزمخشري فقال[٣]: ومن قال: معناه: ما ثَمَّ، فقد أخطأ لأنَّ «ثَمَّ» صلة لـ «ما» ولا يجوزُ إسقاط الموصول وتركُ الصِّلة. انتهى.

وليس بخطأ مُجْمَعٍ عليه، بل قد أجازَ ذلك الكوفيون، ولهم شواهدُ من لسان العرب كقوله:

فمن يَهْجُو رسولَ اللهِ منكُمْ ويَمْدَحُهُ ويَنْصُرُهُ سَوَاءُ[٤]

أي: ومَنْ يمدحُهُ، فحذفَ الموصولَ وأبقَى صِلتَه.

وقال ابنُ عطية: و«ثَمَّ» ظرف، والعاملُ فيه «رأيتَ» أو معناه. والتقدير[٥]: رأيتَ ما ثَمَّ، حُذفت «ما» انتهى.

وهذا فاسدٌ، لأنه من حيث جَعْلُه معمولاً لـ «رأيتَ» لا يكون صلةً لـ«ما» لأنَّ العاملَ فيه إذ ذاك محذوف، أي: ما استَقرَّ ثَمَّ[٦].

---

(١) يعني أن جواب «إذا» «رأيت» الثانية. وعبارة (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: وجواب إذا: رأيتَ نعيماً، والمثبت من (يه).

(٢) هو قول الفرَّاء، ينظر معانيه ٣/ ٢١٨.

(٣) الكشاف ٤/ ١٩٩، وينظر معاني الزجاج ٥/ ٢٦١.

(٤) البيت لحسان ﷺ، وهو في ديوانه ص٦٤، وسلف في تفسير سورة البقرة (١٦٤) (٢٧٠) (٢٨٦)، وسورة العنكبوت (٢٢) والحديد (١٨) وهو في بعض المواضع برواية: أمَنْ، بدل: فَمَنْ.

(٥) في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣ (والكلام منه): وقال الفراء: التقدير... الخ. وسلفت الإشارة إلى قول الفراء قبل تعليقين.

(٦) ينظر تعقُّب السمين الحلبي المصنفَ في ردِّه على ابن عطية. الدر المصون ١٠/ ٦١٥.

وقرأ الجمهور: «ثَمَّ» بفتح الثاء، وحُميد الأعرج «ثُمَّ» بضمّ الثاء حرف عطف[١]، وجوابُ «إذا» على هذا محذوف، أي: وإذا رَمَيْتَ ببصرِك ثُمَّ رمَيْتَ ببصرِك رأيتَ نعيماً.

والملك الكبير؛ قيل: النظرُ إلى الله تعالى[٢].

وقال السُّدِّيُّ: استئذانُ الملائكةِ عليهم[٣].

وقال أكثرُ المفسّرين: الملكُ الكبيرُ اتّساعُ مواضِعِهم[٤].

وقال الكلبيّ: «كبيراً» عريضاً، يُبْصِرُ أدناهم مَنْزِلةً في الجنة في مُلْكِهِ مسيرةَ ألفِ عام، يرى أقصاه كما يرى أدناه[٥]، وقاله عبد الله بن عمر[٦]، وقال: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف غلام كلُّهم مختلفٌ شغلُه من شغل أصحابِه[٧].

وقال الترمذيّ - وأظنُّه الترمذيَّ الحكيم[٨] لا أبا عيسى الحافظ[٩] صاحب

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣.

(٢) لم أقف عليه. وأورد القرطبي ٢١/ ٤٨٠-٤٨١ خبراً مطَّولاً (الله أعلم بصحته) يستفادُ منه ذلك.

(٣) المصدر السالف، وأخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦٧ عن سفيان، وأخرج أيضاً عنه وعن مجاهد أنه تسليم الملائكة.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣.

(٥) هو في تفسير الثعلبي ٦/ ٣٤٩ والكشاف ٤/ ١٩٩ دون نسبة، وأورده القرطبي ٢١/ ٤٨١ مرفوعاً. وينظر التعليق التالي.

(٦) أخرجه عنه أحمد في المسند (٤٦٢٣) بنحوه أطول منه، وضعَّف محقِّقوه إسناده، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١١١ واللالكائي (٨٦٦) عنه موقوفاً. وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٢ بإثر الخبر الآتي بعده، ووقع في النسخة (يه): عَمرو، بدل: عُمر، وينظر التعليق التالي.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/ ٥٦٦ عن عبد الله بن عَمرو، وأورده ابن عطية عن ابن عُمر مع الخبر الذي قبله.

(٨) صرَّح القرطبي في تفسيره ٢١/ ٤٨١ أنه الترمذي الحكيم، وكلامه فيه بنحوه.

(٩) في (ع) و(يه): المحدِّث.

الجامع ـ: هو مُلْكُ التكوين والمشيئة، إذا أرادَ شيئاً كان، لقوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ [ق: ٣٥].

وقيل غير هذه الأقوال.

وقرأ عُمر وابنُ عبَّاس والحسنُ ومجاهد والجَحْدَرِيُّ وأهلُ مكة وجمهورُ السبعة: ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ بفتح الياء، وابنُ عباس بخلاف عنه والأعرجُ وأبو جعفر وشيبة وابنُ مُحَيْصن ونافع وحمزة بسكونها، وهي رواية أبان عن عاصم[١].

وقرأ ابنُ مسعود والأعمش وطلحة وزيد بنُ عليّ بالتاء مضمومة[٢]، وعن الأعمش وأبان أيضاً عن عاصم بفتح التاء[٣].

وقرأ «عَلَيْهِم» حرف جرّ ابنُ سيرِين ومجاهد وقتادة وأبو حَيْوَة وابنُ أبي عَبْلَة والزَّعفرانيّ وأبانُ أيضاً.

وقرأت عائشة ﵂: «عَلَتْهُمْ» بتاء التأنيث فعلاً ماضياً[٤]، فـ «ثيابُ» فاعل، ومن قرأ بالياء ساكنةً أو بالتاء مضمومةً فمبتدأ خبرُه «ثيابُ»، ومن قرأ «عليهم» حرفَ جرّ، فـ «ثيابُ» مبتدأ، ومن قرأ بنصب الياء أو التاء[٥] فعلى الحال، وهو حالٌ من المجرور في «ويطوفُ عليهم» فذو الحالِ المَطُوفُ عليهم، والعاملُ «يطوفُ».

وقال الزمخشري[٦]: و«عالِيَهم» بالنصب على أنه حال من الضمير في «يطوفُ عليهم» أو في «حَسِبْتَهم» أي: يطوفُ عليهم ولدانٌ عالياً للمَطُوفِ عليهم ثيابٌ، أو

(١) ينظر السبعة ص٦٦٤، والتيسير ص٢١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٣، والنشر ٢/ ٣٩٦.
(٢) أي: عالِيَتُهُمْ، ووقع في (أ) والمطبوع: بالياء، وهو خطأ. والقراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٨٢.
(٣) في (أ) والمطبوع: الياء، وهو خطأ، والقراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣، وينظر زاد المسير ٨/ ٤٣٩.
(٤) هذه القراءة والتي قبلها في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وينظر زاد المسير ٨/ ٤٣٩.
(٥) في المطبوع: وبالتاء ساكنة، وهو خطأ.
(٦) الكشاف ٤/ ١٩٩.

حَسِبْتَهم لؤلؤاً عالياً لهم ثياب. ويجوزُ أن يُراد: رأيتَ أهلَ نعيمٍ ومُلْكٍ عالِيَهُمْ ثياب. انتهى.

أمَّا أن يكونَ حالاً من الضمير في «حَسِبْتَهم» فإنه لا يعني إلا ضمير المفعول، وهو عائدٌ على «وِلْدَان»، ولذلك قدَّرَ «عاليَهم» بقوله: عالياً لهم، أي: للوِلْدان، وهذا لا يصحُّ، لأن الضمائر الآتية بعد ذلك تدلُّ على أنها للمَطُوفِ عليه من قوله: «وحُلُّوا» «وسقاهم» و«إنَّ هذا كان لكم جزاءً»، وفَكُّ الضمائرِ بجعلِ هذا لذا وذا لذا مع عدم الاحتياجِ والاضطرارِ إلى ذلك لا يجوز.

وأمَّا جعلُه حالاً من محذوف وتقديرُه: أهلَ نعيم، فلا حاجة إلى ادِّعاء الحذفِ مع صحَّةِ الكلام وبَراعتِهِ دون تقدير ذلك المحذوف.

و«ثيابُ» مرفوع على الفاعلية بالحال.

وقال ابنُ عطيَّة: ويجوزُ[1] في النصب في القراءتين أن يكون على الظرف، لأنه بمعنى: فوقَهم. انتهى.

وعالٍ وعاليةٌ اسمُ فاعل فيحتاجُ في إثبات كونِهما ظرفَيْن إلى أن يكون منقولاً من كلام العرب: عاليك أو عاليتك ثوب[2].

وقرأ الجمهور: «ثيابُ» بغير تنوين على الإضافة إلى «سُنْدُس»، وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة وأبو حَيْوَة: «عَلَيهم ثيابٌ سندسٌ خضرٌ وإستبرقٌ» برفع الثلاثة، فرفعُ «سُنْدُس» بالصفة لأنه جنس[3]، كما تقول: ثوبٌ حريرٌ، تريد: من حرير، ورفعُ «خُضْر» بالصفة أيضاً لأنَّ الخُضْرة لونُها، ورفعُ «إستبرق» بالعطف عليها، وهو صفة أُقيمت مقام الموصوف، تقديرُه: وثيابٌ إستبرقٌ، أي: من إستبرق.

وقرأ الحسن وعيسى ونافع وحفص «خُضْرٌ وإستبرقٌ» برفعهما.

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٣: وقد يجوز.

(٢) ينظر تعقُّب السمين للمصنف في ردّه على ابن عطية هنا وعلى الزمخشري في الكلام قبله في الدر المصون ١٠/ ٦١٦-٦١٧.

(٣) القراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤ عن أبي حَيْوة.

وقرأ العَرَبيَّان ونافع في رواية: «خُضْرٌ» بالرفع صفة لـ «ثيابُ»، و«إستبرقٍ» جرّ عطفاً على «سُنْدس».

وقرأ ابنُ كثير وأبو بكر بجرّ «خُضْر» صفة لـ «سُنْدُس» ورفع «إستبرق» عطفاً على «ثيابُ».

وقرأ الأعمشُ وطلحةُ والحسنُ وأبو عَمرو بخلاف عنهما[١] وحمزةُ والكسائيّ بجرِّهما[٢]. وَوَصْفُ اسمِ الجنسِ الذي بينَه وبين واحدِهِ تاء التأنيث بالجمع جائز فصيح، كقوله تعالى: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]. وقال: ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠] فجعل الحال جمعاً وإذا كانوا قد جمعوا صفة اسم الجنس الذي ليس بينه وبين واحدِهِ تاء التأنيث المحكي بأل بالجمع[٣] كقولهم: أهلكَ الناسَ الدينارُ الصُّفْرُ والدِّرْهمُ البِيض، فَلأَنْ يجمعوا صفةَ هذا أولَى[٤]، وقولُ ابنِ عطية[٥]: وفي هذا قُبحٌ؛ يشيرُ إلى الدِّينار الصُّفر والدرهم البِيض[٦] حيث جُمع وصفُهما = ليس بسديد، بل هو جائز أوردَه النُّحاةُ موردَ الجواز بلا قُبح.

وقرأ ابن مُحَيْصِن: «واسْتَبْرَقَ»[٧] وتقدَّم ذلك والكلامُ عليه في الكهف [٣١].

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤: وابن عمر بخلاف عنه، بدل: وأبو عمرو بخلاف عنهما.

(٢) ينظر السبعة ص٦٦٥، والتيسير ص٢١٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، والعَرَبِيَّان هما أبو عمرو البصري، وابنُ عامر الشامي.

(٣) كذا في النسخ، وثمة إشكال في السياق، والظاهر أن كلمة «المحكي» محرَّفة عن: المحلَّى، ولفظة «بالجمع» مكررة بالمعنى، وينظر التعليق التالي.

(٤) في الدر المصون ١٠/ ٦٢٠: وإذا كانوا قد وصفوا المفرد المحلَّى لكونه مراداً به الجنس بالجمع في قولهم: «أهلك الناسَ الدينار الحُمْرُ والدرهم البيض»... فَلأَن يُوجد ذلك في أسماء الجموع أو أسماء الأجناس الفارق بينها وبين واحدها تاء التأنيث بطريق الأولى.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤.

(٦) من قوله: البيض، فَلأَن يجمعوا... إلى هذا الموضع، سقط من (أ) والمطبوع.

(٧) القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحتسب ٢/ ٣٤٤، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وذكر ابن عطية أنها بوصل الألف وفتح القاف، كأنها مثال الماضي من برق واستبرق.

وقال الزمخشريّ هنا[١]: وقُرِئَ «وإستبرقَ» نصباً في موضع الجرّ على منع الصَّرف لأنه أعجميّ، وهو غلط لأنه نكرةٌ يدخلُه حرفُ التعريف؛ تقول: الإستبرق، إلا أن يزعمَ ابنُ مُحَيْصِن أنه قد يُجعل عَلَماً لهذا الضَّرب من الثياب.

وقرئ: «واسْتَبْرَقَ» بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمًّى باستفعل من البريق، وليس بصحيح أيضاً لأنه معرَّبٌ مشهورٌ تعريبُه، وأنَّ أصله استبره. انتهى.

ودلَّ قولُه: إلا أن يزعُمَ ابنُ مُحيصن، وقولُه بعدُ: وقُرئ «واستبرقَ» بوصل الألف والفتحِ أنَّ قراءة ابنِ مُحَيْصِن هي بقطع الهمزة مع فتح القاف، والمنقولُ عنه في كتب القراءات أنه قرأ بوصل الألف وفتح القاف.

وقال أبو حاتم: لا يجوزُ، والصواب أنه اسمُ جنسٍ لا ينبغي أن يَحمِلَ ضميراً، ويُؤيِّدُ ذلك دخولُ لام المعرفة عليه، والصوابُ قطعُ الألف وإجراؤه على قراءة الجماعة. انتهى.

ونقول: إنَّ ابنَ مُحَيْصِن قارئٌ جليلٌ مشهورٌ بمعرفةِ العربيَّة، وقد أخذَ عن أكابر العلماء، ويُتَطَلَّبُ لقراءتِه وَجْهٌ، وذلك أنه يجعلُ «استفعل» من البريق، تقول: بَرِقَ واستبرقَ كعَجِبَ واستعجَبَ، ولمَّا كانَ قولُه: «خُضْر» يدلُّ على الخُضْرَة، وهي لونُ ذلك السُّندس، وكانت الخُضرةُ ممَّا يكون فيها لشدَّتها دُهْمةٌ وغَبَشٌ أخبرَ أنَّ في ذلك اللونِ بريقاً وحُسْناً يُزيلُ غُبْشَتَهُ، فـ «استبرقَ» فعلٌ ماضٍ، والضمير فيه عائد على السُّندس، أو على الاخضرار الدالِّ عليه قوله: «خُضْر»، وهذا التخريجُ أولى من تلحينِ من يعرفُ العربية وتوهيمِ ضابطٍ ثقة[٢].

﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي موضع آخر: ﴿مِن ذَهَبٍ﴾: [٣١] أي: يُحَلَّونَ منهما على التعاقب أو على الجمع بينهما كما يقع للنِّساء في الدُّنيا.

---

(١) الكشاف ٤/١٩٩.

(٢) ذكر السمين في الدُّرّ المصون ١٠/٦٢١ أنَّ مكِّيًا سبقَ الزمخشريَّ في الكلام على قراءة ابن محيصن، وأورد السمين كلام مكّيّ، ثم خلص منه إلى أنَّ ابنَ مُحيصن قد رُوِيَ عنه قراءتان: قطع الألف ووصلُها. وينظر مشكل إعراب القرآن ٢/٧٨٧.

قال الزمخشريّ[١]: وما أحسنَ بالمِعْصَمِ أن يكونَ فيه سِوَاران؛ سوارٌ من ذهب وسوارٌ من فضة. انتهى.

فقوله: بالمِعْصَم، إمَّا أن يكونَ مفعول «أحْسَنَ» و«أن يكون»[٢] بدلاً منه، وإمَّا أن يكون مفعولَ «أَحْسَنَ» وقد فُصل بينهما بالجارّ والمجرور، فإنْ كان الأولَ فلا يجوزُ؛ لأنه لم يُعهد زيادةُ الباء في مفعول «أفعل» للتعجُّب، لا تقول: ما أحْسَنَ بزيدٍ! تريدُ: ما أحْسَنَ زيداً! وإنْ كان الثاني ففي مثلِ هذا الفصلِ خلافٌ، والمنقولُ عن سيبويه أنه لا يجوز، والمولَّدُ منَّا إذا تكلَّم ينبغي أن يتحرَّزَ في كلامِه ممَّا فيه الخلاف[٣].

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ «طَهُور» صفة مبالغة في الطهارة، وهي من فعل لازم، وطهارتُها بكونها لم يؤمر باجتنابِها، وليست كخمر الدُّنيا التي هي في الشرع رِجْس، أو لكونِها لم تُدَسْ برِجْلٍ دَنِسَة، ولم تُمَسَّ بيدٍ وَضِرَة، ولم توضع في إناء لم يُعْنَ بتنظيفه، ذكره بأبسطَ من هذا الزمخشريّ[٤] ثم قال: أو لأنه لا يؤولُ إلى النَّجاسة لأنه يَرْشَحُ عَرَقاً من أبدانهم له رِيحٌ كرِيحِ المِسْك. انتهى.

وهذا الأخير قاله أبو قِلابة والنَّخَعيُّ وإبراهيمُ التَّيْمِيّ، قالوا: لا ينقلبُ إلى البول بل يكون رَشْحاً من الأبدَانِ أطيبَ من المِسْك[٥].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: النعيم السَّرْمَدِيّ ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي: لأعمالكم الصالحة ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: مقبولاً مثاباً، قال قتادة: لقد شكر الله سعياً قليلاً[٦].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٠.
(٢) في المطبوع: وإما أن يكون. وهو خطأ.
(٣) تعقَّب السمينُ شيخَه أبا حيان في الدُّرّ المصون ١٠/ ٦٢٣، وذكر أن الصحيح جوازُه، وأنَّ عَمرو بن معد يكرب قال: للهِ دَرُّ بني فلان، ما أشدَّ في الهيجاء لقاءَها!
(٤) الكشاف ٤/ ٢٠٠.
(٥) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ٥٦٩-٥٧٠، والنكت والعيون ٦/ ١٧٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٨٤-٤٨٥.
(٦) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٧٢، وأخرج عنه أيضاً قبله قوله: غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن.

وهذا على إضمار: يقال لهم، وهذا القولُ لهم هو على سبيل التهنئة والسرور لهم بضدِّ ما يقال للمعاقَب: إن هذا بعملك الرَّديء، فيزدادُ غمًّا وحُزناً.

ولمَّا ذكرَ أوَّلاً حالَ الإنسان وقسمته[١] إلى العاصي والطائع وأمعن فيما أعده للطائع[٢] ذكرَ ما شرَّف به نبيَّه وحبيبَه محمداً ﷺ فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وأمرَه بالصبر لحُكْمِهِ، وجاء التوكيد بـ «نحن» بعد التوكيد[٣] بـ «إنَّ» لمضمونِ الخبر ومدلولِ المخبَرِ عنه، وأكّد الفعل بالمصدر.

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ قال قتادة: نزلت في أبي جهل قال: إنْ رأيتُ محمداً يصلِّي لأَطَأَنَّ على عنقه، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ الآية[٤].

والنهيُ عن طاعة كلِّ واحدٍ منهما أبلغُ من النهي عن طاعتهما؛ لأنه يستلزمُ النهيُ عن أحدِهما النهيَ عن طاعتهما[٥]؛ لأنَّ في طاعتهما طاعةَ أحدِهما، ولو قال: لا تضربْ زيداً وعَمراً لجازَ أن يكون نهياً عن ضربِهما جميعاً لا عن ضرب أحدِهما.

وقال أبو عبيدة: «أو» بمعنى الواو[٦].

والكفور وإن كان آثماً فإنَّ فيه مبالغةً في الكفر، ولمَّا كان [مَنْ] يُوصَفُ بالكفور[٧] مبايناً للموصوف بمجرَّد[٨] الإثم صَلَحَ التغايرُ، فحسُنَ العطف.

---

(١) في (أ) والمطبوع: وقسمه.
(٢) قوله: وأمعن فيما أعدَّه للطائع، من (ع) و(يه).
(٣) قوله: بنحن بعد التوكيد، من (يه).
(٤) تفسير الطبري ٢٣/ ٥٧٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٣٥١، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٨٧.
(٥) قوله: النهي عن طاعتهما، سقط من المطبوع. وينظر الكشاف ٤/ ٢٠١.
(٦) مجاز القرآن ٢/ ٢٨٠.
(٧) في النسخ الخطية: الكفور، والمثبت من النهر الماذّ بهامش البحر ٨/ ٣٩٧، ولفظة «من» السالفة بين حاصرتين منه، وجاء في المطبوع: ولما كان وصف الكفور...
(٨) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: لمجرّد.

وقيل: الآثمُ عُتبة، والكَفُور الوليدُ، لأنَّ عُتبة كان رَكَّاباً للمآثم متعاطياً لأنواع الفُسوق، وكان الوليدُ غالياً في الكفر شديدَ الشَّكِيمةِ في العُتُوّ[١].

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً﴾ يعني صلاةَ الصبح ﴿وَأَصِيلًا﴾ الظهر والعصر ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء، وقال ابنُ زيد وغيره: كان ذلك فرضاً ونُسخ، فلا فرضَ إلا الخَمْس، وقال قوم: هو مُحْكَم على وَجْهِ النَّدْب[٢].

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ إشارةٌ إلى الكَفَرة ﴿يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ يُؤثرونها على الآخرة[٣]. ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾ أي: أمامَهم، وهو ما يستقبلون من الزَّمان ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استُعير الثِّقَل لليوم لشدَّتِه وهَوْلِه، من ثِقَل الجِرْمِ الذي يُتعب حاملَه[٤].

وتقدَّم شرح الأَسْر في سورة القتال.

﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أي: تبديلَ أمثالِهم بإهلاكهم ﴿بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ﴾ ممن يطيع[٥].

وقال الزمخشريّ: وحقُّه أنْ يجيءَ بـ «إنْ» لا بـ «إذا» كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣] انتهى. يعني أنهم قالوا: إنَّ «إذا» للمحقَّق[٦] و«إنْ» للمُمْكن، وهو تعالى لم يشأ [ذلك][٧] لكنَّه قد توضع «إذا» موضعَ «إنْ» و«إنْ» موضع «إذا» كقوله: ﴿أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: السورة، أو آيات القرآن، أو جملة الشريعة. [وقولُه تعالى:

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠٠، وذكر القرطبي ٢١/ ٤٨٧ خبراً في سبب نزول هذه الآية في عتبة والوليد.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٤، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٨، والناسخ والمنسوخ له ٣/ ١٣٣، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٨٧.

(٣) في (أ) والمطبوع: الدنيا!

(٤) بنحوه في الكشاف ٤/ ٢٠١.

(٥) في الكشاف: بدَّلْنا غيرهم ممن يطيع.

(٦) في (ب): للتحقُّق.

(٧) لفظة «ذلك» بين حاصرتين مستفادة من الدُّرّ المصون ١٠/ ٦٢٦، وهو أسلمُ للسِّياق.

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ﴾][1] ليس على جهة التخيير، بل على جهة التحذير من اتخاذِ غيرِ سبيلِ الله.

وقال الزمخشري: ﴿فَمَن شَآءَ﴾ فمن اختارَ الخيرَ لنفسه وحُسْنَ العاقبة[2]، واتخاذُ السبيلِ إلى الله عبارةٌ عن التقرُّب إليه والتوسُّلِ بالطاعة ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ الطاعة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يَقْسِرُهُم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾بأحوالهم وما يكون منهم ﴿حَكِيمًا﴾ حيث خلقَهم مع علمه بهم. انتهى. وفيه دسيسةُ الاعتزال.

وقرأ العَرَبيَّان وابنُ كثير: «وما يشاؤون» بياء الغَيْبة، وباقي السبعة بتاء الخطاب[3].

ومذهبُ أهلِ السُّنَّة أنه نفيٌ لقدرتهم على الاختراع وإيجاد المعاني في أنفسهم، ولا يردُّ هذا وجودَ ما لهم من الاكتساب[4].

وقال الزمخشريّ: فإن قلتَ: ما محلُّ ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾.

قلت: النصبُ على الظرف، وأصلُه: إلا وقتَ مشيئةِ الله، وكذلك قرأ ابنُ مسعود: «إلا ما يشاءُ الله»[5] لأنَّ «ما» مع الفعل كـ «أنْ» معه. انتهى.

ونصُّوا على أنَّه لا يقومُ مقامَ الظرف إلا المصدر المصرَّح به، كقولك: أجِيئُك صياحَ الدِّيك، ولا يُجيزون: أجِيئك أنْ يصيحَ الدِّيك، ولا: ما يصيحُ الدِّيك، فعلى هذا لا يجوز ما قاله الزمخشريّ[6].

---

(١) ما بين حاصرتين من المحرر الوجيز ٥/ ٤١٥ (والكلام منه بنحوه) وهو ضروري لصحَّة السياق.

(٢) المثبت من (يه)، وهو كذلك في الكشاف ٤/ ٢٠١ (والكلام منه)، وفي النسخ الأخرى: والعاقبة، بدل: وحُسن العاقبة.

(٣) السبعة ص٦٦٥، والتيسير ص٢١٨، والعربيَّان: أبو عمرو البصريّ، وابن عامر الشاميّ.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٥.

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٦، والكشاف ٤/ ٢٠١ (والكلام منه)، وجاء في المحرر الوجيز ٥/ ٤١٥: إلا ما شاء الله.

(٦) قال الآلوسي في روح المعاني ٢٨/ ١٦٩: كأنه لهذا قيل: إن «أنْ يشاء» بتقدير حرف الجرِّ

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ وهم المؤمنون.

وقرأ الجمهور: «والظالمين» نصباً بإضمار فعل يُفَسِّره قوله: ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ وتقديرُه: ويعذِّبُ الظالمين، وهو من باب الاشتغال: عطف جملة فعليَّة على جملة فعليَّة.

وقرأ ابنُ الزُّبير وأبان بن عثمان وابنُ أبي عَبْلَة: «والظالمون»[1] عطف جملة اسمية على فعلية، وهو جائزٌ حسن.

وقرأ عبد الله: «وللظالمين» بلام الجرّ[2]، وهو متعلّق بـ «أعدَّ»، و«لهم» توكيد، ولا يجوز أن يكون من باب الاشتغال ويقدَّرَ فعل يفسِّره الفعل الذي بعده فيكونَ التقدير: وأعدَّ للظالمين أعدَّ لهم، وهذا مذهبُ الجمهور، وفيه خلافٌ ضعيف مذكور في النَّحو، فتقول: بزيدٍ مررتُ به، ويكون التقدير: مررتُ بزيدٍ مررتُ به، ويكون من باب الاشتغال، والمحفوظُ المعروف عن العرب نصب الاسم وتفسير «مَرَرْتُ» المتأخِّر وما أَشبهَه من جهة المعنى فعلاً ناصباً[3].

= والاستثناء من أعمّ الأسباب، أي: وما تشاؤون بسبب من الأسباب إلا بأن يشاء الله تعالى.

(١) ينظر القراءات الشاذة ص١٦٦، والمحتسب ٢/ ٣٤٤، والكشاف ٤/ ٢٠١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٥، وزاد المسير ٨/ ٤٤٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٩٣. قال ابن جنّي: هذا على ارتجال جملة مستأنفة.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٦، والكشاف ٤/ ٢٠١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤١٥.

(٣) المثبت من (يه)، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: فعلاً ماضياً، وهو خطأ.

(٧٦) سورة الإنسان مدنية وآياتها إحدى وثلاثون

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ﴿ألم تنزيل﴾ السجدة و ﴿ هل أتى على الإنسان﴾[1] ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ① إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③﴾

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان، أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر لحقارته وضعفه، فقال تعالى: ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ؟﴾ ثم بيّن ذلك فقال جلَّ جلاله: ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج ﴾ أي أخلاط، والمشج والمشيج، الشيء المختلط بعضه في بعض، قال ابن عباس: يعني ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعد من طور إلى طور، وحال إلى حال، وقال عكرمة ومجاهد: الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، وقوله تعالى: ﴿ نبتليه ﴾ أي نختبره كقوله جلَّ جلاله: ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾، ﴿ فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾ أي جعلنا له سمعاً وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية، وقوله جلّ وعلا: ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ أي بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جلَّ وعلا: ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ ، وكقوله جلَّ وعلا: ﴿ وهديناه النجدين ﴾ أي بينا له طريق الخير وطريق الشر، وهذا قول عكرمة ومجاهد والجمهور، وروي عن الضحّاك والسدي ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ يعني خروجه من الرحم، وهذا قول غريب، والصحيح المشهور الأول، وقوله تعالى: ﴿ إما شاكراً وإما كفوراً منصوب على الحال من الهاء في قوله: ﴿ إنا هديناه السبيل ﴾ تقديره: فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد، كما جاء في الحديث الصحيح: « كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها »[2] ، وقد تقدم من رواية جابر بن عبد الله رضي الله

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه .

(٢) رواه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري .

تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً»[1]، وروى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان: راية بيد ملك، وراية بيد شيطان، فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته، وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته»[2]

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه، من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب، والحريق في نار جهنم كما قال تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون * في الحميم ثم في النار يسجرون﴾، ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا﴾، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة، قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل، ولهذا قال: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ أي هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور، هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفاً بلا مزج ويروون بها، قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور، وقال بعضهم: هو من عين كافور، وقوله تعالى: ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ أي يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم، والتفجير هو الانباع، كما قال تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾، وقال: ﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ وقال مجاهد: ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ يقودونها حيث شاءوا، وقال الثوري: يصرفونها حيث شاءوا، وقوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ أي يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر، وفي الحديث: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[3]، ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي يكون ﴿شره مستطيراً﴾ أي منتشراً عاماً على

(١) أخرجه أحمد، وقد تقدم في سورة الروم.
(٢) أخرجه الإمام أحمد.
(٣) أخرجه البخاري من حديث مالك.

الناس إلا من رحم الله، قال ابن عباس: فاشياً، وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ قيل: على حب الله تعالى لدلالة السياق عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قاله مجاهد ومقاتل، واختاره ابن جرير كقوله تعالى: ﴿وآتى المال على حبه﴾، وكقوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾، وروى البيهقي عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنباً أول ما جاء العنب، فأرسلت صفية يعني امرأته فاشترت عنقوداً بدرهم، فاتبع الرسول سائل، فلما دخل به قال السائل: السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إياه فأعطوه إياه(1)، وفي الصحيح: «أفضل الصدقة أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر» أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما، وأما الأسير فقال الحسن والضحاك: الأسير من أهل القبلة، وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين، يشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، وقال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك، وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء حتى كان آخر ما أوصى به أن جعل يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» قال مجاهد: هو المحبوس، أي يطعمون الطعام لهؤلاء، وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ أي رجاء ثواب الله ورضاه ﴿لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً﴾ أي لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس، قال مجاهد: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به، ليرغب في ذلك راغب ﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾ أي إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير، قال ابن عباس ﴿عبوساً﴾ ضيقاً ﴿قمطريراً﴾ طويلاً، وقال عكرمة: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، وقال مجاهد: ﴿عبوساً﴾ العابس الشفتين، ﴿قمطريراً﴾ قال: يقبض الوجه باليسور، وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿قمطريراً﴾ تقلص الجبين وما بين العينين من الهول، وقال ابن زيد: العبوس الشر، والقمطرير الشديد، وقال ابن جرير: والقمطرير هو الشديد، يقال: هو يوم قمطرير ويوم قماطر، ويوم عصيب وعصبصب.

قال الله تعالى: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً﴾ وهذا من باب التجانس البليغ، ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ أي آمنهم مما خافوا منه، ﴿ولقاهم نضرة﴾ أي في وجوههم، ﴿وسروراً﴾ أي في قلوبهم وهذه كقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة﴾ وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه. قال كعب ابن مالك في حديثه الطويل: وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر، وقالت عائشة رضي الله عنها: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه» الحديث. وقوله تعالى: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم ﴿جنة وحريراً﴾ أي منزلاً رحباً، وعيشاً رغداً، ولباساً حسناً.

---

(1) أخرجه البيهقي عن نافع وفيه أنها أرسلت بدرهم آخر فاشترت به فأعطاه للسائل ثم بدرهم ثالث.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا
تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا
تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ * وَيَطُوفُ
عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾
عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ
لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم، وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات، وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال، وقوله تعالى: ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ أي ليس عندهم حرّ مزعج، ولا برد مؤلم، ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ أي قريبة إليهم أغصانها، ﴿وذلّلت قطوفها تذليلاً﴾ أي متى تعاطاه دنا القطف إليه، تدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع، كما قال تعالى: ﴿قطوفها دانية﴾ قال مجاهد: إن قام ارتفعت معه بقدر، وإن قعد تذلّلت له حتى ينالها، وإن اضطجع تذلّلت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى: ﴿تذليلاً﴾، وقال قتادة: لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد، وقوله جلّت عظمته: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾ أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام، وهي من فضة، وأكواب الشراب وهي التي لا عرى لها ولا خراطيم، وقوله: ﴿قوارير من فضة﴾ فالأول منصوب بخبر كان، أي كانت قوارير، والثاني منصوب إما على البدلية أو تمييز، قال ابن عباس: بياض الفضة في صفاء الزجاج: والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا. قال ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة، وقوله تعالى: ﴿قدروها تقديراً﴾ أي على قدر ريّهم لا تزيد عنه ولا تنقص. بل هي معدة لذلك مقدرة بحسب ري صاحبها، وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة، وقال ابن عباس: ﴿قدروها تقديراً﴾ قدرت للكف، وقال الضحّاك: على قدر كف الخادم، وهذا لا ينافي القول الأول، فإنها مقدرة في القدر والري.

وقوله تعالى: ﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾ أي ويسقون -يعني الأبرار أيضاً- في هذه الأكواب ﴿كأساً﴾ أي خمراً، ﴿كان مزاجها زنجبيلاً﴾ فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفاً كما قاله قتادة وغير واحد. وقد تقدم قوله جل وعلا: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾، وقال ههنا: ﴿عيناً فيها تسمى سلسبيلاً﴾ أي الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلاً، قال عكرمة: اسم عين في الجنة. وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدة جريها، وقوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون * إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ أي يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة ﴿مخلدون﴾ أي على حالة

واحدة، مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن، وقوله تعالى: ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ أي إذا رأيتهم في صباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم ﴿حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن، قال قتادة: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه، وقوله جل وعلا: ﴿وإذا رأيت﴾ أي وإذا رأيت يا محمد ﴿ثمَّ﴾ أي هناك يعني في الجنة ونعيمها، وسعتها وارتفاعها، وما فيها من الحبرة والسرور ﴿رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ أي مملكة لله هناك عظيمة، وسلطاناً باهراً، وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً إليها: «إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها»، وفي الحديث عن ابن عمر مرفوعاً: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه» فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى؟

وقوله جلَّ جلاله: ﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ أي لباس أهل الجنة فيها الحرير (السندس) وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، و (الاستبرق) وهو ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر، كما هو المعهود في اللباس، ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ وهذه صفة الأبرار، وأما المقربون فكما قال تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾ ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ أي طهر بواطنهم من الحسد والحقد، والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذ انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما، فأذهب الله ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم نضرة النعيم، فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن، وقوله تعالى: ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً﴾ أي يقال لهم ذلك تكريماً لهم وإحساناً إليهم كما قال تعالى: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾، وكقوله تعالى: ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾، وقوله تعالى: ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾ أي جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير.

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بما أنزله عليه من القرآن العظيم، ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ أي كما أكرمتك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره، وأعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره، ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾

أي لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك، بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فإن الله يعصمك من الناس، فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه، ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلاً﴾ أي أول النهار وآخره، ﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً﴾، كقوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ الآية، وكقوله تعالى: ﴿يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً﴾، ثم قال تعالى منكراً على الكفّار ومن أشبههم حب الدنيا والإقبال عليها، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم، ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾ يعني يوم القيامة، ثم قال تعالى: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾، قال ابن عباس ومجاهد: يعني خلقهم ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ أي وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبدلنا هم فأعدناهم خلقاً جديداً، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة، وقال ابن جرير: ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ أي وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأتِ بآخرين وكان الله على ذلك قديراً﴾، وكقوله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾، ثم قال تعالى: ﴿إن هذه تذكرة﴾ يعني هذه السورة تذكرة، ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أي طريقاً ومسلكاً، أي من شاء اهتدى بالقرآن، ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ أي لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الايمان ولا يجر لنفسه نفعاً ﴿إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾ أي عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، ولهذا قال تعالى: ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾، ثم قال: ﴿يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعدَّ لهم عذاباً أليماً﴾ أي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

[آخر تفسير سورة الإنسان، ولله الحمد والمنة]

* * *

تفسير سورة الإنسان

وهى مكية .

قد تقدم فى صحيح مسلم ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة ﴿ الٓمٓ . تَنزِيلُ ﴾ السجدة ، و ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ ﴾ [١] .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرنا ابن زيد : أن رسول الله ﷺ قرأ هذه السورة : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ ، وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود ، فلما بلغ صفة الجنان ، زفر زفرة فخرجت نفسه . فقال رسول الله ﷺ : « أخرج نفس [٢] صاحبكم ــ أو قال : أخيكم ــ الشوقُ إلى الجنة » . مرسل غريب [٣] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ① إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③ ﴾ .

يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئاً يذكر [٤] ، لحقارته وضعفه ، فقال : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ ؟

ثم بين ذلك فقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ أى : أخلاط . والمشج والمشيج : الشىء الخَليط [٥] ، بعضه فى بعض .

قال ابن عباس فى قوله : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ يعنى : ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا، ثم ينتقل بعدُ من طور إلى طور ، وحال إلى حال ،ولون إلى لون . وهكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، والربيع بن أنس : الأمشاج : هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة .

---

(١) تقدم حديث أبى هريرة عند تفسير أول سورة السجدة وخرجناه هناك ، أما حديث ابن عباس فلم يتقدم،وهو فى صحيح مسلم برقم (٨٧٩) .

(٢) فى أ :« روح » .

(٣) وقد جاء موصولاً ،فرواه الطبرانى فى المعجم الأوسط برقم (٤٧٧٤) « مجمع البحرين » من طريق عفيف بن سالم ، عن أيوب بن عتبة ،عن عطاء ، عن ابن عمر : أن رجلاً من الحبشة ، فذكر قصة طويلة وفيها : أن نزلت هذه السورة وهو عند الرسول فقال : يا رسول الله ، هل ترى عينى فى الجنة مثل ما ترى عينك ؟ فقال النبى : «نعم » فبكى الحبشى حتى فاضت نفسه . وقال الطبرانى: «لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد ،تفرد به عفيف » . وسيأتى الحديث عند آخر السورة من رواية الطبرانى .

(٤) فى أ : « مذكوراً » .

(٥) فى م :« المختلط » .

وقوله : ﴿ نَّبْتَلِيهِ ﴾ أى : نختبره ، كقوله : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك: ٢] . ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيراً ﴾ أى : جعلنا له سمعا وبصراً يتمكن بهما من الطاعة والمعصية .

وقوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل ﴾ أى : بيناه له ووضحناه وبصرناه به ، كقوله : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧] ، وكقوله : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠] ، أى : بينا له طريق الخير وطريق الشر . وهذا قول عكرمة ، وعطية ، وابن زيد ، ومجاهد ــ فى المشهور عنه ــ والجمهور .

ورُوى عن مجاهد ، وأبى صالح ، والضحاك ، والسدى أنهم قالوا فى قوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل ﴾ : يعنى خروجه من الرحم . وهذا قول غريب ، والصحيح المشهور الأول .

وقوله : ﴿ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً ﴾ : منصوب على الحال من « الهاء » فى قوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيل ﴾ تقديره : فهو فى ذلك إما شقى وإما سعيد ، كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم ، عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: « كل الناس يَغْدو ، فبائع نفسه فموبقها أو مُعْتقها»(١) . وتقدم فى سورة « الروم » عند قوله : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] ، من رواية جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعربَ عنه لسانه ، فإذا أعرب عنه لسانه ، فإما شاكراً وإما كفوراً » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، عن عثمان بن محمد ، عن المقبرى ، عن أبى هُرَيرة ، عن النبى ﷺ قال : « ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان : رايةٌ بيد مَلَك، وراية بيد شيطان ، فإن خرج لما يُحبّ اللهُ اتبعَه المَلَك برايته ، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته . وإن خرج لما يُسخط الله اتبعه الشيطان برايته ، فلم يزل تحت راية الشيطان ، حتى يرجع إلى بيته » (٢) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن ابن خُثَيم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن جابر بن عبد الله : أن النبى ﷺ قال لكعب بن عُجرَة :« أعاذك الله من إمارة السفهاء». قال : وما إمارة السفهاء ؟ قال : « أمراء يكونون من بعدى ، لا يهتدون بهداى ، ولا يستَنّونَ بسنتى، فمن صدّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم ، فأولئك ليسوا منى ولست منهم ، ولا يَردُون على حوضى . ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم ، فأولئك منى وأنا منهم ، وسيردون على حوضى . يا كعب بن عُجرَة ، الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قربان ــ أو قال: برهان . يا كعبَ بنَ عجرَة ، إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سُحْت ، النار أولى به . يا كعب ، الناس غَاديان ، فمبتاعُ نفسَه فمعتقها ، وبائع نفسه فموبقها » .

ورواه عن عفّان ، عن وُهَيب (٣) ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، به (٤) .

(١) صحيح مسلم برقم (٢٢٣) .
(٢) المسند (٢ / ٣٢٣) .
(٣) فى أ : « عن وهب » .
(٤) المسند (٣/ ٣٢١) .

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلَ وَأَغْلالاً وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾ .

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير ، وهو اللهيب والحريق فى نار جهنم ، كما قال : ﴿ إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ . فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧١ ، ٧٢] .

ولما ذكر ما أعده [١] لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ ، وقد علم ما فى الكافور من التبريد والرائحة الطيبة ، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة فى الجنة .

قال الحسن : برد الكافور فى طيب الزنجبيل ؛ ولهذا قال : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أى : هذا الذى مُزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويَرْوَوْنَ بها ؛ ولهذا ضمن يشرَب « يروى » حتى عداه بالباء ، ونصب ﴿ عَيْنًا ﴾ على التمييز .

قال بعضهم : هذا الشراب [٢] فى طيبه كالكافور . وقال بعضهم : هو من عين كافور . وقال بعضهم : يجوز أن يكون منصوباً بـ ﴿ يَشْرَبُ ﴾ . حكى هذه الأقوال الثلاثة ابنُ جرير .

وقوله : ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ أى : يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا ، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم .

والتفجير هو الإنباع ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠] . وقال : ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا ﴾ [الكهف: ٣٣] .

قال مجاهد : ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ : يقودونها حيث شاؤوا ، وكذا قال عكرمة ، وقتادة . وقال الثورى : يصرفونها حيث شاؤوا .

وقوله : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ أى : يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من [فعل] [٣] الطاعات الواجبة بأصل الشرع ، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر .

---

(١) فى أ: « أعده الله » .　(٢) فى م : « الطعام » .　(٣) زيادة من م، أ .

قال الإمام مالك ، عن طلحة بن عبد الملك الأيلى ، عن القاسم بن مالك ، عن عائشة ، رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يَعصى الله فلا يَعصِه » ، رواه البخارى من حديث مالك (١) .

ويتركون المحرمات التى نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد ، وهو اليوم الذى شره مستطير ، أى : منتشر عام على الناس إلا من رَحِمَ الله .

قال ابن عباس : فاشياً . وقال قتادة : استطار ـ والله ـ شرّ ذلك اليوم حتى مَلأ السموات والأرض .

قال ابن جرير : ومنه قولهم : استطار الصدع فى الزجاجة واستطال . ومنه قول الأعشى :

فَبَانَتْ وَقَد أسْأرت فى الفُـؤا ... د صَدْعاً ، على نَأيها ،مُستَطيراً (٢)

يعنى : ممتدا فاشيا .

وقوله : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّه ﴾ : قيل: على حب الله تعالى . وجعلوا الضمير عائداً إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه . والأظهر أن الضمير عائد على الطعام ، أى : ويطعمون الطعام فى حال محبتهم وشهوتهم له ، قاله مجاهد ، ومقاتل ، واختاره ابن جرير ، كقوله تعالى : ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ [البقرة:١٧٧] ، وكقولـه تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: ٩٢] .

وروى البيهقى ، من طريق الأعمش ، عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتهى عنبا ـ أول ما جاء العنب ـ فأرسلت صفية ـ يعنى امرأته ـ فاشترت عنقوداً بدرهم ، فاتبع الرسولَ السائل ، فلما دخل به قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه . فأعطوه إياه . ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقوداً فاتبع الرسولَ السائلُ ، فلما دخل قال السائل : السائل . فقال ابن عمر : أعطوه إياه. فأعطوه إياه . فأرسلت صفية إلى السائل فقالت : والله إن عُدتَ لا تصيبُ منه خيراً أبداً . ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به (٣) .

وفى الصحيح : « أفضل الصدقة أن تَصدّقَ وأنت صحيح ، شحيح ، تأمل الغنى ، وتخشى الفقر » (٤) ،أى : فى حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه؛ولهذا قال تعالى : ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ . أما المسكين واليتيم،فقد تقدم بيانهما وصفتهما.وأما الأسير : فقال سعيد بن جبير ، والحسن ، والضحاك : الأسير : من أهل القبلة . وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين . ويشهد لهذا أن رسول الله ﷺ أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء ، وهكذا قال سعيد بن جبير ، وعطاء ، والحسن، وقتادة .

(١) صحيح البخارى برقم (٦٦٩٦، ٦٧٠٠) .
(٢) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٢٩) .
(٣) السنن الكبرى للبيهقى (٤/ ١٨٥) .
(٤) صحيح مسلم برقم (١٠٣٢) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

وقد وصى رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الأرقاء فى غير ما حديث ، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول : « الصلاةَ وما ملكت أيمانكم » (١) .

وقال عكرمة : هم العبيد ـ واختاره ابن جرير ـ لعموم الآية للمسلم والمشرك .

وقال مجاهد : هو المحبوس ، أى : يطعمون لهؤلاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه ، قائلين بلسان الحال : ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ** ﴾ أى : رجاءَ ثواب الله ورضاه ، ﴿ **لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا** ﴾ أى : لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا عند الناس .

قال مجاهد وسعيد بن جبير : أما والله ما قالوه بألسنتهم ، ولكن علم الله به من قلوبهم ، فأثنى عليهم به ليرغب فى ذلك راغب .

﴿ **إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ أى : إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، فى اليوم العبوس القمطرير .

قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **عَبُوسًا** ﴾ : ضيقا ، ﴿ **قَمْطَرِيرًا** ﴾ : طويلا .

وقال عكرمة وغيره ، عنه ، فى قوله : ﴿ **يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا** ﴾ أى : يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عَرَق مثل القَطرَان .

وقال مجاهد : ﴿ **عَبُوسًا** ﴾ : العابس الشفتين ، ﴿ **قَمْطَرِيرًا** ﴾ قال : تقبيض الوَجه بالبُسُور .

وقال سعيد بن جبير ، وقتادة : تعبس فيه الوجوه من الهول ، ﴿ **قَمْطَرِيرًا** ﴾ : تقليص الجبين وما بين العينين ، من الهول .

وقال ابن زيد : العبوس : الشر . والقمطرير : الشديد .

وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها ،وأعلاها وأولاها ـ قولُ ابن عباس ، رضى الله عنه .

قال ابن جرير : والقمطرير هو : الشديد ؛ يقال : هو يوم قمطرير ويوم قُماطِر ، ويوم عَصيب وعَصَبْصَب ، وقد اقمطرّ اليومُ يقمطرّ اقمطرارا ، وذلك أشد الأيام وأطولها فى البلاء والشدة ، ومنه قول بعضهم :

بَنِى عَمّنا ، هل تَذكُرونَ بَلاءنَا ؟ عَلَيكم إذَا مـا كَـانَ يَـومُ قُمَاطِرُ (٢)

قال الله تعالى : ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا** ﴾ ، وهذا من باب التجانس البليغ ، ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ** ﴾ أى : آمنهم مما خافوا منه ، ﴿ **وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً** ﴾ أى : فى وجوههم ، ﴿ **وَسُرُورًا** ﴾ أى : فى قلوبهم . قاله الحسن البصرى ، وقتادة ، وأبو العالية ، والربيع ابن أنس . وهذه كقوله تعالى :﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ** ﴾ [عبس:٣٨ ، ٣٩] . وذلك أن القلب إذا سُرَّ استنار الوجه ، قال كعب بن مالك فى حديثه الطويل : وكان رسول الله ﷺ

(١) رواه أحمد فى المسند (١/٧٨) من حديث على رضى الله عنه .
(٢) البيت فى تفسير الطبرى (٢٩/١٣١) غير منسوب .

إذا سرّ ، استنار وجهه حتى كأنه قطعة [(١)] قمر [(٢)] . وقالت عائشةُ : دخل علَيّ رسول الله ﷺ مسرورا تَبرُقُ أسَاريرُ وَجْهه [(٣)] . الحديث .

وقوله : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا ﴾ أى : بسبب صبرهم أعطاهم ونوّلهم وبوّأهم ﴿ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ أى : منزلا رحبا ، وعيشا رَغَداً [(٤)] ، ولباساً حَسَناً .

وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة هشام بن سليمان الدّارانى قال : قرئ على أبى سليمان الدارانى سورة : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ ﴾ ، فلما بلغ القارئ إلى قوله : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ ، قال بما صبروا على ترك الشهوات فى الدنيا ، ثم أنشد :

كَم قَتيل بشَهوةٍ وأسير ... أفّ مِنْ مُشتَهى خِلافَ الجَميل

شَهوَاتُ الإنْسان تورثه الذُّل ... وتُلْقيه فى البَلاء الطَّويل [(٥)]

﴿ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ (١٥) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا (٢٢) ﴾ .

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم ، وما أسبغ عليهم من الفضل العَميم فقال : ﴿ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ . وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة « الصافات » ، وذكر الخلاف فى الاتكاء : هل هو الاضطجاع ، أو التمرفق ، أو التربع ، أو التمكن فى الجلوس ؟ وأن الأرائك هى السُّرر تحت الحجال .

وقوله : ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ أى : ليس عندهم حَرّ مزعج ، ولا برد مؤلم ، بل هى مزاج واحد دائم سَرْمَدِىّ ، ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف:١٠٨] .

---

(١) فى م :« كأنه فلقة » .

(٢) حديث توبة كعب بن مالك فى صحيح البخارى برقم (٣٩٥١،٤٦٧٣) ، وفى صحيح مسلم برقم (٢٧٦٩) ، وتقدم عند تفسير الآية: ١١٨ من سورة « التوبة » .

(٣) حديث عائشة فى لحاق أسامة بأبيه زيد . رواه البخارى فى صحيحه برقم (٣٥٥٥) ، ومسلم فى صحيحه برقم (١٤٥٩) .

(٤) فى م : « رغيدا » .

(٥) انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٢٧/٨٦) ووقع صدره فيه :

كم قتيل لشهوةٍ وأسير

﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ﴾ أى : قريبة إليهم أغصانها ، ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ أى : متى تعاطاه دنا القطفُ إليه وتدلى من أعلى غصنه ، كأنه سامع طائع ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: ٥٤] . وقال تعالى : ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٣] .

قال [١] مجاهد : ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ : إن قام ارتفعت بقَدْره ، وإن قعد تَدَلَّتْ [٢] له حتى ينالها ، وإن اضطجع تَدَلَّت [٣] له حتى ينالها ، فذلك قوله : ﴿ تَذْلِيلًا ﴾ .

وقال قتادة : لا يرد أيديهم عنها شوكٌ ولا بُعدُ .

وقال مجاهد : أرض الجنة من وَرِق ، وترابها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت ، والوَرَقُ والتمر بين ذلك . فمن أكل منها قائما لم يؤذه ، ومن أكل منها قاعدا لم يؤذه ، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه .

وقوله : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ أى : يطوف عليهم الخَدَم بأوانى الطعام ، وهى من فضة ، وأكواب الشراب وهى الكيزان التى لا عرى لها ولا خراطيم .

وقوله [٤] : ﴿ قَوَارِيرَ . قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ ، فالأول منصوب بخبر « كان » أى : كانت قوارير . والثانى منصوب إما على البدلية [٥] ، أو تمييز ؛ لأنه بينه بقوله : ﴿ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن البصرى ، وغير واحد : بياض الفضة فى صفاء الزجاج ، والقوارير لا تكون إلا من زجاج . فهذه الأكواب هى من فضة ، وهى مع هذا شفافة يرى ما فى باطنها من ظاهرها ، وهذا مما لا نظير له فى الدنيا .

قال ابن المبارك ، عن إسماعيل ، عن رجل ، عن ابن عباس : ليس فى الجنة شىء إلا قد أعطيتم فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبى حاتم .

وقوله : ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ أى : على قدر ريّهم ، لا تزيد عنه ولا تنقص ، بل هى مُعَدّة لذلك، مقدرة بحسب ريّ صاحبها . هذا معنى قول ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبى صالح ، وقتادة ، وابن أبزى ، وعبد الله بن عُبَيد بن عمير ، وقتادة ، والشعبى ، وابن زيد . وقاله ابن جرير وغير واحد . وهذا أبلغ فى الاعتناء والشرف والكرامة .

وقال العَوفى ، عن ابن عباس : ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾ : قدرت للكف . وهكذا قال الربيع بن أنس . وقال الضحاك : على قدر أكُفّ الخُدّام . وهذا لا ينافى القول الأول ، فإنها مقدرة فى القَدْر والرّى .

وقوله : ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا [٦] زَنجَبِيلًا ﴾ أى : ويسقون ــ يعنى الأبرار أيضا ــ فى هذه الأكواب ﴿ كَأْسًا ﴾ أى : خمراً ، ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴾ ، فتارة يُمزَج لهم الشراب بالكافور

---

(١) فى م: « وقال» . (٢ ، ٣) فى أ : « تذللت » . (٤) فى م ،أ : « وهذه » .
(٥) فى أ: « على البداية » . (٦) فى أ : «كان مزاجه » وهوخطأ .

وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ، ليعتدل الأمر ، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة. وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صِرْفاً ، كما قاله قتادة وغير واحد . وقد تقدم فى قوله : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ ، وقال ههنا : ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ أى : الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلا .

قال عكرمة : اسم عين فى الجنة . وقال مجاهد : سميت بذلك لسلاسة سيلها وحِدّة جَريها .

وقال قتادة : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ : عين سَلِسَة مُستَقِيد [١] ماؤها .

وحكى ابنُ جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها فى الحَلْق . واختار هو أنها تَعُمّ ذلك كلَّه ، وهو كما قال .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ أى : يطوف على أهل الجنة للخدْمَة ولدانٌ من ولدان الجنة ﴿ مُّخَلَّدُونَ ﴾ أى : على حالة واحدة مخلدون عليها ، لا يتغيرون عنها ، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن . ومن فسرهم بأنهم مُخَرّصُونَ فى آذانهم الأقرطة، فإنما عبر عن المعنى بذلك ؛ لأن الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبيْر .

وقوله : ﴿ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴾ أى : إذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة ، وكثرتهم ، وصباحة وجوههم ، وحُسن ألوانهم وثيابهم وحليهم ، حسبتهم لؤلؤا منثورا . ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ، ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن .

قال قتادة ، عن أبى أيوب ، عن عبد الله بن عمرو : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم ، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه .

وقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ﴾ أى : وإذا رأيت يا محمد ، ﴿ ثَمَّ ﴾ أى : هناك [٢] ، يعنى فى الجنة ونعيمها وسعَتَها وارتفاعها وما فيها من الحَبْرَة والسرور ، ﴿ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ أى : مملكةً لله هُناك عظيمةً وسلطاناً باهراً .

وثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا إليها : إن لك مثلَ الدنيا وعشرة أمثالها .

وقد قَدّمنا [٣] فى الحديث المَروىّ من طريق ثُوَير بن أبى فاختة ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى [٤] سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » . فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون فى الجنة ، فما ظنك بما هو أعلى منزلة ، وأحظى عنده تعالى .

وقد روى الطبرانى هاهنا حديثاً غريباً جداً فقال : حدثنا على بن عبد العزيز ، حدثنا محمد بن

---

(١) فى أ: « مستعذب » . (٢) فى أ : « أى هنالك » .

(٣) عند تفسير الآية :٢٣ من سورة « القيامة ».

(٤) فى أ : « مسيرة ألف ».

عمار الموصلى ، حدثنا عفيف [١] بن سالم ، عن أيوب بن عتبة ، عن عطاء ، عن ابن عمر قال : جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ : فقال له رسول الله : « سل واستفهم » . فقال: يا رسول الله ، فُضّلْتُم علينا بالصور والألوان والنبوة ، أفرأيتَ إن آمنتُ بما آمنتَ به وعملتُ بمثل ما عملتَ به ، إنى لكائن معكَ فى الجنة ؟ قال : « نعم ، والذى نفسى بيده ، إنه لَيُرَى بياض الأسود فى الجنة من مسيرة ألف عام » . ثم قال رسول الله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله ، كان له بها عَهدٌ عند الله ، ومن قال : سبحان الله وبحمده ، كتب له مائة ألف حسنة ، وأربعة وعشرون ألف حسنة » . فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وُضِعَ على جبل لأثقله ، فتقوم النعمة ــ أو : نعَم الله ــ فتكاد تستنفد ذلك كله ، إلا أن يَتَغَمّده الله برحمته » . ونزلت هذه السورة : ﴿ **هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **مُلْكًا كَبِيرًا** ﴾ . فقال الحبشى : وإن عينى لترى ما ترى عيناك فى الجنة ؟ قال: « نعم » . فاستبكى حتى فاضت نفسه . قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله ﷺ يُدليه فى حُفْرَته بيده [٢] .

وقوله : ﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ** ﴾ أى : لباس أهل الجنة فيها الحرير ، ومنه سندس، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلى أبدانهم ، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان ، وهو مما يلى الظاهر ، كما هو المعهود فى اللباس [٣] ، ﴿ **وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ** ﴾ وهذه صفة الأبرار، وأما المقربون فكما قال : ﴿ **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ** ﴾ [الحج: ٢٣] .

ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلى قال [٤] بعده : ﴿ **وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا** ﴾ أى : طهر بواطنهم من الحَسَد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرّديَّة ، كما روينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب أنه قال : إذا انتهى أهلُ الجنة إلى باب الجنة وَجَدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما [فأذهب الله] [٥] ما فى بطونهم من أذى ، ثم اغتسلوا من الأخرى فَجَرت عليهم نضرةُ النعيم .

وقوله : ﴿ **إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا** ﴾ أى : يقال لهم ذلك تكريما لهم وإحسانا إليهم كقوله : ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ** ﴾ [الحاقة: ٢٤] ، وكقوله : ﴿ **وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

وقوله : ﴿ **وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا** ﴾ أى : جزاكم الله على القليل بالكثير .

﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا**

(١) فى م ، أ ، هـ: « حدثنا عقبة » و المثبت من المعجم الأوسط للطبرانى.
(٢) المعجم الأوسط برقم (٤٧٧٤) « مجمع البحرين » ، وقال : « لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد ، تفرد به عفيف » .
(٣) فى أ : « فى الملبس » . (٤) فى أ : « فقال » . (٥) مكانها فى هـ ، كلمة غير واضحة ، والمثبت من م ، أ .

(٢٦) إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١) ﴾ .

يقول تعالى ممتناً على رسوله ﷺ بما نزّله عليه من القرآن العظيم تنزيلا : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ أى : كما أكرمتُكَ بما أنزلتُ عليك ، فاصبر على قضائه وقَدَره ، واعلم أنه سيُدَبرك بحسن تدبيره ، ﴿وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ أى: لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدّك عما أنزل إليك [(١)] ، بل بَلّغ ما أنزل إليك من ربك ، وتوكل على الله ؛ فإن الله يعصمك من الناس . فالآثم هو الفاجر فى أفعاله ، والكفور هو الكافر بقلبه .

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ أى : أولَ النهار وآخره . ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾ ،كقوله :﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩] ، وكقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ . قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً . نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً . أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [المزمل: ١ ــ ٤] .

ثم قال تعالى منكراً على الكفار ومن أشبههم فى حُبّ الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها ، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم : ﴿ إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً ﴾ يعنى : يوم القيامة .

ثم قال : ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغير واحد : يعنى خَلْقَهم . ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾ أى : وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة ، وبَدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا . وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة .

وقال ابن زيد ، وابن جرير : ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً ﴾ [أى] [(٢)] : وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم ، كقوله : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ [(٣)] قَدِيرًا ﴾ [النساء:١٣٣] ، وكقوله : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ . وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ١٩، ٢٠ ، وفاطر ١٦ ، ١٧] .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ ﴾ يعنى : هذه السورة ﴿ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً ﴾ أى : طريقا ومسلكا ، أى: من شاء اهتدى بالقرآن ، كقوله : ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ

---

(١) فى أ :« عليك » .
(٢) زيادة من م.
(٣) فى أ : « وكان الله على كل شىء » وهو خطأ .

وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً ﴾ [النساء: ٣٩] .

ثم قال : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أى : لا يقدر أحد أن يَهدى نفسه ، ولا يدخل فى الإيمان (١) ولا يجر لنفسه نفعاً ، ﴿ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ أى : عليم بمن يستحق الهداية فَيُيَسِّرها له ، ويقيض له أسبابها ، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى ، وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ .

ثم قال : ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ أى : يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، ومن يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

[آخر سورة « الإنسان »] (٢) [والله أعلم] (٣)

(١) فى م : « فى إيمان » .
(٢) زيادة من م ، أ .
(٣) زيادة من أ .

تفسير سورة الإنسان

وهي مكية

قد تقدم في صحيح مسلم[(١)] ، عن ابن عباس - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يومَ الجمعة ﴿**الم. تنزيل**﴾ السجدة ، و ﴿**هل أتى على الإنسان**﴾ .

وقال عبد الله بن وهب ، أخبرنا ابن زيد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة : ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر**﴾ ، وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود ، فلما بلغ صفة الجنان ، زفر زفرة فخرجت نفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أخرج نفس صاحبكم - أو قال : أخيكم - الشوقُ إلى الجنة**» . مرسل غريب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

يقول تعالى مخبرًا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا يذكر، لحقارته ، وضعفه ، فقال : ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا**﴾ .

ثم بين ذلك فقال : ﴿**إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج**﴾ ، أي : أخلاط . والمشج والمشيج :الشيء الخَليط ، بعضه في بعض .

قال ابن عباس في قوله : ﴿**من نطفة أمشاج**﴾ ، يعنى : ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ، ثم ينتقل بعدُ من طور إلى طور ، وحال إلى حال ، ولون إلى لون . وهكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، والحسن ، والربيع بن أنس : الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة .

وقوله : ﴿**نبتليه**﴾ ، أي : نختبره ، كقوله : ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾ . ﴿**فجعلناه سميعًا بصيرًا**﴾ ، أي : جعلنا له سمعًا وبصرًا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية .

وقوله : ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾ ، أي : بيناه له ووضحناه وبصرناه به ، كقوله : ﴿**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى**﴾ . وكقوله : ﴿**وهديناه النجدين**﴾ ، أي : بينا له طريق الخير وطريق الشر . وهذا قول عكرمة ، وعطية ، وابن زيد ، ومجاهد - في المشهور عنه -

---

(١) تقدم تخريجه في أول سورة السجدة .

والجمهور.

ورُوى عن مجاهد، وأبي صالح، والضحاك، والسدي أنهم قالوا في قوله: ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾: يعنى خروجه من الرحم. وهذا قول غريب، والصحيح المشهور الأول.

وقوله: ﴿**إما شاكرًا وإما كفورا**﴾ منصوب على الحال من «الهاء» في قوله: ﴿**إنا هديناه السبيل**﴾: تقديره فهو في ذلك إما شقى وإما سعيد، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم(٢)، عن أبي مالك الأشعري؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل الناس يغدو، فبائع نفسه فموبقها أو معتقها**». وتقدم في «سورة الروم»، عند قوله: ﴿**فطرت الله التي فطر الناس عليها**﴾ من رواية جابر بن عبد الله؛ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كل مولود يولد على الفطرة حتى يُعرب عنه لسانه [فإذا أعرب عنه لسانه]**[١]**، فإما شاكرًا وإما كفورًا**»(٣).

وقال الإمام أحمد(٤): حدثنا أبو عامر، حدثنا عبد الله بن جعفر، عن عثمان بن محمد، عن المقبري، عن أبي هُرَيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: «**ما من خارج يخرج إلا ببابه رايتان: رايةٌ بيد مَلَك، وراية بيد شَيطان، فإن خرج لما يُحِبّ الله اتبعَه المَلَك برايته، فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته. وإن خرج لما يُسخِط الله اتبعه الشيطان برايته، فلم يزل تحت راية الشيطان، حتى يرجع إلى بيته**».

وقال الإمام أحمد(٥): حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن ابن خُثَيم، عن عبد الرحمن ابن سابط، عن جابر بن عبد الله؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عُجْرة: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء**». قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «**أمراء يكونون من بعدي، لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، فمن صَدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني ولست منهم، ولا يَرِدُون على حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يُعنِهم على ظلمهم، فأولئك منى وأنا منهم، وسيردون على حوضى، يا كعب بن عُجرة: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة، والصلاة قُربان- أو قال: برهان. يا كعب بن عُجرةَ: إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت، النار أولى به، يا كعب: الناس غَاديان، فمبتاعُ**[٢] **نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها**».

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، حديث (١/٢٢٣) (٣/١٢٥ - ١٢٦).

(٣) تقدم تخريجه في تفسير سورة الروم آية: ٣٠.

(٤) المسند (٨٢٦٩)، وصححه أحمد شاكر.

(٥) المسند (٣/٣٢١) (١٤٤٨٣).

[١] - سقط من ز.

[٢] - في ز: فبائع.

ورواه عن عفّان (٦)، عن وُهَيب، عن عبد الله بن عثمان بنُ خثَيم به.

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خَلقه به من السلاسل والأغلال والسعير، وهو اللّهيب والحريق في نار جهنم، كما قال: ﴿**إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون* في الحميم ثم في النار يُسجرون**﴾.

ولما ذكر ما أعدّه لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده: ﴿**إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا**﴾، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة.

قال الحسن: برد الكافور في طيب الزنجبيل؛ ولهذا قال: ﴿**عينا يشرب بها عباد الله، يفجّرونها تفجيرًا**﴾، أي: هذا الذي مُزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صِرفًا بلا مزج ويُرْوون[١] بها؛ ولهذا[٢] ضمن يشرَب «**يروى**» حتى عداه بالباء، ونصب ﴿**عينا**﴾ على التمييز.

قال بعضهم: هذا الشراب في طيبه كالكافور. وقال بعضهم: هو من عين كافور. وقال بعضهم: يجوز أن يكون منصوبًا بـ﴿**يشرب**﴾. حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير.

وقوله: ﴿**يفجرونها تفجيرًا**﴾، أي[٣]: يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم. والتفجير هو الإنباع، كما قال تعالى: ﴿**وقالوا لن**

(٦) المسند (٣٩٩/٣) (١٥٣٢٤).

[١] - في ز: ويسون.
[٢] - في ز: هذا.
[٣] - سقط من ز.

نؤمن لك حتى تفجُر لنا من الأرض ينبوعًا ﴾. وقال: **﴿ وفجرنا خلالهما[١] نهرًا ﴾**. قال مجاهد: **﴿ يفجرونها تفجيرًا ﴾** يقودونها حيث شاءوا. وكذا قال عكرمة، وقتادة: وقال الثوري: يصرفونها حيث شاءوا.

وقوله: **﴿ يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيرا ﴾**، أي: يتعبدون للّه فيما أوجبه عليهم من الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر.

قال الإمام مالك(٧)، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن مالك، عن عائشة رضي اللّه عنها أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؛ قال: « **من نذر أن يطيع اللّه فليطعه، ومن نذر أن يَعصى اللّه فلا يَعصِه** ». رواه البخاري، من حديث مالك.

ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي: منتشر عام على الناس إلا من رَحِمَ اللّه.

قال ابن عباس: فاشيًا. وقال قتادة: استطار - واللّه - شرّ ذلك اليوم حتى مَلأَ السماوات والأرض. قال ابن جرير: ومنه قولهم: استطار الصَدع في الزجاجة واستطال. ومنه قول الأعشى:

فَبَانَتْ [٢] وَقَد أَسْأَرت في الفُؤا د صَدْعًا على نَأيها مُستَطيرًا

يعنى: ممتدًّا فاشيًا.

وقوله: **﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾**، قيل: على حب اللّه تعالى. وجعلوا الضمير عائدًا إلى اللّه -عز وجل- لدلالة السياق[٣] عليه. والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له. قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، [كقوله تعالى: **﴿ وآتى المال على حبه ﴾**.

وكقوله تعالى: **﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾**.][٤]

وروى البيهقي(٨)، من طريق الأعمش، عن نافع؛ قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنبًا أول ما

(٧) «الموطأ» كتاب: النذور والأيمان، باب: ما لا يجوز من النذور في معصية الله، حديث (٨) (١/ ٣٧٩). والبخاري في كتاب: الأيمان والنذر، باب: النذر في الطاعة، حديث (٦٦٩٦) (١١/٥٨١). وطرفه في [٦٧٠٠].

(٨) أخرجه البيهقي في السنن (٤/١٨٥) كتاب الزكاة، باب: ما ورد في قوله تعالى: ﴿ ويؤثرون =

[١] - في ز: خلالها. [٢] - في ز: فباتت.

[٣] - في ز: الضمير.

[٤] - هذه العبارة مكانها في ز، خ بعد الفقرة القادمة.

جاء العنب فأرسلت صفية -يعني امرأته- فاشترت عنقودًا بدرهم، فاتبع الرسولَ السائل[١]، فلما دخل به قال[٢] السائل: السائل. فقال ابن عمر أعطوه إياه. فأعطوه إياه. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودًا فاتبع الرسول السائلُ: فلما دخل قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: واللَّه إن عُدتَ لا تصيبُ منه خيرًا أبدًا. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به.

وفي الصحيح(٩) : «**أفضل الصدقة أن تَصَدّقَ وأنت صحيح، شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر**»، أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ولهذا قال تعالى: «**ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا**» أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما. وأما الأسير فقال سعيد بن جبير، والحسن، والضحاك: الأسير: من أهل القبلة.

وقال ابن عباس(١٠) : كان أسراؤهم يومئذ مشركين. ويشهد لهذا أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء.

وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحسن، وقتادة.

وقد وصى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول: «**الصلاةَ وما ملكت أيمانكم**»(١١) .

وقال عكرمة: هم العبيد- واختاره ابن جرير- لعموم الآية للمسلم والمشرك.

وقال مجاهد: هو المحبوس. أي: يطعمون لهؤلاء الطعام وهم يشتهونه ويحبونه، قائلين بلسان الحال: ﴿**إنما نطعمكم لوجه اللَّه**﴾، أي: رجاءَ ثواب اللَّه ورضاه، ﴿**لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا**﴾، أي: لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا[٣] عند الناس.

= على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ .

(٩) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: فضل صدقة الشحيح الصحيح، حديث (١٤١٩) (٣/ ٢٨٤ - ٢٨٥). ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، حديث (١٠٣٢/٩٣،٩٢) (١٧٣/٧ - ١٧٤). كلاهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - به.

(١٠) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٩٣/٢٢) (٩٧٧) والصغير (١٤٦/١) من حديث أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير فذكر قصة في معنى ذلك. قال الهيثمي في «المجمع» (٨٩/٦) : رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن.

(١١) تقدم تخريجه في تفسير سورة الحاقة، آية: (٣٤) برقم (٢٠).

[١] - في ز، خ: سائل.
[٢] - في ز: فقال.
[٣] - في ز: تشكروا منا.

قال مجاهد وسعيد بن جبير: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب.

﴿إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾، أي: إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، في اليوم العبوس القمطرير. قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿عبوسًا﴾: ضيقًا، ﴿قمطريرًا﴾: طويلًا. وقال عكرمة وغيره، عنه، في قوله: ﴿يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾، أي[١]: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عَرَق مثل القَطرَان.

وقال مجاهد: ﴿عبوسًا﴾، العابس الشفتين ﴿قمطريرًا﴾، قال: تقبيض الوجه بالبُسُور.

وقال سعيد بن جبير، وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول، ﴿قمطريرًا﴾: تقليص الجبين وما بين العينين، من الهول.

وقال ابن زيد: العبوس: الشر. والقمطرير: الشديد.

وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها، وأعلاها وأولاها - قولُ ابن عباس رضي الله عنه.

قال ابن جرير: والقمطرير هو: الشديد؛ يقال: هو يوم قمطرير ويوم قُمَاطِر، ويوم عَصِيب وعَصَبْصَب، وقد اقمطرّ اليومُ يقمطرّ اقمطرارًا، وذلك أشد الأيام وأطولها[٢] في البلاء والشدة، ومنه قول بعضهم.

بَني عَمّنا هل تَذكُرونَ بَلاءَنَا عَلَيكم إذَا ما كَانَ يَومُ قُمَاطِرُ

قال الله تعالى: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليو، ولقاهم نضرة وسرورًا﴾، وهذا من باب التجانس البليغ، ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾، أي: آمنهم مما خافوا منه، ﴿ولقاهم نضرة﴾، أي: في وجوههم، ﴿وسرورًا﴾، أي: في قلوبهم. قاله الحسن البصري، وقتادة، وأبو العالية، والربيع بن أنس.

وهذه كقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة﴾ وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ، استنار وجهه حتى كأنه قطعة[٣] قَمَر»(١٢).

وقالت عائشةُ: «دخل عَلَيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورًا تَبرُقُ أَسَارِيرُ

(١٢) أخرجه البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ حديث (٣٥٥٦) (٥٦٥/٦). ومسلم في كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث (٢٧٦٩/٥٣) (١٤٧/١٧).

[١] - في ز :قال.

[٢] - في ز: أطوله.

[٣] - في ز: فلقة.

وَجهه ...»(١٣) الحديث .

وقوله : ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ ، أي : بسبب صبرهم أعطاهم ونَولهم وبَوأهم ﴿جنةً وحريرًا﴾ ، أي : منزلًا رحبًا ، وعيشًا رَغدًا ، ولباسًا حَسَنًا .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الدّاراني قال : قرئ على أبي[١] سليمان الداراني سورة : ﴿هل أتى على الإنسان﴾ ، فلما بلغ القارئ إلى قوله : ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا﴾ ، قال : بما[٢] صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ، ثم أنشد :

كَم قَتِيل بشَهوةٍ وأسير أفّ مِنْ مُشتهى خِلاف الجَمِيل
شَهوَاتُ الإنسان تورثه الذّل وَتُلقيه في البَلَاء الطّويل

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم ، وما أسبغ عليهم من الفضل العَمِيم فقال : ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ . وقد تقدم الكلام على ذلك في «سورة الصافات» وذكر الخلاف في الاتكاء : هل هو الاضطجاع ، أو التمرفق ، أو التربع ، أو التمكن في الجلوس ؟ وأن الأرائك هي السرر تحت الحجال .

وقوله : ﴿لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا﴾ ، أي : ليس عندهم حَر مزعج ، ولا برد مؤلم ، بل هي مزاج واحد دائم سَرْمَديّ ، ﴿لا يبغون عنها حولًا﴾ .

(١٣) أخرجه البخاري في الموضع السابق برقم (٣٥٥٥) . وأطرافه في [٣٧٣١ ، ٦٧٧٠ ، ٦٧٧١] . ومسلم في كتاب : الرضاع ، باب : العمل بإلحاق القائف الولد ، حديث (٣٨/١٤٥٩) (١٠/٥٩ - ٦٠) .

[١] - في ز : ابن . [٢] - في ز : لما .

﴿ودانية عليهم ظلالها﴾، أي: قريبة إليهم أغصانها، ﴿وذللت قطوفها تذليلًا﴾، أي: متى تعاطاه دنا القطْفُ إليه وتدلى من أعلى غصنه، كأنه سامع طائع، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وجنى الجنتين دان﴾. وقال تعالى: ﴿قطوفها دانية﴾.

قال مجاهد: ﴿وذللت قطوفها تذليلًا﴾: إن قام ارتفعت بقَدْره[١]، وإن قعد تَدَلَّتْ له[٢] حتى ينالها، وإن اضطجع تَدَلَّت له[٣] حتى ينالها، فذلك قوله: ﴿تذليلًا﴾.

وقال قتادة: لا يرد أيديَهم عنها شوك ولا بُعدُ.

وقال مجاهد: أرض الجنة من وَرِق، وترابها المسك، وأصول شجرها من ذهب وفضة، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب[٤] والزبرجد والياقوت، والوَرَق والثمر بين ذلك. فمن أكل منها قائمًا لم يؤذه، ومن أكل منها قاعدًا لم يؤذه، ومن أكل منها مضطجعًا لم يؤذه.

وقوله: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب﴾، أي: يطوف عليهم الخدمُ بأواني الطعام، وهي من[٥] فضة، وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم.

وقوله[٦]: ﴿كانت[٧] قواريرَ قوارير من فضة﴾، فالأول منصوب بخبر كان؛ أي[٨]: كانت قوارير. والثاني منصوب إما على البدلية، أو تمييز؛ لأنه بينه بقوله: ﴿قوارير من فضة﴾.

قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن البصري، وغير واحد: بياض الفضة في صفاء الزجاج، والقوارير لا تكون إلا من زجاج. فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا.

قال ابن المبارك، عن إسماعيل، عن رجل، عن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿قدروها تقديرًا﴾، أي: على قدر ريّهم، لا تزيد عنه ولاتنقص[٩]، بل هي مُعَدّة لذلك، مقدرة بحسب ريّ صاحبها. هذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبي صالح، وقتادة، وابن أبزى، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وقتادة، والشعبي، وابن زيد.

---

[١] - في ز: بقدر.
[٢] - في ز: تذللت.
[٣] - في ز: تذللت.
[٤] - سقط من ز.
[٥] - سقط من ز.
[٦] - في ز، خ: وهذه.
[٧] - سقط من ز.
[٨] - سقط من ز.
[٩] - في ز: ينقص منه.

وقاله ابن جرير وغير واحد. وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿قدروها تقديرًا﴾، قدرت للكف.

وهكذا قال الربيع بن أنس. وقال الضحاك على قدر أُكُفّ الخُدام. وهذا لا ينافي القول الأول، فإنها مقدرة في القَدْر والرّي[١].

وقوله: ﴿ويُسْقَون فيها كأسًا كان مِزَاجُها زَنجبيلًا﴾ أي: ويسقون - يعني الأبرار أيضًا - في هذه الأكواب ﴿كأسًا﴾، أي: خمرًا، ﴿كان مزاجها زنجبيلا﴾، فتارة يمزَج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة.

وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صِرفًا، كما قاله قتادة وغير واحد. وقد تقدم قوله: ﴿عينًا يشرب بها عباد الله﴾، وقال هاهنا: ﴿عينًا فيها تسمى سلسبيلًا﴾ أي: الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلًا.

قال عكرمة: اسم عين في الجنة. وقال مجاهد: سميت بذلك لسلاسة سيلها وحِدّة جَريها.

وقال قتادة: ﴿عينًا فيها تسمى سلسبيلًا﴾: عين سَلِسَة مُستَقِيد ماؤها.

وحكى ابنُ جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحلْق. واختار هو أنها تَعُمّ ذلك كلَّه، وهو كما قال.

وقوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون. إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا﴾، أي: يطوف على أهل الجنة للخدْمَة ولدانٌ من ولدان الجنة ﴿مخلدون﴾، أي: على حالة واحدة مُخَلَّدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن. ومن فسرهم بأنهم مُخَرّصُونَ في آذانهم الأقرطة، فإنما عبر عن المعنى بذلك، لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير.

وقوله: ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا منثورًا﴾، أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحُسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤا منثورًا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن.

قال قتادة، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه.

---

[١] - في ز: والذي.

وقوله: ﴿وإذا رأيت﴾، أي: وإذا رأيت يا محمد ﴿ثَمَّ﴾، أي: هناك، يعني في الجنة ونعيمها وَسَعَتها وارتفاعها وما فيها من الحَبْرَة والسرور، ﴿رأيت نعيمًا وملكا كبيرًا﴾، أي: مملكةً لله هُناك عظيمةً وسلطانًا باهرًا.

وثبت في الصحيح (١٤) أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولًا إليها: إن لك مثلَ الدنيا وعشرة أمثالها.

وقد قَدَّمنا في الحديث المَرويّ من طريق ثُوَير بن أبي فاختة، عن ابن عمر (١٥) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن[١] ينظر في ملكة مسيرة ألفي سنة ينظر إلى[٢] أقصاه كما ينظر إلى[٣] أدناه**» فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بما هو أعلى منزلة، وأحظى عنده تعالى.

وقد روى الطبراني(١٦) هاهنا حديثًا غَريبًا جدًّا فقال: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن عمار الموصلي، حدثنا عقبة[٤] بن سالم، عن أيوب بن عتبة، عن عطاء، عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله: «**سل واستفهم**». فقال: يا رسول الله، فُضِّلْتُم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيتَ إن آمنتُ بما آمنت به وعملتُ بمثل ما عملتَ به، إني لكائن معكَ في الجنة؟ قال: «**نعم والذي نفسي بيده إنه لَيُرَى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام**» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**من قال: لا إله إلا الله، كان له بها عَهدٌ عند الله، ومن قال: سبحان الله وبحمده، كتب له مائة ألف حسنة، وأربعة وعشرون ألف حسنة**». فقال رجل: كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضِعَ على جبل لأثقله، فتقوم النعمة - أو: نعَم الله فتكاد تستنفد ذلك كله، إلا أن يَتَغَمّده الله برحمته**». ونزلت هذه السورة: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ إلى قوله: ﴿ملكا كبيرًا﴾ فقال الحبشي: وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة؟ قال: «**نعم**». فاستبكى حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر: فَلَقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدْليه في

(١٤) أخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث (١٨٨/٣١١) (٣/٥٣ - ٥٤). من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه.

(١٥) تقدم تخريجه في تفسير سورة القيامة، آية: ٢٣، برقم (١٣).

(١٦) المعجم الكبير (١٢/٤٣٦ - ٤٣٧) (١٣٥٩٥). قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٢٣): وفيه أيوب ابن عتبة وهو ضعيف. اهـ.

[١] - في ز: أن.
[٢] - [٣] - سقط من خ.
[٤] - عند الطبراني: عفيف.

حُفرَته بيده .

وقوله : ﴿عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ ، أي : لباس أهل الجنة فيها الحرير ، ومنه سندس ، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلى أبدانهم ، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان ، وهو مما يلى الظاهر ، كما هو المعهود في اللباس ، ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال : ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير﴾ .

ولما ذكر تعالى زينةَ الظاهِر بالحرير والحلي قال بعده : ﴿وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا﴾ ، أي : طهر بواطنهم من الحسَد والحقد[١] والغل والأذى وسائر الأخلاق الرّديَّة ، كما روينا عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أنه قال : إذا انتهى أهلُ الجنة إلى باب الجنة وَجَدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما [فأذهب اللّه][٢] ما في بطونهم من أذى ، ثم اغتسلوا من الأخرى فَجَرت عليهم نضرةُ النعيم .

وقوله : ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورًا﴾ ، أي : يقال لهم ذلك تكريمًا لهم وإحسانًا إليهم كقوله : ﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ .

وكقوله : ﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ .

وقوله : ﴿وكان سعيكم مشكورًا﴾ ، أي : جزاكم اللّه على القليل بالكثير .

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ
كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ
لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾
نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ
تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿٣١﴾

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : قال : يذهب .

يقول تعالى ممتنًّا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما نَزّله[١] عليه من القرآن العظيم تنزيلًا: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾، أي: كما أكرمتُك بما أنزلتُ عليك، فاصبر على قضائه وقَدَره، واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره، ﴿ولا تطع منهم آثما أو كفورًا﴾، أي: لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صَدّك عما أنزل إليك، بل بَلّغ ما أنزل إليك من ربك، وتوكل على الله؛ فإن الله يعصمك من الناس. فالآثم هو الفاجر في أفعاله، والكفور هو الكافر بقلبه.

﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلًا﴾، أي: أولَ النهار وآخره. ﴿ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلًا طويلًا﴾.

كقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك، عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾.

وكقوله: ﴿يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلًا. نصفه أو انقص منه قليلًا. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلًا﴾.

ثم قال تعالى منكرًا على الكفار ومن أشبههم في حُبّ الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم: ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة. ويذرون وراءهم يومًا ثقيلًا﴾، يعني يوم القيامة.

ثم قال: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: يعني خَلْقَهم.

﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلًا﴾، أي: وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبدَلناهم فأعدناهم خلقًا جديدًا. وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة.

وقال ابن[٢] زيد، وابن جرير: ﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلًا﴾: وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم. [كقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين، وكان الله على ذلك قديرًا﴾.][٣]

وكقوله: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز﴾.

ثم قال تعالى: ﴿إن هذه﴾ - يعني هذه السورة ﴿تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلًا﴾، أي: طريقًا ومسلكًا، أي: من شاء اهتدى بالقرآن كقوله: ﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليمًا﴾.

ثم قال: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾، أي: لا يقدر أحد أن يَهديَ نفسه، ولا

---

[١] - في ز: أنزله.

[٢] - في ز: أبو. [٣] - سقط من ز، خ.

يدخل في الإيمان[١] **ولا يجر لنفسه نفعًا**، ﴿**إلا أن يشاء الله إن الله كان عليمًا حكيمًا**﴾، [أي: عليم بمن يستحق الهداية فَيُيَسّرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغَوَاية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، ولهذا قال تعالى: ﴿**إن الله كان عليمًا حكيمًا**﴾.][٢]

ثم قال: ﴿**يدخل من يشاء في رحمته، والظالمين أعد لهم عذابًا أليمًا**﴾، أي: يهدى من يشاء ويضل من يشاء، ومن يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادىَ له.

آخر سورة الإنسان

☆ ☆ ☆

---

[١] - في ز: إيمان.

[٢] - سقط من ز، خ.

سورة الإنسان

مكيّة، وهي إحدى وثلاثون آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤﴾

﴿هَلۡ أَتَىٰ﴾ استفهامُ تقرير وتقريب، فإنّ "هل" بمعنى "قد"، والأصل "أَهَلْ أتى" ﴿عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ قبل زمان قريب ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ أي: طائفة محدودة كائنةٌ مِن الزمن الممتدّ ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ بل كان شيئًا منسيًّا غير مذكور بالإنسانيّة أصلًا، كالعُنصر والنُّطفة وغير ذلك. والجملة المنفيّة حالٌ مِن ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾، أي: غيرَ مذكور، أو صفة أخرى لـ﴿حِينٞ﴾ على حذف العائد إلى الموصوف، أي: لم يكن فيه شيئًا مذكورًا.

والمراد بـ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ الجنس، فالإظهار في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ﴾ لزيادة التقرير، أو آدم عليه السلام، وهو المروي عن ابن عبّاسٍ وقتادةَ والثوري وعكرمةَ والشعبي.[1] قال ابن عبّاس في رواية أبي صالح عنه: «مرّت به أربعون سنةً قبل أن يُنفخ فيه الروح وهو ملقًى بين مكّة والطائف». وفي رواية الضحّاك عنه أنّه خُلق مِن طين فأقام أربعين سنةً، ثمّ مِن حمأ مسنون فأقام أربعين سنةً، ثمّ مِن صلصال فأقام أربعين سنةً، فتمّ خَلْقه بعد مائة وعشرين سنةً، ثمّ نُفخ فيه الروح. وحكى الماوردي عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما أنّ "الحِين" المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتدّ الذي لا يُعرَف مقداره فيكون الأوّل إشارةً إلى خَلْقه عليه السلام وهذا بيانًا لخلق بنيه.[2]

---

[1] انظر: جامع البيان للطبري، ٢٣/٥٢٩-٥٣٠؛ واللباب لابن عادل، ٢٠/٥.

[2] هذه الروايات كلّها في اللباب لابن عادل، ٢٠/٥.

﴿أَمْشَاجٍ﴾ أخلاطٍ، جمع مَشَج أو مَشيج، مِن "مَشجتُ الشيءَ" إذا خلطتَه. وُصِف النطفة به لِما أنّ المراد بها مجموع الماءين، ولكلّ منهما أوصاف مختلفة مِن اللون والرِّقة والغِلَظ، وخواصّ متباينة، فإنّ ماء الرجل أبيضُ غليظ فيه قوّة العَقد وماءَ المرأة أصفرُ رقيق فيه قوّة / الانعقاد، يُخلَق منهما الولد، فما كان مِن عصَب وعَظْم وقوّة فمِن ماء الرجل، وما كان مِن لحم ودمٍ وشَعْر فمِن ماء المرأة. قال القرطبي: وقد رُوي هذا مرفوعًا.[1] وقيل: مفرد كـ"أعشار" و"أكياش".[2] وقيل: ﴿أَمْشَاجٍ﴾ ألوان وأطوار،[3] فإنّ النطفة تصير علقةً، ثمّ مضغةً، إلى تمام الخِلقة. [٢٤٨و]

وقوله تعالى: ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ حال مِن فاعل ﴿خَلَقْنَا﴾، أي: مُريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتي أو ناقلين له مِن حال إلى حال على طريقة الاستعارة، كما رُوي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: نُصرِّفه في بطن أمّه نطفةً ثمّ علقةً إلى آخره.[4]

﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ليتمكّن مِن استماع الآيات التنزيليّة ومشاهدةِ الآيات التكوينيّة، فهو كالمسبَّب مِن الابتلاء، فلذلك عُطف على الخَلْق المقيَّد به بـ"الفاء"، ورُتّب عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بإنزال الآياتِ ونَصْبِ الدلائل. ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالان مِن مفعول ﴿هَدَيْنَا﴾، أي: مكّناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصِل إلى البغية في حالتيه جميعًا. أو للتفصيل أو التقسيم، أي: هديناه إلى ما يُوصِل إليها في حالَيه جميعًا أو مقسومًا إليهما، بعضُهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه وبعضُهم كفور بالإعراض عنه.

وقيل: مِن السبيل،[5] أي: عرّفناه السبيل إمّا سبيلًا شاكرًا أو كفورًا، على وصف السبيل بوصف سالكه مجازًا. وقُرئ: "أمّا"[6] بالفتح على حذف الجواب،

---

١ الكلام كلُّه مع قول القرطبي مذكور بلفظ قريب في اللباب لابن عادل، ٨/٢٠. وانظر: تفسير القرطبي، ١٢١/١٩.

٢ كما في الكشّاف للزمخشري، ٥٠٢/٤.

٣ مرويّ عن ابن عبّاس وقتادة في جامع البيان للطبري، ٥٣٣/٢٣-٥٣٤؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٩٢/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٥٠٢/٤.

٤ بمعناه في جامع البيان للطبري، ٥٣٣/٢٣؛ واللباب لابن عادل، ٩/٢٠.

٥ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٧٧/٣.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن أُبيّ وابن مسعود أبي السّمّال ورؤبة بن العجّاج والرّبيع بن خُثيم وأبي زيد. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٦؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٥؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٦٣.

أي: أمّا شاكرًا فبتوفيقنا، وأمّا كفورًا فبسوء اختياره لا بمجرّد إجبارنا مِن غير اختيار مِن قِبَله. وإيرادُ "الكفور" لمراعاة الفواصل والإشعار بأنّ الإنسان قلّما يخلو مِن كفران ما وإنّما المُؤاخَذ عليه الكفر المُفرِط.

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ مِن أفراد الإنسان الذي هديناه السبيل ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ بها يقادون ﴿وَأَغۡلَٰلٗا﴾ بها يقيّدون ﴿وَسَعِيرًا﴾ بها يحرقون. وتقديمُ وعيدهم مع تأخّرهم للجَمْع بينهما في الذِّكر، كما في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ الآية [آل عمران، ١٠٦/٣]، ولأنّ الإنذار أهمّ وأنفع، وتصديرُ الكلام وختْمه بذِكر المؤمنين / أحسنُ، على أنّ في [٢٤٨ظ] وصفهم تفصيلًا ربّما يُخلّ تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم. وقُرئ: "سَلَاسِلًا"[١] للتناسب.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ۝٨﴾

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ شروع في بيان حُسن حال الشاكرين إثرَ بيان سوء حال الكافرين. وإيرادُهم بعنوان البرّ للإشعار بما استحقّوا به ما نالوه مِن الكرامة السنيّة. و﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ جمع "بَرّ" أو "بارّ" كـ"ربّ" و"أرباب" و"شاهد" و"أشهاد". قيل: هو مَن يَبرّ خالقه، أي: يطيعه. وقيل: مَن يمتثل بأمره تعالى. وقيل: مَن يؤدّي حقّ الله تعالى ويُوفي بالنَّذْر.[٢] وعن الحسن: البَرّ مَن لا يؤذي الذرّ.[٣]

﴿يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ﴾ هي الزجاجة إذا كانت فيها خَمْر، وتُطلق على نفس الخمر أيضًا، فـ﴿مِن﴾ على الأوّل ابتدائيّة وعلى الثاني تبعيضيّة أو بيانيّة. ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ أي: ما تُمزَج به ﴿كَافُورًا﴾ أي: ماءَ كافور، وهو اسم عين في الجنّة ماؤها في بياض الكافور ورائحتِه وبَرْدِه. والجملة صفة ﴿كَأۡسٖ﴾.

---

١ قرأ بها نافع والكسائي وأبو جعفر وأبو بكر ورُويس بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٣٩٤/٢.

٢ الأقوال الثلاثة في اللباب لابن عادل، ١٥/٢٠-١٦.

٣ اللباب لابن عادل، ١٥/٢٠.

وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا﴾ بدل مِن ﴿كَافُورًا﴾، وعن قتادة: تُمزَج لهم بالكافور وتُختَم لهم بالمِسك.[١] وقيل: تُخلَق فيها رائحة الكافور وبياضه وبَرْده، فكأنّها مُزِجت بالكافور،[٢] فـ﴿عَيْنًا﴾ على هذين القولين بدل مِن محلّ ﴿مِن كَأْسٍ﴾ على تقدير مضاف، أي: يشربون خمرًا خمرَ عين، أو نصب على الاختصاص.

وقوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ صفة ﴿عَيْنًا﴾، أي: يشربون بها الخمر لكونها ممزوجةً بها. وقيل: ضُمّن ﴿يَشْرَبُ﴾ معنى يلتذّ. وقيل: "الباء" بمعنى "مِن". وقيل: زائدة، ويعضده قراءة ابن أبي عبلة: "يَشْرَبُهَا عِبَادُ اللهِ".[٣] وقيل: الضمير للكأس، والمعنى يشربون العين بتلك الكأس.[٤]

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي: يُجرونها حيثما شاءوا مِن منازلهم إجراءً سهلًا لا يمتنع عليهم؛ بل يجري جريًا بقوّة واندفاع، والجملة صفة أخرى لـ﴿عَيْنًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ استئناف مَسوقٌ لبيان ما لأجله رُزقوا ما ذُكر مِن النعيم مشتمِل على نوع تفصيل لِما ينبئ عنه اسم الأبرار / إجمالًا، كأنّه [٢٤٩و] قيل: ماذا يفعلون حتّى ينالوا تلك الرُّتبة العالية؟ فقيل: يُوفون بما أوجبوه على أنفسهم، فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم؟

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ عذابه ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ فاشيًا منتشِرًا في الأقطار غاية الانتشار، مِن "استطار الحريقُ والفجرُ"، وهو أبلغ مِن "طار" بمنزلة استنفر مِن نفَر.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: كائنين على حبّ الطّعام والحاجة إليه، كما في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران، ٣/٩٢]، أو على حبّ الإطعام بأن يكون ذلك بطيب النفس، أو كائنين على حبّ الله تعالى، أو إطعامًا كائنًا على حبّه تعالى، وهو الأنسب لِما سيأتي مِن قوله تعالى: ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾.

﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ أيّ أسيرٍ كان، فإنّه صلّى الله عليه وسلّم يُؤتى بالأسير

---

١ جامع البيان للطبري، ٢٣/٥٣٩؛ معالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٩٣؛ الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٠٣.

٢ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٠٣.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٦٤.

٤ هذه الوجوه الثلاثة مع الاستدلال بالقراءة في اللباب لابن عادل، ٢٠/١٨. وأصل الكلام في التبيان للعكبري، ٢/١٢٥٨.

فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: «أحسِنْ إليه»،[١] أو أسيرًا مؤمِنًا، فيدخُل فيه المملوك والمسجون، وقد سمّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الغريمَ أسيرًا فقال: «غريمُك أسيرُك، فأحسِن إلى أسيرك».[٢]

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ على إرادة قولٍ هو في موقع الحال مِن فاعل ﴿يُطْعِمُونَ﴾ أي: قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال إزاحةً لتوهُّم المنّ المُبطِل للصدقة وتوقُّع المكافأة المُنقِصة للأجر. وعن الصِّدِّيقة رضي الله تعالى عنها: أنّها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت، ثمّ تسأل الرسول ما قالوا؟ فإذا ذكَر دعاءهم دعتْ لهم بمِثله؛[٣] ليبقى ثواب الصدقة لها خالصًا عند الله تعالى.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ أي: شكرًا، وهو تقرير وتأكيد لِما قبله.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾ أي: عذابَ يوم ﴿عَبُوسًا﴾ يعبس فيه الوجوه، أو يُشبه الأسدَ العبوسَ في الشدّة والضراوة. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ شديدَ العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاءَ أن يَقِيَنا ربُّنا بذلك شرَّه. وقيل: هو تعليل لعدم إرادة الجزاء والشكور،[٤] أي: / إنّا نخاف عِقابَ الله تعالى أن أردناهما. [٢٤٩ظ]

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ بسبب خوفهم وتحفُّظهم عنه ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ أي: أعطاهم بدل عبوس الفجّار وحُزنهم نَضرةً في الوجوه وسُرورًا في القلوب.

---

١ بمعناه في جامع البيان للطبري، ٥٤٤/٢٣؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٩٤/٨؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٥٠٤/٤.

٢ لم أقف عليه في مظانّه. وهو بلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٥٠٤/٤.

٣ لم أقف عليه في مظانّه. وهو بلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٥٠٤/٤.

٤ انظر: الكشّاف للزمخشري، ٥٠٤/٤.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم على مشاقّ الطاعات ومُهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرَّمات وإيثار الأموال ﴿جَنَّةً﴾ بستانًا يأكلون منه ما شاءوا ﴿وَحَرِيرًا﴾ يلبسونه ويتزيَّنون به.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّ الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما مرِضا فعادهما النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في ناس معه فقالوا لِعليّ رضي الله تعالى عنه: «لو نذَرت على ولدك»، فنذر عليٌّ وفاطمةُ رضي الله عنهما وفِضَّةُ جارية لهما إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشُفيا وما معهما شيء، فاستقرض عليٌّ رضي الله عنه مِن شمعون الخَيبري ثلاث[1] أصوُع مِن شعير فطحنت فاطمةُ رضي الله عنها صاعًا واختبزت خمسةَ أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليُفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: «السّلام عليكم أهل بيت محمّد، مسكين مِن مساكين المسلمين، أطعِموني أطعَمكم الله تعالى مِن موائد الجنّة»، فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلّا الماء، وأصبحوا صيامًا، فلمّا أمسَوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، ثمّ وقف عليهم في الثالثة أسيرٌ ففعلوا مثل ذلك، فلمّا أصبحوا أخذ عليٌّ بيد الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم فأقبلوا إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فلمّا أبصرهم وهم يرتعِشون كالفِراخ مِن شدّة الجوع قال عليه السلام: «ما أشدَّ ما يسوءني ما أرى بكم»، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمةَ في مِحرابها قد التصق ظهرُها ببطنها / وغارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبريلُ عليه السلام وقال: [٢٥٠و]
«خُذها يا محمّد هنّأك الله تعالى في أهل بيتك»، فأقرأه السورة.[2]

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾

---

١ كذا في م س.

٢ لم أقف عليه في مظانّه. وهو بمعناه في الكشف والبيان للثعلبي، ٢٨/٢٢٣-٢٣٢، وفصّل محقّقوه الكلام على وضع هذا الحديث؛ وهو بلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٠٥.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ حال مِن ﴿هُم﴾ في ﴿جَزَىٰهُم﴾ والعامل فيها ﴿جَزَىٰ﴾. وقيل: صفة لـ﴿جَنَّةً﴾ مِن غير إبراز الضمير.[1] و"الأرائك" هي السُّرر في الحِجال.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ إمّا حال ثانية مِن الضمير أو المستكنّ في ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾، والمعنى أنّه يمرّ عليهم هواء معتدِل لا حارّ مُحمٍ ولا بارد مُؤذٍ. وقيل: الزَّمْهرير: القمر في لغة طيّئ،[2] والمعنى أنّ هواءها مضيء بذاته لا يحتاج إلى شمس ولا قمر.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾ عطفٌ على ما قبلها حال مثلَها، أو صفة لمحذوف معطوف على ﴿جَنَّةً﴾، أي: وجنةً أخرى دانيةً عليهم ظلالها، على أنّهم وُعدوا جنَّتين كما في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن، ٥٥/٤٦].

وقُرئ: "دَانِيَةٌ"[3] بالرفع على أنّه خبر لـ﴿ظِلَـٰلُهَا﴾، والجملة في حيّز الحال، والمعنى لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، والحال أنّ ظلالها دانية. قالوا: معناه أنّ ظلال أشجار الجنّة قريبة مِن الأبرار مَظلّة عليهم زيادةً في نعيمهم، على معنى أنّه لو كان هناك شمس مؤذِية لكانت أشجارها مظلّةً عليهم مع أنّه لا شمسَ ثمّة ولا قمر.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ أي: سُخِّرت ثمارها لمتناوليها وسُهِّل أَخْذها، مِن "الذلّ" وهو ضدّ الصعوبة. والجملة حال مِن ﴿دَانِيَةً﴾، أي: تدنو ظلالها عليهم مذلَّلة لهم قطوفها، أو معطوفة على ﴿دَانِيَةً﴾، أي: دانيةً عليهم ظلالها ومذلَّلةً قطوفها، وعلى تقدير رفع ﴿دَانِيَةً﴾، فهي جملة فعليّة معطوفة على جملة اسميّة.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ الكوبُ: الكوز العظيم الذي لا أُذنَ له ولا عروةَ.

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٠٦/٤.

٢ نقله الزمخشري عن ثعلب في الكشّاف، ٥٠٥/٤.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي حَيْوَة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٦.

﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۟ ۞ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: تكوَّنت جامعةً بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولِين الفضّة وبياضها، والجملة صفة الأكواب. وقُرئ بتنوين ﴿قَوَارِيرَا۟﴾ الثاني أيضًا،[١] وقُرئا بغير تنوين،[٢] وقُرئ الثّاني بالرفع،[٣] على "هي قواريرُ".

[٢٥٠ظ] / ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ صفة لـ﴿قَوَارِيرَا۟﴾ ومعنى تقديرهم لها أنّهم قدّروها في أنفسهم وأرادوا أن تكون على مقاديرَ وأشكال معيَّنة موافقةً لشهواتهم، فجاءت حسبما قدّروها، أو قدّروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها. وقيل: الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾، فالمعنى قدّروا شرابها على قدر اشتهائهم.[٤] وقُرئ: "قُدِّرُوهَا"[٥] على البناء للمفعول، أي: جُعلوا قادرين لها كما شاءوا مِن "قدَّر" منقولًا مِن "قَدَرت الشيءَ".

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ أي: ما يُشبه الزنجبيل في الطعم، وكان الشراب الممزوج به أطيبَ ما تستطيبه العرب وألذَّ ما تستلذّ به.

﴿عَيْنًا﴾ بدل مِن ﴿زَنجَبِيلًا﴾. وقيل: تُمزج كأسهم بالزَّنجبيل بعينه، أو يخلُق الله تعالى طعمَه فيها،[٦] فـ﴿عَيْنًا﴾ حينئذ بدل مِن ﴿كَأْسًا﴾، كأنّه قيل: ويُسقَون فيها كأسًا كأس عين، أو نصب على الاختصاص. ﴿فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ لسلاسة انحدارها في الحَلْق وسهولة مَساغها، يقال: شراب سَلسَل وسلسال وسلسبيل، ولذلك حُكم بزيادة "الباء"، والمراد بيانُ أنّها في طعم الزنجبيل، وليس فيها لذعة؛ بل نقيض اللذع الذي هو السَّلاسة.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: دائمون على ما هم عليه مِن الطراوة والبهاء ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ لحُسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس أشعّة بعضهم إلى بعض.

---

١ قرأ بها نافع والكسائي وأبو جعفر أبو بكر. النشر لابن الجزري، ٣٩٥/٢.

٢ قرأ بها أبو عمرو وابن عامر وحفص ورَوح. النشر لابن الجزري، ٣٩٥/٢.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن الأعمش. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٦.

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٠٦/٤.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن عليّ بن أبي طالب وابن عبّاس والضحّاك وقتادة، والجَحدري وأبان وشيبان وحمّاد بن زيد وحمّاد بن عمرو، كلّهم عن عاصم، والواقدي عن حفص بن عاصم. المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨٦٦.

٦ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٠٧/٤.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾[١] ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدَّر ولا مَنويّ؛ بل معناه أنّ بصرَك أينما وقع في الجنّة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي: هنيئًا واسعًا. وفي الحديث: «أدنى أهلِ الجنّة منزلةً ينظر في مُلكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه».[٢] وقيل: لا زوالَ له.[٣] وقيل: إذا أرادوا شيئًا كان.[٤] وقيل: يُسلِّم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم.[٥]

﴿عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ﴾ قيل: ﴿عَـٰلِيَهُمْ﴾ ظرف على أنّه خبر مقدَّم و﴿ثِيَابُ﴾ مبتدأ مؤخَّر، والجملة صفة أخرى لـ﴿وِلْدَٰنٌ﴾، كأنّه قيل: يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب... إلخ، وقيل: حال مِن ضمير ﴿عَـٰلِيَهُمْ﴾ أو ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾، أي: يطوف عليهم ولدان عاليًا / للمَطوف عليهم ثياب... إلخ، أو حسبتَهم لؤلؤًا منثورًا عاليًا لهم ثياب... إلخ.[٦] [٢٥١و]

وقُرئ: "عَالِيهِمْ"[٧] بالرفع على أنّه مبتدأ خبره ﴿ثِيَابُ﴾، أي: ما يعلوهم مِن لباسهم ثياب سندس. وقُرئ: "خُضْرٍ"[٨] بالجرّ حملًا على ﴿سُندُسٍ﴾ بالمعنى، لكونه اسم جنس. ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرفع عطفًا على ﴿ثِيَابُ﴾. وقُرئ برفع الأوّل وجرّ الثاني،[٩] وقُرئ بالعكس،[١٠] وقُرئ بجرّهما،[١١] وقُرئ: "وَاسْتَبْرَقَ"[١٢] بوصل "الهمزة"

---

١ م س: ثمّة.

٢ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٢٣/٥٦٦؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٤/٣٩٤؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٩٧؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٥٠٧.

٣ القول في معالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٩٧؛ والكشّاف للزمخشري، ٤/٥٠٧.

٤ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٠٧.

٥ مرويّ عن سفيان في جامع البيان للطبري، ٢٣/٥٦٧.

٦ الوجهان في اللباب لابن عادل، ٢٠/٤٢؛ وثانيهما في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٨٠.

٧ قرأ بها نافع وحمزة وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٦. | ضُبطت في س: "عاليُهم".

٨ قرأ بها ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٦.

٩ قرأ بها ابن عامر وأبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٦.

١٠ قرأ بها ابن كثير وشعبة. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٦.

١١ قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٦.

١٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن محيصن وأبي البَرَهسم. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٦-١٦٧؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٧.

والفتح على أنّه "استفعل" مِن البريق، جُعل عَلَمًا لهذا النوع مِن الثياب.

﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ عطفٌ على ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾، ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ [الكهف، ٣١/١٨]، لإمكان الجمع والمُعاقبة والتبعيض، فإنّ حليّ أهل الجنّة تختلف حسب اختلاف أعمالهم، فلعلّه تعالى يُفيض عليهم جزاءً لِما عملوه بأيديهم حُليًا وأنوارًا تتفاوت تفاوتَ الذهب والفضّة، أو حالٌ مِن ضمير ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾ بإضمار "قد"، وعلى هذا يجوز أن يكون هذا للخدَم وذاك للمخدومين.

﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ هو نوع آخرُ يفوق النوعين السالفين، كما يُرشد إليه إسنادُ سقيِه إلى ربّ العالمين ووصفُه بالطهوريّة، فإنّه يُطهِّر شاربه عن دنَس المَيل إلى الملاذّ الحسّيّة والركون إلى ما سوى الحقّ، فيتجرّد لمطالعة جماله مُلتذًّا بلقائه باقيًا ببقائه. وهي الغاية القاصية مِن منازل الصدّيقين، ولذلك خُتم بها مقالة ثواب الأبرار.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ على إضمار القول، أي: يقال لهم: إنّ هذا الذي ذُكر مِن فنون الكرامات ﴿كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ﴾ بمقابلة أعمالكم الحسَنة ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ مَرضيًّا مقبولًا مقابِلًا بالثواب.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦﴾

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾ أي: مفرّقًا منجّمًا لحِكَم بالغة مقتضية له لا غيرُنا، كما يعرِب عنه تكرير الضمير مع "إنّ".

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نصرك على الكفّار فإنّ له عاقبةً حميدةً. ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ أي: كلّ واحد مِن مرتكب / الإثم الداعي لك إليه، [٢٥١ظ] ومِن الغالي في الكفر الداعي إليه. و﴿أَوۡ﴾ للدلالة على أنّهما سِيّان في استحقاق العصيان والاستقلال به، والتقسيمُ باعتبار ما يدعُونه إليه، فإنّ ترتّب النهي على الوصفين مُشعِر بعلّيّتهما له، فلا بدّ أن يكون النهي عن الإطاعة في الإثم والكفر،

لا فيما ليس بإثم ولا كفر. وقيل: الآثم عُتبَةُ، فإنّه كان ركّابًا للمآثم متعاطيًا لأنواع الفُسوق، والكَفور الوليدُ، فإنّه كان غاليًا في الكفر شديدَ الشكيمة في العتوّ.[١]

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ وداوِمْ على ذِكره في جميع الأوقات، أو دُمْ على صلاة الفجر والظهر والعصر، فإنّ الأصيل ينتظِمهما.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعضَ الليل فصلِّ له، ولعلّه صلاة المغرب والعشاء. وتقديم الظرف لِما في صلاة الليل مِن مزيد كُلفةٍ وخُلوص. ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ وتهجَّد له قِطْعًا مِن الليل طويلًا.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الكفَرة ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ وينهمِكون في لذّاتها الفانية ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ أي: أمامهم لا يستعدُّون أو ينبِذون وراء ظهورهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ لا يعبئون به، ووَصْفُه بالثقل لتشبيه شدّته وهَوله بثِقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة، وهو كالتعليل لِما أُمِر به ونُهِي عنه.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾ لا غيرُنا ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أي: أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب، ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ بعد إهلاكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ بديعًا لا ريبَ فيه هو البعث، كما ينبئ عنه كلمة ﴿إذا﴾، أو بدّلنا غيرَهم ممّن يُطيع، كقوله تعالى: ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة، ٣٩/٩]، و﴿إذا﴾ للدلالة على تحقّق القدرة وقوّة الداعية.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ إشارة إلى السورة أو الآيات القريبة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ أي: فمَن شاء أن يتّخذ إليه تعالى سبيلًا، أي: وسيلةً تُوصله إلى ثوابه اتّخذه، أي: تقرّب إليه بالعمل بما في تضاعيفها.

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٥٠٨/٤.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ تحقيق للحقّ ببيان أنّ مجرّد
[٢٥٢و] مشيئتهم غيرُ كافية في اتّخاذ السبيل، كما هو المفهوم مِن ظاهر الشرطيّة، / أي: وما تشاءون اتّخاذ السبيل، ولا تقدِرون على تحصيله في وقت مِن الأوقات إلّا وقتَ مشيئته[١] تعالى تحصيلَه لكم؛ إذ لا دَخْلَ لمشيئة العبد إلّا في الكسب، وإنّما التأثير والخلقُ لمشيئة الله عزّ وجلّ. وقُرِئَ: "يَشَاءُوْنَ"[٢] بـ"الياء"، وقُرِئَ: "إِلَّا مَا يَشَاءُ اللّٰهُ".[٣]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ بيان لكون مشيئته تعالى مبنيّةً على أساس العِلم والحكمة، والمعنى أنّه تعالى مبالغ في العِلم والحكمة، فيعلم ما يستأهله كلّ أحد فلا يشاء لهم إلّا ما يستدعيه عِلمه ويقتضيه حكمته.

وقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ بيان لأحكام مشيئته المترتّبة على عِلمه وحكمته، أي: يُدخل في رحمته مَن يشاء أن يُدخله فيها، وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتّخاذ السبيل إليه تعالى، حيث يوفّقه لِما يؤدّي إلى دخول الجنّة مِن الإيمان والطاعة.

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهم الذين صرفوا مشيئتهم إلى خِلاف ما ذُكر ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: متناهيًا في الإيلام. قال الزجّاج نصب ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأنّ ما قبله منصوب، أي: يُدخل مَن يشاء في رحمته ويعذّب الظالمين، ويكون ﴿أَعَدَّ لَهُمْ﴾ تفسيرًا لهذا المضمر.[٤] وقُرِئَ بالرفع[٥] على الابتداء.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ كان جزاؤه على الله تعالى جنّةً وحريرًا».[٦]

---

[١] س: مشيئة الله.

[٢] قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه. النشر لابن الجزري، ٣٩٦/٢.

[٣] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٧.

[٤] انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجّاج، ٢٦٤/٥؛ ونقله ابن عادل في اللباب، ٥٧/٢٠.

[٥] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن الزُّبير وأبان بن عثمان وإبراهيم النخَعي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٧؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٩٧.

[٦] الكشف والبيان للثعلبي، ١٩٠/٢٨ (الإنسان، ١/٧٦)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٣٩٨/٤ (الإنسان، ١/٧٦)؛ الكشّاف للزمخشري، ٥٠٩/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٧٦

سُورَةُ الإنسَانِ

مكية أو مدنية، إحدى وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿هَلْ﴾: قد ﴿أَتَى عَلَى الإنسانِ﴾ آدمَ ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهرِ﴾ أربعون سنة، ﴿لَم يَكُنْ﴾ فيه ﴿شَيئًا مَذكُورًا﴾؟ كان فيه مُصوَّرًا من طِين لا يُذكر. أو المراد بالإنسانِ الجِنسُ وبالحِينِ مُدّةُ الحَمل.

٢ ـ ٣ ـ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسانَ﴾ الجنس ﴿مِن نُطْفَةٍ أَمشَاجٍ﴾: أخلاط، أي: من ماء الرجل وماء المرأة المُختلطينِ المُمتزجينِ،..

سورَة الدَّهر

قولُهُ: (قَد) استِفهامُ تقريرٍ وتقريبٍ، ولذلك فُسِّر بـ(قَد).

قولُهُ: (أربَعُونَ) أي: طائفةٌ محدودةٌ من الزَّمانِ الممتدِّ الغَيرِ المحدودِ.

قولُهُ: (فِيهِ) أشارَ إلى أنَّ الجُملَةَ وصفٌ لـ﴿حين﴾ بحَذفِ الرَّاجِعِ، وقيل: حالٌ من الإنسانِ.

قولُهُ: (لا يُذْكَرُ) أي: بل كانَ شَيئاً مَنسيًّا غير مذكورٍ بالإنسانيَّةِ، كالعنصرِ والنُّطفَةِ.

قولُهُ: (الجِنسَ) أو آدمَ عليهِ السَّلام، بيَّنَ أوَّلاً خَلْقَهُ، ثمَّ ذكرَ خَلْقَ بنيهِ.

قولُهُ: (أَخلاطٍ) أي: مُختلِطَةٍ بماءِ المرأةِ ودمِها، جَمع: مَشَج كسَبَب، أو مَشِج ككَتِف، من مشَجت الشَّيءَ: إذا خَلطتَه[1].

قولُهُ: (المُمتَزِجَينِ) فالجمعُ باعتبارِ الجِنسِ، أو على أنَّ التَّثنيَةَ أقلُّ الجَمعِ، أو لأنَّ المرادَ بها: مجموعُ مَنيِّ الرَّجُلِ والمرأةِ، وكُلٌّ منهما مختلِفَةُ الأجزاءِ في الرِّقَّةِ والقَوامِ والخَواصِّ، ولذلك يصيرُ كلُّ جُزءٍ منها مادَّةَ عُضوٍ.

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» (٥/ ٣٢٦).

﴿نَبتَلِيهِ﴾: نختبرُه بالتكليف ـ والجملة: مُستأنفة أو حال مُقدّرة ـ أي: مُريدين ابتلاءه حِين تأهّله، ﴿فجَعَلْناهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا. إنّا هَدَيناهُ السَّبِيلَ﴾: بيّنّا له طريق الهُدى ببعث الرسل، ﴿إمّا شاكِرًا﴾ أي: مُؤمنًا ﴿وإمّا كَفُورًا﴾: حالان من المفعول، أي: بيّنّا له في حال شُكره أو كُفره المُقدّرة. وإمّا: لتفصيل الأحوال.

٤ ـ ﴿إنّا أعتَدْنا﴾: هيّأنا ﴿لِلكافِرينَ سَلاسِلَ﴾، يُسحَبون بها في النار ﴿وأغلالاً﴾ في أعناقهم تُشدّ فيها السلال ﴿وسَعِيرًا﴾: نارًا مُسعَّرة، أي: مُهيَّجة يُعذّبون بها. ٥ ـ ٦ ـ ﴿إنّ الأبرارَ﴾: جمع بَرٍّ، أو بارٍّ ـ وهم المُطيعون ـ ﴿يَشرَبُونَ مِن كأسٍ﴾، هو إناء شُربِ الخمرِ وهي فيه ـ والمراد: من خمرٍ، تسميةً للحالّ باسم المحَلّ. ومِن: للتبعيض ـ ﴿كانَ مِزاجُها﴾: ما تُمزج به ﴿كافُورًا، عَينًا﴾: بدلٌ من «كافورًا» فيها رائحتُه،

قولُهُ: (أو حَالٌ) أي: في موضِعِ الحالِ؛ أي: مُبتلينَ له.

قولُهُ: (بسَبَبِ ذَلِكَ) الابتلاءِ، عَطفٌ على: ﴿خَلَقنَا﴾.

وقولُهُ تَعَالَى: (﴿سَمِيعاً بَصِيراً﴾) ليتَمَكَّنَ من مُشاهَدَةِ الدَّلائِلِ واستِماعِ الآياتِ.

قولُهُ: (ببَعثِ الرُّسُلِ) ونصبِ الدَّلائلِ وإنزالِ الآياتِ.

قولُهُ: (مِنَ المَفعُولِ) أي: من الهاءِ في: ﴿هَدَيناه﴾.

قولُهُ: (لتَفصِيلِ الأَحوَالِ) أي: هَدَيناهُ في حالَتَيهِ جميعاً.

قولُهُ: (يُسحَبُونَ) وقرأ نافعٌ والكسائيُّ وأبو بَكرٍ وهشامٌ: ﴿سَلاسِلاً﴾ للمُناسَبَة(١).

قولُهُ: (جَمعُ: بَرٍّ) كأربابٍ.

قولُهُ: (أو بَارٍّ) كأشهادٍ.

قولُهُ: (والمُرَادُ) الظَّاهرُ: أو المرادُ.

قولُهُ: (ومِن لِلتَّبعِيضِ) على الثَّاني.

قولُهُ: (مَا تُمزَجُ) بالتَّأنيثِ.

قولُهُ: (﴿عَينًا﴾) هوَ عَينٌ يُشبِهُ الكَافُورَ في رائحتِهِ وبياضِهِ، أو المرادُ: نفسُ الكافورِ لبردِهِ وعذوبَتِهِ وطِيبِ عرفِهِ، وقيلَ: يخلُقُ في الخمرِ كيفيَّاتِ الكافورِ فتكونُ كالممزوجَةِ به.

قولُهُ: (بَدَلٌ) إن جُعِلَ اسمُ ماء للمُقرَّبينَ، أو نصبٌ على الاختصاصِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٧).

﴿يَشرَبُ بِها﴾: منها ﴿عِبادُ اللهِ﴾: أولياؤه، ﴿يُفَجِّرُونَها تَفجِيرًا﴾: يقودونها حيثُ شاؤوا من منازلهم.

٧ـ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذرِ﴾ في طاعة الله، ﴿ويَخافُونَ يَومًا كانَ شَرُّهُ مُستَطِيرًا﴾: مُنتشرًا، ٨ـ ﴿ويُطعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ وشهوتهم له ﴿مِسكِينًا﴾: فقيرًا ﴿ويَتِيمًا﴾ لا أبَ له ﴿وأسِيرًا﴾ ـ يعني المحبوس بحقّ ـ ٩ ـ ﴿إنَّما نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللهِ﴾: لطلب ثوابه، ﴿لا نُرِيدُ مِنكُم جَزاءً ولا شُكُورًا﴾: شُكرًا. فيه عِلّة الإطعام. وهل تكلّموا بذلك، أو عَلِمه الله منهم فأثنى عليهم به؟ قولانِ. ١٠ ـ ﴿إنّا نَخافُ مِن رَبِّنا يَومًا عَبُوسًا﴾ تكلح الوجوه فيه، أي: كريهَ المنظر لشِدّته، ﴿قَمطَرِيرًا﴾: شديدًا في ذلك.

١١ ـ ١٢ ـ ﴿فوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَومِ، ولَقّاهُم﴾: أعطاهم ﴿نَضرَةً﴾: حُسنًا وإضاءة في وُجوههم ﴿وسُرُورًا، وجَزاهُم بِما صَبَرُوا﴾: بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾ أُدخِلوها ﴿وحَرِيرًا﴾ أُلبِسوه، ١٣ ـ ﴿مُتَّكِئِينَ﴾: حالٌ من مرفوع «أُدخِلوها» المُقدّر،..

قولُهُ: (مِنهَا) فالباءُ بمعنى: (مِن)؛ لأنَّ الشُّربَ مبتَدأٌ منها كما هوَ، وقيل: الباءُ زائدَةٌ، أو التَّقديرُ: مُلتَذًّا، أو ممزوجاً.

قولُهُ: (يَقُودُونَهَا) أي: يجرونَها إجراءً سَهلاً.

قولُهُ: (طَاعَةِ اللهِ) استئنافٌ ببَيانِ ما رزقوهُ لأجلِهِ، وهو أبلَغُ في وصفِهِم بالتَّوفرِ على أداءِ الواجِباتِ؛ لأنَّ من وفَّى بما أوجَبهُ على نفسِهِ لله كان أوفى بما أوجَبهُ الله تعالى عليه.

قولُهُ: (مُنتَشِراً) غايَةَ الانتِشارِ، وشَرُّهُ شدائدُهُ.

قولُهُ: (وشَهوَتِهِم لَهُ) أو حُبِّ اللهِ، أو الإطعامِ.

قولُهُ: (المَحبُوسَ) قالَ القاضِي[1]: يعني: أُسارَى الكفَّارِ؛ فإنَّه ﷺ كان يُؤتى بالأسيرِ فيدفَعهُ إلى بعضِ المسلمينَ فيقولُ: «أَحْسِن إلَيهِ»[2]، أو الأسيرَ المؤمِنَ، ويدخُلُ فيه المملوكُ والمسجونُ.

قولُهُ: (تَكَلَّمُوا) إزاحَةً لتوهُّمِ المنِّ وتوَقُّعِ المكافَأةِ المنقِصَةِ للأجرِ.

قولُهُ: (أَو عَلِمَهُ اللهُ) فكأنَّهُم قالوا بلِسانِ الحالِ.

قولُهُ: (عَنِ المَعصِيَةِ) وعلى الطَّاعَةِ وفي البَلِيَّةِ.

قولُهُ: (أُدْخِلُوهَا) وأكَلوا منها.

قولُهُ: (مِن مَرفُوعِ) الظَّاهرُ: من «هُم» في: ﴿جَزاهُم﴾، أو صفَةٌ (لجنةٌ).

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٧٠).

(٢) لم أقف عليه، وسكت عنه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ١٣٣).

﴿فِيها عَلَى الأرائكِ﴾: السُّرر في الحِجال، ﴿لا يَرَونَ﴾: لا يجدون: حالٌ ثانية ﴿فِيها شَمسًا ولا زَمهَرِيرًا﴾ أي: لا حرًّا ولا بردًا ـ وقيل: الزمهرير: القمر. فهي مُضيئة من غير شمس ولا قمر ـ ١٤ ـ ﴿ودانِيَةً﴾: قريبة، عطفٌ على محلّ «لا يرون»، أي: غيرَ رائين، ﴿عليهِم﴾: منهم ﴿ظِلالُها﴾: شجرِها، ﴿وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذلِيلاً﴾: أُدنِيَتْ ثِمارها، فينالها القائم والقاعد والمضطجع.

١٥ ـ ١٦ ـ ﴿ويُطافُ عليهِم﴾ فيها ﴿بِآنِيَةٍ مِن فِضَّةٍ وأكْوابٍ﴾: أقداح بلا عُرى، ﴿كانَتْ قَوارِيرَ، قَوارِيرَ مِن فِضَّةٍ﴾ أي: أنها من فِضّة، يُرى باطنها من ظاهرها كالزجاج، ﴿قَدَّرُوها﴾ أي: الطائفون ﴿تَقدِيرًا﴾ على قدر رِيّ الشاربين من غير زيادة ولا نقص ـ وذلك ألذُّ الشراب ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿ويُسقَونَ فِيها كأسًا﴾ أي: خمرًا ﴿كانَ مِزاجُها﴾: ما تُمزج به ﴿زَنجَبِيلاً، عَينًا﴾: بدلٌ من «زنجبيلاً» ﴿فِيها تُسَمَّى سَلسَبِيلاً﴾، يعني أنّ ماءها كالزنجبيل الذي تستلذّ به العرب سهلُ المساغ في الحلق.

قولُهُ: (حَالٌ) أو صفَةٌ.

قولُهُ: (مُضِيئَةٌ) بذاتِها.

قولُهُ: (عَطفٌ) أو حالٌ، أو صفَةٌ أخرى.

قولُهُ: (شَجَرِهَا) بالجرِّ على تقديرِ مُضافٍ.

قولُهُ: (أَقدَاحٍ) الظَّاهرُ: أباريقَ.

قولُهُ: (كالزُّجَاجِ) يعني: تكونُ جامِعةً بينَ صَفاءِ الزُّجاجَةِ وشفيفِها، وبَياضِ الفضَّةِ ولينِها، وقد نوَّنَ ﴿قوارِيرَا﴾ من نوَّنَ ﴿سَلاسِلا﴾ إلا هِشاماً، ونوَّنَ ابنُ كثيرٍ الأولى؛ لأنَّها رأسُ الآيِ[1].

قولُهُ: (أي: الطَّائِفُونَ) المدلولُ عليهم بقولِهِ: ﴿يُطَافُ﴾ شَرابُها.

قولُهُ: (رِيِّ الشَّارِبِينَ) أي: اشتِهائِهم، أو قَدَّروها في أنفُسِهم فجاءَت مَقادِيرُها وأشكالُها كما تمنَّوهُ.

قولُهُ: (كالزَّنجَبِيلِ) أي: في الطَّعمِ.

قولُهُ: (بِهِ) أي: بالشَّرابِ الممزُوجِ به.

قولُهُ: (سَهلُ المَسَاغِ) تفسيرٌ لـ﴿سَلسَبِيلا﴾ يُقال: شَرابٌ سلسَلٌ وسَلسالٌ وسَلسَبِيل، ولذلك حكَمَ بزيادَةِ الباء، والمرادُ به: أن يَنفِيَ عنه لَذعَ الزَّنجَبيلِ ويصِفَها بنقيضِهِ، وقيل: أصلُهُ سَلْ سبيلاً، فسُمِّيَت به كتأبَّطَ شرًّا؛ لأنَّه لا يشرَبُ منها إلا من سَألَ إليها سَبيلاً بالعمَلِ الصَّالِحِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٧).

١٩ ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾: بصفة الوِلدان لا يَشيبون، ﴿إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ﴾ لحُسنهم وانتشارهم في الخِدمة ﴿لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾ من سِلكه، أو من صدفه، وهو أحسن منه في غير ذلك ـ ٢٠ ـ ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ﴾ أي: وُجِدَتِ الرؤيةُ منك في الجنّة ﴿رَأَيۡتَ﴾: جوابُ «إذا» ﴿نَعِيمٗا﴾ لا يُوصف ﴿وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾: واسعًا لا غاية له ـ ٢١ ـ ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾: فوقَهم، فنصبُه على الظرفيّة، وهو خبر المُبتدأ بعده، وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبره والضمير المُتّصل به للمَطوف عليهم، ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: حريرٍ ﴿خُضۡرٞ﴾، بالرفع، ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ بالجرّ: ما غلُظ من الدِّيباج فهو البطائن، والسندس الظهائر، وفي قراءة عكسُ ما ذُكر فيهما،.........................

قولُهُ: (لحُسنِهم) وصَفاءِ ألوانِهم، وانعِكاسِ شُعاعِ بعضِهم إلى بَعض.

قولُهُ: (أي: وَجَدْتَ) يعني: لَيسَ له مفعولٌ مَلفوظٌ ولا مُقدَّرٌ؛ لأنَّه عامٌّ معناهُ: أنَّ بصَرَكَ أينما وقعَ، فنُزِّلَ منزلَةَ اللّازِمِ.

قولُهُ: (وَاسِعاً) وفي الحديثِ: «أدنَى أهلِ الجَنَّةِ مَنزِلَةً يَنظُرُ في مُلكِهِ مَسِيرَةَ ألفِ عامٍ يَرَى أقصاهُ كما يَرَى أدناه»[1].

قولُهُ: (على الظَّرفِيَّةِ) أو على الحاليَّةِ من «هم» في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أو ﴿حَسِبۡتَهُمۡ﴾؛ أي: يَعلوهُم ثِيابٌ، ولم يتعرَّفْ بالإضافَةِ؛ لأنَّه ليسَ بمعنى المضِيِّ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافِعٍ وحمزَةَ[2].

قولُهُ: (بالرَّفعِ) صفَةُ: ﴿ثِيَاب﴾.

قولُهُ: (بالجَرِّ) عطفٌ على: ﴿سُندُس﴾.

قولهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لمَكِّيٍّ وشعبَةَ[3].

قولُهُ: (فيهِمَا) أي: ﴿خُضرٍ﴾ بالجرِّ حملاً على: ﴿سُندُس﴾ بالمعنى؛ فإنَّهُ اسمُ جِنسٍ، و﴿اسۡتَبۡرَق﴾ بالرَّفعِ عَطفاً على: ﴿ثِيَاب﴾.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٥٣)، وأحمد في «مسنده» (٥٣١٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٧١٢) بنحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠١): فيه ثوير بن أبي فاختة، وهو مجمع على ضعفه.

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

(٣) انظر المصدر السابقة.

وفي أُخرى برفعهما، وأُخرى بجرّهما، ﴿وحُلُّوا أساوِرَ مِن فِضّةٍ﴾ ـ وفي مواضع أُخرَى: «مِن ذَهَبٍ»، للإيذان أنهم يُحلَّون من النوعين معًا ومُفرّقًا ـ ﴿وسَقاهُم رَبُّهم شَرابًا طَهُورًا﴾ مُبالغةٌ في طهارته ونظافته، بخِلاف خمر الدنيا: ٢٢ ـ ﴿إنّ هذا﴾ النعيمَ ﴿كانَ لَكُم جَزاءً، وكانَ سَعيُكُم مَشكُورًا﴾.

٢٣ ـ ﴿إنّا نَحنُ﴾ ـ تأكيد لاسم «إنْ» أو فصلٌ ـ ﴿نَزَّلنا علَيكَ القُرآنَ تَنزِيلاً﴾: خبرُ «إنْ» أي: فصّلناه، ولم نُنزِله جُملة واحدة. ٢٤ ـ ﴿فاصبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته، ﴿ولا تُطِعْ مِنهُم﴾ أي: الكفّارِ ﴿آثِمًا أو كَفُورًا﴾ أي: عُتبةَ بنَ ربيعة والوليدَ بنَ المُغيرة ـ قالا للنبي: ارجِعْ عن هذا الأمر. ويجوز أن يُراد كُلُّ آثم وكافر، أي: لا تطع أحدَهما أيًّا كان، فيما دعاكَ إليه من إثم أو كفر ـ ٢٥ ـ ﴿واذكُرِ اسمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكرةً وأصِيلاً﴾ يعني الفجرَ والظهر والعصر، ....

قولُهُ: (وفي أُخرَى) لنافِعٍ وحفصٍ[1].

قولُهُ: (وأُخرَى) لحمزَةَ والكسائِيِّ[2].

قولُهُ: (مُبَالَغَةٌ) يريدُ به نوعاً آخرَ من الخَمرِ لا الماءَ، كما قيلَ، يفوقُ على النَّوعَينِ المتقدِّمينِ، ولذلك أسنَدَ سقيَهُ إلى الله تعالى ووصفَهُ بالطُّهوريَّةِ، فإنَّه يُطهِّرُ شاربَهُ عن الميلِ إلى اللَّذَّاتِ الحسِّيَّةِ والرُّكونِ إلى ما سِوى الحقِّ فيتجَرَّدُ لمُطالعَةِ جمالِهِ مُلتَذًّا بلقائِهِ باقياً ببقائِهِ، وهي مُنتَهى دَرجاتِ الصِّدِّيقينَ، ولذلك ختمَ به ثوابَ الأبرارِ.

قولُهُ: (النَّعِيم) على إضمارِ القَولِ.

قولُهُ تعَالَى: (﴿مَشكُوراً﴾) أي: مُجازىً عليه غيرَ مَضيعٍ.

قولُهُ: (جُملَةً) لحكمَةٍ اقتضَتهُ.

قولُهُ: (بِتَبلِيغِ) أو بتأخِيرِ نصرِكَ.

قولُهُ: (والوَلِيد) اختيرَ ﴿أو﴾ على الواو لقَصدِ المبالَغَة في النَّفعِ مع دَفعِ التَّوهُّمِ من أوَّلِ الأمرِ.

قولُهُ: (أحَدَهُمَا) المقرَّرُ في كُتُبِ الأصولِ أنَّ ﴿أو﴾ إذا وقَعَت في سياقِ النَّفي يكونُ لنفيِ أحدِ الأمرين لا على التَّعيينِ فيفيدُ العمومَ؛ لأنَّ نفيهُ كنفي النَّكرَةِ.

قولُهُ: (في الصَّلاةِ) أي: دُم عليها.

قولُهُ: (والظُّهرَ والعَصرَ) فإنَّ الأصيلَ يتناوَلُ وقتَيهما، وقيل: المعنى: داوِمْ على ذكرِهِ تعالى.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

(٢) انظر المصدر السابق.

٢٦ ـ ﴿وَمِنَ اللَّيلِ فاسجُدْ لَهُ﴾ يعني المغربَ والعِشاء، ﴿وَسَبِّحْهُ لَيلاً طَوِيلاً﴾: صلِّ التطوّعَ فيه كما تقدّم من ثُلثيه أو نِصفِه أو ثُلثِه.

٢٧ ـ ﴿إِنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ العاجِلَةَ﴾ الدنيا، ﴿وَيَذَرُونَ وَراءَهُم يَومًا ثَقِيلاً﴾: شديدًا، أي: يومَ القيامة لا يعملون له. ٢٨ ـ ﴿نَحنُ خَلَقْناهُم، وشَدَدْنا﴾: قوّينا ﴿أَسْرَهُم﴾ أعضاءهم ومفاصلهم، ﴿وإذا شِئْنا بَدَّلْنا﴾: جعلنا ﴿أَمثالَهُم﴾ في الخِلقة بدلاً منهم بأن نُهلكهم ﴿تَبدِيلاً﴾: تأكيد. ووقعت «إذا» موقع «إن» نحو: «إِنْ يَشَأْ يُذهِبْكُم» لأنه ـ تعالى ـ لم يشأ ذلك، وإذا: لِما يقعُ.

٢٩ ـ ﴿إِنَّ هذِهِ﴾ السورةَ ﴿تَذكِرَةٌ﴾: عِظة للخلق. ﴿فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: طريقًا بالطاعة. ٣٠ ـ ﴿وما يَشاؤُونَ﴾، بالياء والتاء، اتخاذَ السبيل بالطاعة ﴿إِلاّ أن يَشاءَ اللهُ﴾ ذلك. ﴿إِنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في فِعله، ٣١ ـ ﴿يُدخِلُ مَن يَشاءُ في رَحْمتِهِ﴾: جنّته ـ وهم المُؤمنون ـ ﴿والظّالِمِينَ﴾ ناصبه فِعل مُقدّر، أي: أوعدَ، يفسّره: ﴿أَعَدَّ لَهُم عَذابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلمًا. وهم الكافرون.

قولُهُ: (صَلِّ) أي: وتهجَّدْ له طائفةً طويلَةً من اللَّيلِ.

قولُهُ: (مِن ثُلُثَيه) أو غيرَ مُقيَّدٍ بمقدارٍ مُعيَّنٍ كما تقدَّمَ.

قولُهُ: (شَدِيداً) و﴿وَرَاءَهُم﴾ أمامَهُم، أو خَلفَ ظُهورِهم.

قولُهُ: (قَوَّينَا) وأحكَمنا.

قولُهُ: (ومَفَاصِلَهُم) أي: ربَطَ مفاصِلَهُم بالأعصابِ.

قولُهُ: (و﴿إِذَا﴾ لِمَا يَقَعُ) أو ﴿إِذا﴾ لتحقُّقِ القُدرةِ وقُوَّةِ الدَّاعيةِ، أو إذا على أصلِها، والمعنى: إذا شِئنا أهلكناهُم وبدَّلنا أمثالَهُم في الخلقَةِ وشدِّ الأسرِ؛ يعني: النَّشأةَ الثَّانيَةَ.

قولُهُ: (السُّورَةَ) أو الآياتِ القريبَةِ.

قولُهُ: (طَرِيقاً) تُقرِّبُ إليهِ.

قولُهُ: (بالياءِ) الغيبةُ، مكِّيٌّ وبصريٌّ وشاميٌّ[1].

قولُهُ: (ذَلِكَ) أي: ما تشاؤُونَ ذلك إلا وقتَ أن يَشاءَ الله مشيئَتَكُم.

قولُهُ: (جَنَّتِهِ) بالهدايَةِ والتَّوفيقِ للطَّاعَةِ.

قولُهُ: (نَاصِبُهُ) وقُرِئَ بالرَّفعِ على الابتِداءِ[2]، والله تعالى أعلَمُ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠١).

(٢) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن الزبير وأبان بن عثمان وإبراهيم، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٩٧).

سورة الإنسان

وتسمَّى سورة الدهر، والأبرار، والأمشاج، و«هل أتى».

وهي مكِّيَّة عند الجمهور على ما في «البحر»[1]، وقال مجاهد وقتادة: مدنيَّة كلُّها. وقال الحسن وعكرمة والكلبيُّ: مدنيَّة إلا آيةً واحدةً فمكِّيَّة وهي: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الآية: ٢٤]. وقيل: مدنيَّة إلا مِن قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الآية: ٢٤] إلى آخرها، فإنَّه مكِّيٌّ، وعن ابنِ عادل حكاية مدنيَّتها على الإطلاق عن الجمهور[2]، وعليه الشيعة.

وآيها إحدى وثلاثون آيةً بلا خلاف، والمناسبة بينها وبين ما قبلها في غاية الوضوح.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ أصله على ما قيل: أَهَلْ، على أنَّ الاستفهامَ للتقرير، أي: الحمل على الإقرار بما دخلت عليه، والمقرَّر به مَن ينكر البعث، وقد عُلمَ أنَّهم يقولون: نعم قد مضى على الإنسان حين لم يكن كذلك، فيقال: فالذي أوجده بعد أن لم يكن كيف يمتنع عليه إحياؤه بعد موته؟! و«هل» بمعنى «قد»، وهي للتقريب، أي: تقريب الماضي مِن الحال، فلما سدَّت «هل» مسدَّ الهمزة دلَّت على معناها ومعنى الهمزة معاً، ثم صارت

(١) ٨/ ٣٩٣.
(٢) اللباب ٢٠/ ٣.

حقيقة في ذلك، فهي للتقرير والتقريب، واستدلَّ على ذلك الأصل بقول زيد الخيل:

سائل فوارسَ يَرْبُوعٍ بشدَّتنا أَهَلْ رَأَونا بسَفْح القاعِ ذي الأَكَمِ[١]

وقيل: هي للاستفهام ولا تقريبَ، وجمعها مع الهمزة في البيت للتأكيد كما في قوله:

ولا لِلِما بهم أبداً دواء[٢]

بل التأكيد هنا أقربُ؛ لعدم الاتحاد لفظاً، على أنَّ السيرافيَّ قال: الرواية الصحيحة: أم هل رَأَونا، على أنَّ «أم» منقطعة بمعنى «بل». وقال السيوطيُّ في «شرح شواهد المغني»: الذي رأيته في نسخة قديمة مِن ديوان زيد: فهل رَأَونا، بالفاء[٣].

وعن ابنِ عباس وقتادة: هي هنا بمعنى «قد»، وفسَّرها بها جماعة مِن النحاة كالكسائيِّ وسيبويه[٤] والمبرِّد[٥] والفرَّاء[٦]، وحُملت على معنى التقريب، ومن الناس مَن حَمَلها على معنى التحقيق، وقال أبو عبيدة: مجازها: قد أتى على الإنسان، وليس باستفهام[٧]. وكأنَّه أراد ليس باستفهام حقيقةً، وإنَّما هي للاستفهام التقريري، ويرجع بالآخرة إلى «قد أتى»، ولعلَّ مرادَ مَن فسَّرها بذلك كابن عباس وغيره ما ذُكرَ، لا أنَّها بمعنى «قد» حقيقةً، وفي «المغني»[٨] ما تفيدك مراجعتُه بصيرةً، فراجعه.

(١) سلف عند تفسير الآية (٢٢١) من سورة الشعراء.

(٢) عجز بيت لمسلم بن معبد الوالبي، وسلف ٢/ ٦، وصدره:

فلا والله لا يُلفى لما بي

(٣) شرح شواهد المغني ٢/ ٧٧٣.

(٤) الكتاب ١/ ١٠٠.

(٥) المقتضب ١/ ٤٣-٤٤ و٣/ ٢٨٩.

(٦) معاني القرآن ٣/ ٢١٣.

(٧) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٩.

(٨) ص٤٦٠ وما بعدها.

والمراد بـ «الإنسان» الجنس على ما أخرجه ابنُ المنذر عن ابنِ عباس[١]، والحين: طائفةٌ محدودة مِن الزمان شاملةٌ للكثير والقليل، والدهر: الزمان الممتدُّ الغيرُ المحدود، ويقع على مدَّة العالَم جميعِها، وعلى كلِّ زمانٍ طويل غيرِ معيَّن، والزمان عامٌّ للكلِّ. والدهر وعاءُ الزمان، كلام فلسفيٌّ.

وتوقَّف الإمام أبو حنيفة في معنى الدهر منكَّراً ـ أي: في المراد به عرفاً ـ في الأيمان، حتى يقال: بماذا يَحنثُ إذا قال: واللهِ لا أُكلِّمه دهراً، والمعرَّفُ عنده مدَّةُ حياةِ الحالف عند عدم النيَّة، وكذا عند صاحبيه، والمنكَّر عندهما كالحين، وهو معرَّفاً ومنكَّراً كالزمان ستَّةُ أشهر إن لم تكن نيَّة أيضاً، وبها ما نوى على الصحيح، وما اشتهر مِن حكاية اختلاف فتاوى الخلفاء الأربعة في ذلك على عهدِه عليه الصلاة والسلام مستدلًّا كلٌّ بدليل، وقوله ﷺ بعد الرَّفْع إليه: «أصحابي كالنجوم بأيِّهم اقتديتُم اهتديتُم»[٢] إلَّا أنَّه اختار فتوى الأمير كرَّم الله تعالى وجهه بأنَّ الحينَ يومٌ وليلةٌ، لما فيه مِن التيسير، لا يصحُّ، كما لا يخفى على الناقد البصير، ولو صحَّ لم يعدل عن فتوى الأمير معدنِ البسالة والفتوَّة بعد أن اختارها مدينةُ العلم ومفخرُ الرسالة والنبوَّة.

والمعنى هنا: قد أتى ـ أو: هل أتى ـ على جنس الإنسان قَبْلَ زمانٍ قريب طائفةٌ محدودةٌ مقدَّرة كائنة مِن الزمان الممتدِّ لم يكن شيئاً مذكوراً، بل كان شيئاً غيرَ مذكور بالإنسانيَّة أصلاً، أي: غيرَ معروف بها، على أنَّ النفيَ راجع إلى القيد، والمراد أنَّه معدومٌ لم يُوجَد بنفسِه، بل كان الموجودُ أصلَه ممَّا لا يُسمَّى إنساناً، ولا يُعرَف بعنوان الإنسانيَّة وهو مادته البعيدة ـ أعني العناصر ـ أو المتوسِّطة وهي الأغذية، أو القريبة وهي النُّطفة المتولِّدة من الأغذية المخلوقة مِن العناصر. وجملة «لم يكن» إلخ حال مِن «الإنسان» أي: غير مذكور، وجوّز أن تكون صفة لـ «حين» بحذف العائدِ عليه، أي: لم يكن فيه شيئاً مذكوراً، كما في قوله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ١٢٣] وإطلاق الإنسان على مادته مجازٌ بجَعْل ما هو بالقوَّة منزَّلاً منزلةَ ما هو بالفعل، أو هو مِن مجاز الأوْل.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٩٧.

(٢) سلف عند تفير الآية (٢٢) من سورة الشورى.

وقيل: المراد بالإنسان آدمُ عليه السلام. وأيِّد الأوَّل بقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ فإنَّ الإنسان فيه معرفة معادَة، فلا يفترقان، كيف وفي إقامة الظاهر مقامَ المُضمر فَضْل التقرير والتمكين في النفس، فإذا اختلفا عموماً وخصوصاً فاتت الملاءمة، ولا شَكَّ أنَّ الحَمْلَ على آدمَ عليه السلام في هذا لا وَجْهَ له ولا نقض به على إرادة الجنس بناء على أنَّه لا عمومَ فيه ولا خصوصَ، نعم دلَّ قولُه سبحانه: «من نطفة» على أنَّ المراد غيرُه، أو هو تغليب، وقيل: يُجعَل ما للأكثر للكلِّ مجازاً في الإسناد، أو الطرف، ورُويت إرادته عن قتادة والثوريِّ وعكرمة والشعبيِّ وابنِ عباس أيضاً. وقال في رواية أبي صالح عنه: مرَّت به أربعون سنةً قَبْلَ أن ينفخَ فيه الروح وهو ملقًى بين مكَّة والطائف.

وفي رواية الضحاك عنه: أنَّه خُلقَ مِن طين فأقام أربعين سنة، ثم مِن حَمَأ مسنونٍ فأقام أربعين سنة، ثم مِن صلصال فأقام أربعين سنة، فتمَّ خَلْقُه بعد مئة وعشرين سنة، ثم نفخ فيه الروح.

وحكى الماورديُّ عنه أنَّ الحينَ المذكور هاهنا هو الزمنُ الطويل الممتدُّ الذي لا يُعرَف مقدارُه(١). وروي نحوه عن عكرمة، فقد أخرج عبد بنُ حميد وابنُ المنذر عنه أنَّه قال: إنَّ مِن الحين حيناً لا يُدرَك. وتلا الآيةَ، فقال: واللهِ ما يُدرَى كم أتى عليه حتى خَلَقه اللهُ تعالى(٢).

ورأيتُ لبعض المتصوّفة أنَّ «هل» للاستفهام الإنكاري، فهو في معنى النفي، أي: ما أَتى على الإنسان حينٌ مِن الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، وظاهره القولُ بقِدَم الإنسان في الزمان على معنى أنَّه لم يكن زمان إلا وفيه إنسان وهو القِدَم النوعيُّ، كما قال به مَن قال مِن الفلاسفة، وهو كُفْرٌ بالإجماع، ووجِّه بأنَّهم عَنَوا شيئيَّة الثبوت لقِدَم الإنسان عندهم بذلك الاعتبار، دون شيئيَّة الوجود ضرورةَ أنَّه بالنسبة إليها حادثٌ زماناً، ويرشد إلى هذا قول الشيخ محيي الدين في الباب الثامن والخمسين وثلاث مئة من «الفتوحات المكِّيَّة»: لو لم يكن في العالَم مَن هو على صورة الحقِّ

(١) النكت والعيون ٦/ ١٦٢.
(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٩٧ ولم ينسبه لابن المنذر.

ما حصل المقصود مِن العلم بالحقِّ، أعني: العِلْم الحادثَ في قوله سبحانه: «كنتُ كنزاً لم أُعرَف، فأحببتُ أن أُعرَف فخلقتُ الخَلْقَ وتعرَّفت إليهم فعرفوني» فجعل نفسه كنزاً، والكنز لا يكون إلا مُكتَنَزاً في شيءٍ، فلم يكن كنز الحقِّ نفسه إلا في صورة الإنسان الكامل في شيئيَّة ثبوتِه هناك، كان الحقُّ مكنوزاً فلما ألبسَ الحقُّ الإنسانَ ثوبَ شيئيَّة الوجود، ظهر الكنز بظهوره، فعرفه الإنسان الكامل بوجوده، وعَلِمَ أنَّه كان مكنوزاً فيه في شيئيَّة ثبوته، وهو لا يَشعُر به[1]. انتهى.

ولا يخفى أنَّ الأشياء كلَّها في شيئيَّة الثبوت قديمةٌ لا الإنسان وحدَه، ولعلَّهم يقولون: الإنسان هو كلُّ شيءٍ؛ لأنَّه الإمام المبين، وقد قال سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

والكلام في هذا المقام طويل، ولا يَسَعنا أن نطيل، بَيْدَ أنَّا نقول: كون «هل» هنا للإنكار مُنكَر، وأنَّ دعوى صحَّة ذلك لإحدى الكُبَر، والذي فهمه أجلَّةٌ من الصحابة ﷺ من الآية الإخبارَ الإيجابيَّ، أخرج عبد بن حميد وغيره عن عمر بن الخطاب ﷺ أنَّه سمع رجلاً يقرأ: «هل أتى على الإنسان شيء مِن الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً» فقال: ليتها تمَّت[2].

وعن ابن مسعود ﷺ أنَّه سمع رجلاً يتلو ذلك، فقال: يا ليتها تمَّت. فعُوتبَ في قوله هذا، فأخذ عموداً مِن الأرض، فقال: يا ليتني كنتُ مثلَ هذا[3].

﴿أَمْشَاجٍ﴾ جمع: مَشَج، بفتحتين، كسبب وأسباب، أو: مَشِج، بفتح فكسر ككتِف وأكتاف، أو مَشِيْج[4] كشهيد وأشهاد، ونصير وأنصار. أي: أخلاط، جمع:

---

(١) الفتوحات المكية ٣/ ٢٦٧ والحديث المذكور سلف الكلام عليه ١/ ١٩٩ و٢٦/ ٥١.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٩٧ وعزاه أيضاً لابن المبارك في الزهد ص٧٩، وأبي عبيد في فضائل القرآن (١٦)، وابن المنذر، وورد في المصادر كلها: حين، بدل: شيء. في الآية.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٢٩٧ وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف ١٣/ ٢٩٨، وعبد بن حميد وابن المنذر، وورد فيهما: حين، بدل: شيء.

(٤) جاء في هامش الأصل: وفعيل يجمع على أفعال، وإن قال في «التسهيل»: إنه غير مقيس. انتهى منه.

خِلْط، بمعنى مختلط ممتزج، يقال: مشجتُ الشيءَ: إذا خلطته ومزجته، فهو مشيج وممشوج، وهو صفة لـ «نطفة»، ووُصفَ بالجمع وهي مفرَدة؛ لأنَّ المرادَ بها مجموعُ ماء الرجل والمرأة، والجمع قد يقال على ما فوق الواحد، أو باعتبار الأجزاء المختلفة فيهما رقَّة وغِلَظاً، وصُفْرة وبياضاً، وطبيعة وقوَّة وضعفاً، حتى اختصَّ بعضُها ببعض الأعضاء على ما أراده اللهُ تعالى بحكمته، فخلقه بقدرته، وفي بعض الآثار: أنَّ ما كان مِن عَصَب وعَظْم وقوَّة فمِن ماء الرجل، وما كان مِن لحم ودمٍ فمِن ماء المرأة.

والحاصل أنَّه نُزِّل الموصوفُ منزلةَ الجمع، ووصف بصفة أجزائه.

وقيل: هو مفرَد جاء على أَفْعَال كأعشار وأكياش في قولهم: بُرْمَة أعشار، أي: متكسِّرة، وبُرْد أكياش، أي: مغزولٌ غَزْله مرَّتين. واختاره الزمخشريُّ[1]، والمشهور عن نصِّ سيبويه وجمهور النحاة أنَّ أفعالاً لا يكون [إلَّا] جمعاً[2]، وحكي عنه أنَّه ذهب إلى ذلك في أنعام[3].

ومعنى نطفة مختلطة عند الأكثرين: نطفةٌ اختلطَ وامتزج فيها الماءان، وقيل: اختلط فيها الدمُ والبَلْغم والصفراء والسوداء، وقيل: الأمشاج نفسُ الأخلاط التي هي عبارة عن هذه الأربعة، فكأنَّه قيل: «مِن نطفة» هي عبارة عن أخلاط أربعة.

وأخرج ابن المنذر عن مجاهد أنَّه قال: «أمشاج» أي: ألوان، أي: ذات ألوان، فإنَّ ماءَ الرجل أبيضُ وماءَ المرأة أصفرُ، فإذا اختلطا ومَكَثا في قَعْر الرَّحِم اخْضَرَّا كما يخضرُّ الماءُ بالمكثِ[4]. وروي عن الكلبي.

وأخرج عن زيد بنِ أسلم أنَّه قال: الأمشاج: العروق التي في النطفة. وروي ذلك عن ابنِ مسعود، أي: ذات عروق.

---

(١) الكشاف ٤/ ١٩٤.

(٢) ما بين معقوفين لم يرد في الأصل و(م)، وهي زيادة يقتضيها السياق، ولأن سيبويه صرَّح في الكتاب ٣/ ٤٩٦ بأن أفعالاً لا يكون إلا جمعاً، وكذا ذكر في البحر المحيط ٨/ ٣٩٤ بأن أفعالاً لا يكون مفرداً، وينظر الدر المصون ١٠/ ٥٩١-٥٩٣، وينظر كذلك ما سلف ١٤/ ١٨٢.

(٣) الكتاب ٣/ ٢٢٠.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٢٩٨بنحوه، وعزاه أيضاً لعبد بن حميد.

وروي عن عكرمة، وكذا ابن عباس أنَّه قال: «أمشاج»: أطوار، أي: ذات أطوار، فإنَّ النطفةَ تصير علقةً ثم مضغةً، وهكذا إلى تمام الخِلْقة ونَفْخِ الروح.

وقوله تعالى: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ حالٌ مِن فاعل «خلقنا»، والمراد: مريدينَ ابتلاءَه واختبارَه بالتكليف فيما بَعْدُ، على أنَّ الحالَ مقدَّرة، أو ناقلين له مِن حالٍ إلى حال ومِن طورٍ إلى طور، على طريقة الاستعارة؛ لأنَّ المنقولَ يَظهرُ في كلِّ طورٍ ظهوراً آخرَ كظهور نتيجة الابتلاءِ والامتحان بَعْدَه، وروي نحوه عن ابنِ عباس. وعلى الوجهين ينحلُّ ما قيل: إنَّ الابتلاءَ بالتكليف، وهو يكون بعد جَعْله سميعاً بصيراً لا قَبْلُ، فكيف يترتَّب عليه قوله سبحانه: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝﴾. (1وقيل: الكلام على التقديم والتأخير1)، والجملة استئناف تعليليٌّ، أي: فجعلناه سميعاً بصيراً لنبتليه، وحكي ذلك عن الفرَّاء(2)، وعُسِّفَ، لأنَّ التقديمَ لا يقع في حاقِّ موقعه لا لفظاً لأجل الفاء، ولا معنىً؛ لأنَّه لا يتَّجه السؤال قبل الجعل، والأَوْجه الأَوَّل، وهذا الجعل كالمسبَّب عن الابتلاء؛ لأنَّ المقصود مِن جعله كذلك أن يَنظُر الآياتِ الآفاقيَّة والأنفسيَّة ويَسمعَ الأدلَّة السمعيَّة، فلذلك عطف على الخَلْق المقيَّد به بالفاء، ورتَّب عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ لأنَّه جملة مستأنفةٌ تعليليَّة في معنى: لأنَّا هديناه، أي: دَلَلناه على ما يُوصِله من الدلائل السمعيَّة كالآيات التنزيليَّة، والعقليَّةِ كالآيات الآفاقيَّة والأنفسيَّة، وهو إنَّما يكون بعد التكليف والابتلاء.

﴿إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝﴾ حالان مِن مفعول «هدينا»، و«إمَّا» للتفصيل باعتبار تعدُّد الأحوال مع اتِّحاد الذات، أي: هديناه ودَلَلناه على ما يُوصِل إلى البُغْية في حالتَيْه جميعاً مِن الشكر والكفر، أو للتقسيم للمُهْدى باختلاف الذوات والصفات، أي: هديناه السبيل مقسوماً إليها، بعضهم شاكر بالاهتداء للحقِّ وطريقِه بالأخذ فيه، وبعضهم كفور بالإعراض عنه، وحاصله: دَلَلناه على الهداية والإسلام، فمنهم مهتدٍ مسلم، ومنهم ضالٌّ كافر.

(١-١) ليست في الأصل.
(٢) معاني القرآن ٣/ ٢١٤.

وقيل: حالان مِن «السبيل»، أي: عرَّفناه السبيلَ إمَّا سبيلاً شاكراً، وإمَّا سبيلاً كفوراً، على وصف السبيل بوصف سَالِكِه مجازاً، والمراد به لا يَخفى.

وعن السُّدِّيِّ: أنَّ السبيلَ هنا سبيلُ الخروج مِن الرحم. وليس بشيءٍ أصلاً.

وقرأ أبو السَّمَّال وأبو العاج[1]: «أَمَّا» بفتح الهمزة في الموضعين[2]، وهي لغة حكاها أبو زيد عن العرب، وهي التي عدَّها بعض الناس ـ على ما قال أبو حيَّان[3] ـ في حروف العطف، وأنشدوا:

تُلَقِّحُها أَمَّا شَمالٌ عَرِيَّةٌ   وأَمَّا صَبَاً جِنْحَ العَشِيِّ هَبوبُ[4]

وجعلها الزمخشريُّ «أمّا» التفصيليَّة المتضمِّنة معنى الشرط، على معنى: أمَّا شاكراً فبتوفيقنا، وأمَّا كفوراً فبسُوءِ اختيارِه[5]. وهذا التقدير إبراز منه للمَذْهب، قيل: ولا عليه أن يجعله مِن باب: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ﴾ [البقرة: ٢٦] كأنَّه قيل: أمَّا شاكراً فبهدايتنا، أي: دعائنا أو أقدارنا، على ما فسّر به الهداية، وأمَّا كفوراً فبها أيضاً، لاختلاف وجه الدعاء، لأنَّ الهدايةَ هاهنا ليست في مقابلة الضلال، وهذا جارٍ على المذهبين وسالم عن حذف ما لا دليلَ عليه.

وجوَّز في «الانتصاف» أن يكون التقديرُ: أمَّا شاكراً فمثاب، وأمَّا كفوراً فمعاقب.

---

(١) جاء في هامش الأصل و(م): قوله: وأبو العاج، وهو: كثير بن عبد الله السلمي، شامي، وَلِيَ البصرة لهشام بن عبد الملك. انتهى منه. وهو منقول من البحر ٨/ ٣٩٤.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٦، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٤.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٩٤.

(٤) البيت في المقرّب لابن عصفور ١/ ٢٣١، ورصف المباني للمالقي ص١٠١، والدر المصون ١٠/ ٥٩٥، وخزانة الأدب ١١/ ٨٧، ونسبه لأبي القمقام ـ ولم ينسب عند غيره ـ والدرر اللوامع ٦/ ١٢٠، وورد في بعض المصادر: تنفحها، وفي بعضها الآخر: يلفحها، بدل: تلقحها. وورد في بعضها: الظلام، بدل: العشي. ونقل البغدادي في خزانة الأدب رواية الفرَّاء بالياء وفتح الهمزة: أيما، بدل: أمَّا.

(٥) الكشاف ٥/ ١٩٤.

وإيراد الكفور بصيغة المبالغة؛ لمراعاة الفواصل، والإشعارِ بأنَّ الإنسان قلَّما يخلو مِن كُفرانٍ ما، وإنَّما المؤاخَذ عليه الكفرُ المفرط.

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾ هيَّأنا ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ مِن أفراد الإنسان الذي هديناه السبيل ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ بها يُقادونَ ﴿وَأَغۡلَٰلٗا﴾ بها يُقيَّدون ﴿وَسَعِيرًا ۝٤﴾ بها يُحرَقون، وتقديمُ وعيدهم مع تأخُّرهم؛ للجمع بينهما في الذِّكْر، كما في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ الآية [آل عمران: ١٠٦] ولأنَّ الإنذارَ أنسبُ بالمقام وحقيقٌ بالاهتمام، ولأنَّ تصديرَ الكلام وخَتْمَه بذِكْر المؤمنين أحسن، على أنَّ وصفَهم تفصيلاً ربَّما يخلُّ تقديمُه بتجاوب أطراف النظم الكريم.

وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر والأعمش: «سلاسلا» بالتنوين وصلاً، وبالألف المبدلة منه وقفاً(١)، وقال الزمخشريُّ: وفيه وجهان، أحدهما: أن تكون هذه النونُ بدلاً عن حرف الإطلاق ويجري الوصل مجرَى الوقف. والثاني: أن يكون صاحبُ القراءة ممن ضَرِيَ برواية الشعر(٢) ومَرَنَ لسانُه على صرفِ غيرِ المنصرف(٣). وفي الأوَّل أنَّ الإبدال من حروف الإطلاق في غيرِ الشعر قليلٌ، كيف وضمَّ إليه إجراء الوصل مجرى الوقف، وفي الثاني تجويزُ القراءة بالتشهِّي دون سداد وجهها في العربيَّة. والوجهُ أنَّه لقصد الازدواج والمشاكلة، فقد جوّزوا لذلك صَرْفَ ما لا ينصرف، لا سيَّما الجمع فإنَّه سببٌ ضعيف لشَبَهه بالمفرَد في جمعه كـ: صواحبات يوسف، ونواكسي الأبصار(٤)، ولهذا جوّز بعضهم صَرْفَه مطلقاً، كما قيل:

---

(١) التيسير ص٢١٧، والنشر ٢/ ٣٩٤، والبحر ٨/ ٣٩٤.
(٢) ضَرِيَ بكذا وعلى كذا: لهجَ به. أساس البلاغة (ضري).
(٣) الكشاف ٤/ ١٩٥.
(٤) ومنه قول الفرزدق:

وإذا الرجال رَأَوْا يزيدَ رأيتَهم ... خُضُعَ الرقاب نواكِسي الأبصار

قال السمين في الدر المصون ١٠/ ٥٩٨: بكسر السين من نواكس، وبعدها ياء تظهر خطًّا لا لفظاً، لذهابها لالتقاء الساكنين، والأصل: نواكسين، فحذفت النونُ للإضافة، والياءُ لالتقاء الساكنين.

والـصَّـرْفُ فـي الـجـمـع أتـى كَـثِـيـرا حـتَّـى ادَّعـى قـومٌ بـه الـتـخـيـيـرا[١]

وحكى الأخفش عن قوم مِن العرب أنَّ لغتهم صَرْفُ كلٍّ ما لا ينصرف إلا: أَفعل مِن. وصَرْفُ «سلاسلا» ثابت في مصاحف المدينة ومكَّة والكوفة والبصرة، وفي مصحف أُبَيٍّ وعبد الله بنِ مسعود، وروى هشام عن ابن عامر: «سلاسل» في الوصل، و«سلاسلا» بألف دون تنوين في الوقف[٢].

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ شروع في بيان حُسْنِ حالِ الشاكرين إثر بيان سوء حالِ الكافرين، وإيرادهم بعنوان البرِّ للإشعار بما استحقُّوا به ما نالوه مِن الكرامة السَّنِيَّة مع تجديد صفة مَدْح لهم.

والأبرار جمع: بَرٍّ، كرَبٍّ وأرباب، أو: بَارٍّ كشاهد وأشهاد، بناء على أنَّ فاعلاً يُجمَع على أفعال، والبَرُّ: المطيعُ المتوسِّع في فعل الخير، وقيل: مَن يؤدِّي حقَّ الله تعالى ويوفي بالنذر. وعن الحسن: هو الذي لا يؤذي الذَّرَّ ولا يرضى الشَّرَّ.

﴿يَشْرَبُونَ﴾ في الآخرة ﴿مِن كَأْسٍ﴾ هي كما قال الزجَّاج: الإناء إذا كان فيه الشراب، فإذا لم يكن لم يسمَّ كأساً[٣]. وقال الراغب: الكأس: الإناءُ بما فيه من الشَّراب، ويُسمَّى كلُّ واحد منهما بانفراده كأساً[٤]. والمشهور أنَّها تُطلَق حقيقةً على الزجاجة إذا كانت فيها خمر، ومجازاً على الخمر بعلاقة المجاورة.

والمراد بها هاهنا قيل: الخمر، ف «من» تبعيضيَّة أو بيانيَّة. وقيل: الزجاجة التي فيها الخمر، ف «من» ابتدائيَّة.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ أظهر ملاءَمةً للأوَّل. والظاهر أنَّ هذا على منوال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧] والمجيء بالفعل للتحقيق

---

(١) سلف ١٧/ ٣٢٧.
(٢) السبعة ص٦٦٣، والنشر ٢/ ٣٩٤-٣٩٥، والبحر ٨/ ٣٩٤ والكلام منه.
(٣) معاني القرآن ٥/ ٢٥٨.
(٤) المفردات (كأس).

والدوام. وقيل: «كان» تامَّة مِن قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. والمزاج: ما يُمزَج به، كالحِزام لما يُحزَم به، فهو اسم آلة.

و«كافور» على ما قال الكلبيُّ: عَلَمُ عينٍ في الجنَّة ماؤها في بياض الكافور وعَرْفِه وبَرْدِه. وصُرفَ لتَوَافُقِ الآي، والكلام على حذف مضاف، أي: ماء كافور، والجملة صفة «كأس»، وهذا القول خلافُ الظاهر، ولعلَّه ـ إن لم يصحَّ فيه خَبرٌ ـ لا يُقبَل.

وقرأ عبد الله: «قافوراً» بالقاف بدل الكاف[1]، وهما كثيراً ما يتعاقبان في الكلمة، كقولهم: عربيٌّ قُحٌّ، وكُحٌّ.

وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا﴾ بدل مِن كافور.

وقال قتادة: يُمزَج لهم بالكافور ويُختَم لهم بالمِسْك، وذلك لبرودة الكافور وبياضِه وطِيْبِ رائحته. فالكافور بمعناه المعروف. وقيل: إنَّ خمرَ الجنَّة قد أودعها الله تعالى ـ إذ خَلَقَها ـ أوصافَ الكافور الممدوحة، فكونه مزاجاً مجازٌ في الاتِّصاف بذلك. فـ «عيناً» على هذين القولين بدلٌ مِن محلِّ «كأس» على تقدير مضاف، أي: يشربون خمراً خمر عينٍ، أو نصب على الاختصاص بإضمار: أعني، أو: أخصُّ، كما قال المبرِّد. وقيل: على الحال مِن ضمير «مزاجها». وقيل: مِن «كأس» وساغ لوصفه، وأُريدَ بذلك وصفها بالكثرة والصفاء.

وقيل: منصوب بفعل يفسِّره ما بَعْدُ، أعني قولَه تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ على تقدير مضاف أيضاً، أي: يشربون ماءَ عينٍ يشرب بها.. إلخ. وتعقّب بأنَّ الجملةَ صفةُ «عيناً» فلا يَعمل فعلها بها، وما لا يَعمل لا يفسّر عاملاً، وأُجيب بمنع كونها صفة على هذا الوجه، والتركيب عليه نحوُ: رجلاً ضربته. نعم هي صفة «عين» على غير هذا الوجه.

والباء للإلصاق وليست للتعدية، وهي متعلِّقة معنىً بمحذوف، أي: يَشربُ الخمرَ ممزوجةً بها ـ أي: بالعين ـ عبادُ الله، وهو كما تقول: شربتُ الماءَ بالعسل،

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٩٥.

هذا إذا جُعلَ «كافور» عَلَم عينٍ في الجنَّة، وأمَّا على القولين الآخَرين، فقيل: وجه الباء أنْ يُجعَل الكلامُ مِن باب:

يَجرَحُ في عَرَاقيبها نَصْلِي[1]

لإفادة المبالغة. وقيل: الباء للتعدية، وضمّن «يشرب» معنى يَرْوَى، فعدِّي بها. وقيل: هي بمعنى «من». وقيل: هي زائدة، والمعنى: يشربها، كما في قول الهذلي:

شَرِبْنَ بماءِ البحرِ ثم تَرَفَّعَتْ ... متى لُجَجٍ خُضْرٍ لهنَّ نَئِيْجُ[2]

ويعضد هذا قراءةُ ابنِ أبي عَبْلَة: «يَشربها»[3].

وقيل: ضمير «بها» لـ «الكأس»، والمعنى: يشربون العينَ بتلك الكأسِ، وعليه يجوز أن يكون «عيناً» مفعولاً لـ «يشرب» مقدَّماً عليه. و«عباد الله» المؤمنون أهل الجنَّة.

﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ۝٦﴾ صفة أخرى لـ «عيناً»، أي: يُجرونها حيث شاؤوا مِن منازلهم إجراءً سهلاً لا يَمتنعُ عليهم، على أنَّ التنكيرَ للتنويع، أخرج عبد الله بنُ أحمد في «زوائد الزهد» عن ابن شوذب أنَّه قال: معهم قضبان ذهب يُفجِّرون بها، فيتبع الماءُ قضبانَهم[4]. وفي بعض الآثار أنَّ هذه العين في دارِ رسول الله ﷺ تفجَّر إلى دور الأنبياء عليهم السلام والمؤمنين[5].

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ استئنافٌ مسوق لبيانِ ما لأجله يرزقونَ هذا النعيمَ، مشتملٌ على نوعِ تفصيلٍ لِمَا يُنبئُ عنه اسمُ الأبرار إجمالاً، كأنَّه قيل: ماذا يفعلونَ حتى ينالوا تلك المرتبةَ العاليةَ؟ فقيل: «يوفون» إلخ، وأُفيد أنَّه استئنافٌ للبيان، ومع ذلك عدل عن أَوْفَوا إلى المضارع؛ للاستحضار والدلالة على الاستمرار.

---

(١) سلف عند تفير الآية (٥٧) من سورة الأنفال.

(٢) سلف ٧/ ٥٩.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٩٥، والدر المصون ١٠/ ٦٠٠.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٢٩٨.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠ وعزاه للثعلبي.

والوفاء بالنذر كنايةٌ عن أداء الواجبات كلِّها لعلم ما عداه بالطريق الأولى وإشارةِ النَّصِّ، فإنَّ مَن أوفى بما أوجبه على نفسه كان إيفاءُ ما أوجبه اللهُ تعالى عليه أهمَّ له وأحرى، وجَعْلُ ذلك كنايةً هو الذي يقتضيه ما روي عن قتادة. وعن عكرمة ومجاهد إبقاءه على الظاهر، قالا: أي: إذا نذروا طاعةً فعَلوها.

﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ﴾ عذابُه ﴿مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ فاشياً منتشراً في الأقطار غايةَ الانتشار، مِن استَطَار الحريقُ والفَجْرُ، وهو أبلغ مِن طار؛ لأنَّ زيادةَ المبنى تدلُّ على زيادة المعنى، وللطلب أيضاً دلالة على ذلك؛ لأنَّ ما يُطلَب مِن شأنه أن يُبالغ فيه، وفي وَصْفهم بذلك إشعارٌ بحُسْنِ عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: كائنين على حبِّ الطعام، أي: مع اشتهائه والحاجة إليه، فهو مِن باب التتميم، ويجاوبه مِن القرآن قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وروي عن ابنِ عباس ومجاهد.

أو: على حبِّ الإطعام، بأنْ يكون ذلك بطِيْب نَفْسٍ وعدم تكلُّف، وإليه ذهب الحسين بنُ الفضل، وهو حسن.

أو: كائنين على حبِّ الله تعالى. أو: إطعاماً كائناً على حبِّه تعالى ولوجهه سبحانه وابتغاءِ مرضاته عزَّ وجلَّ، وإليه ذهب الفضيل بنُ عياض وأبو سليمان الدارانيُّ، فـ «على حبِّه» مِن باب التكميل، وزيَّفه بعضُهم، وقال: الأول هو الوجه، ويجاوبه القرآن، على أنَّ في قوله تعالى: «لوجه الله» بَعْدُ غنية عن قوله سبحانه: «لوجه الله»(١)، وفيه نَظَر، بل لعلَّه الأنسب لذاك.

وذِكْر الطعام مع أنَّ الإطعام يُغني عنه، لتعيين مرجع الضمير على الأوَّل، ولأنَّ الطعامَ كالعلم فيما فيه قوامُ البَدَن واستقامةُ البُنْية وبقاءُ النفس، ففي التصريح به تأكيدٌ لفخامة فِعْلهم على الأخيرين، ويجوز أن يُعتبر على الأوَّل أيضاً.

ثم الظاهر أنَّ المرادَ بإطعام الطعام حقيقته، وقيل: هو كناية عن الإحسان إلى

---

(١) كذا في الأصل و(م)، ولعل الصواب: «على حبه»، بدل: «لوجه الله».

المحتاجين والمواساة معهم بأيِّ وجه كان، وإن لم يكن ذلك بالطعام بعَيْنه، فكأنَّه ينفعونَ بوجوه المنافع.

﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾ قيل: أيَّ أسير كان، فعن الحسن أنَّه ﷺ كان يُؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين، فيقول: «أَحْسِنْ إليه» فيكون عنده اليومين والثلاثة فيُؤْثره على نفسه. وقال قتادة: كان أسيرُهم يومئذٍ المشرك، وأخوك المسلم أحقُّ أن تُطعِمه[1]. وأخرج ابن عساكر[2] عن مجاهد أنه قال: لما صدر النبيُّ ﷺ بالأَسارى مِن بدر أنفق سبعةٌ من المهاجرين: أبو بكر وعمر وعليٌّ والزبير وعبد الرحمن وسعد وأبو عبيدة بن الجراح على أسارى مشركي بدر، فقالت الأنصار: قتلناهم في الله وفي رسوله ﷺ وتعينونهم بالنفقة؟! فأنزل اللهُ تعالى فيهم تسع عشرة آية: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾. ففيه دليل على أنَّ إطعام الأسارى وإن كانوا من أهل الشرك حَسَنٌ ويُرجَى ثوابه.

والخبر الأوَّل قال ابن حجر: لم يذكره مَن يُعتمَد عليه من أهل الحديث. وقال ابن العراقي: لم أقف عليه. والخبر الثاني لم أَرَهُ لفردٍ غير ابن عساكر، ولا وثوقَ لي بصحَّته، وهو يقتضي مدنيَّة هذه الآيات، وقد عَلِمْتَ الخلاف في ذلك، نعم عند عامة العلماء يجوز الإحسان إلى الكفار في دار الإسلام ولا تُصرَف إليهم الواجبات.

وقال ابن جبير وعطاء: هو الأسير من أهل القِبْلة. قال الطيبيُّ: هذا إنما يستقيم إذا اتفق الإطعام في دار الحرب من المسلم لأسير في أيديهم.

وقيل: هو الأسير المسلم تُرِكَ في بلاد الكفار رهينة، وخرج لطلب الفداء.

وروى محيي السُّنَّة[3] عن مجاهد وابنِ جبير وعطاء أنَّهم قالوا: هو المسجون من أهل القِبْلة. وفيه دليل على أنَّ إطعام أهل الحبوس المسلمين حَسَنٌ، وقد يقال:

---

(١) حاشية الشهاب ٨/ ٢٨٨، وقد أورده ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٠ ولم يذكر فيه شيئاً.

(٢) في تاريخ مدينة دمشق ٣٥/ ٢٨٦.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٢٨.

لا يحسن إطعام المحبوس لوفاءِ دَيْنٍ يَقدِر على وفائه، إنما امتنع عنه تعنُّتاً ولغرض من الأغراض النفسانية.

وعن أبي سعيد الخدري: هو المملوك والمسجون. وتسمية المسجون أسيراً مجازٌ؛ لمنعه عن الخروج، وأما تسمية المملوك فمجاز أيضاً لكن قيل: باعتبار ما كان، وقيل: باعتبار شَبَهه به في تقيُّده بإسار الأمر وعدم تمكُّنه مِن فِعْل ما يهوى، وعُدَّ الغريمُ أسيراً؛ لقوله ﷺ: «غريمك أسيرك فأحسن إلى أسيرك»[1]، وهو على التشبيه البليغ إلا أنَّه قيل في هذا الخبر ما قيل في الخبر الأوَّل.

وقال أبو حمزة الثمالي[2]: هي الزوجة، وضعفه ها هنا ظاهر.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ على إرادة قول هو في موضع الحالِ من فاعل «يطعمون»، أي: قائلين ذلك بلسان الحال؛ لِمَا يظهر عليهم من أمارات الإخلاص. وعن مجاهد: أما إنَّهم ما تكلَّموا به ولكن علمه الله تعالى منهم، فأثنى سبحانه به عليهم ليرغب فيه راغب. أو بلسان المقال إزاحةً لتوهُّم المَنِّ المُبطِل للصدقة وتوقُّع المكافأة المُنقِصة للأجر. وعن الصِّدِّيقة ﵂ أنَّها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت، ثم تسأل الرسولَ: ما قالوا؟ فإذا ذَكَر دعاءً دَعَتْ لهم بمثله ليبقى لها ثوابُ الصدقة خالصاً عند الله عزَّ وجلَّ. وجوِّز أن يكون قولهم هذا لهم؛ لطفاً وتفقيهاً وتنبيهاً على ما ينبغي أن يكون عليه مَن أخلص تعالى، وليس بذاك.

وقوله سبحانه: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ بالأفعال ﴿وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ ولا شكراً وثناءً بالأقوال، تقرير وتأكيد لما قَبْلَه.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا﴾ أي: عذابَ يومٍ، فهو على تقدير مضاف، أو أنَّ خوفه كنايةٌ عن خوف ما فيه.

﴿عَبُوسًا﴾ تعبس فيه الوجوه، على أنه مِن الإسناد المجازي كما في: نهاره

(١) الكشاف ٤/ ١٩٦، وتفسير الرازي ٣/ ٢١٦، وتفسير البيضاوي ٨/ ٢٨٩، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٥.
(٢) في الأصل و(م): اليماني. والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٤١١.

صائم، فقد روي عن ابن عباس: أنَّ الكافر يعبس يومئذٍ حتى يسيلَ من بين عينيه عَرَقٌ مثل القَطِران. أو يشبه الأَسَدَ العبوس، على أنَّه من الاستعارة المكنيَّة التخييلية، لكن لا يخفى أنَّ العبوسَ ليس من لوازم الأسد، وإنَّما اشتهر وصفه به، ففي التخييلية ضعفٌ ما، وقيل: إنَّه مِن التشبيه البليغ.

﴿قَمْطَرِيرًا ۝١٠﴾ شديد العبوس، ويقال: شديداً صعباً، كأنَّه التَفَّ شرُّه بعضه ببعض. وقيل: طويلاً، وهو رواية عن ابن عباس، وجاء: قُماطر، وأنشدوا لأسد بن ناعصة(١):

واصطليتُ الحروبَ في كلِّ يومٍ باسلِ الشَّرِّ قَمْطَريرِ الصَّباحِ

وقول آخر:

بني عمِّنا هل تَذكرونَ بلاءَنا عليكم إذا ما كان يومٌ قُماطِرُ(٢)

وإلى الأوَّل ذهب الزجَّاج، فقال: القمطرير: الذي يَعْبسُ حتى يجتمعَ ما بين عينيه، ويقال: اقمَطرَّت الناقةُ: إذا رفعت ذَنَبها وزمَّت بأنفها، وجمعت قطريها(٣)، أي: جانبيها، كأنَّها تفعل ذلك إذا لقحت(٤) كبراً، وقيل: لتضع حَمْلها، فاشتقاقه عنده ـ على ما قيل ـ مِن قطر بالاشتقاق الكبير، والميم زائدة، وهذا لا يلزم الزجَّاج فيجوز أن يكون مشتقًّا كذلك من القَمْطِ، ويقال: قَمَطه: إذا شدَّه وجَمَعَ أطرافه.

وفي «البحر»: يقال: اقمطرَّ فهو مُقَمْطر وقَمْطَرير وقُماطر إذا صَعُبَ واشتدَّ، واختلف في هذا الوزن وأكثر النحاة لا يثبتون افمعلَّ في أوزان الأفعال(٥).

---

(١) في الأصل و(م): ناغصة. والمثبت من ترجمته في المؤتلف والمختلف للآمدي ص٢٩٩، وهو أسد بن ناعصة بن عمرو شاعر جاهلي قديم، له في أشعاره ألفاظ غريبة وحشية. والبيت ذكره الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩٧، والقرطبي في التفسير ٢١/ ٤٦٨.

(٢) البيت ذكره الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢١٦، والطبري في التفسير ٢٣/ ٥٤٧، والجوهري في الصحاح (قمطر)، والقرطبي في التفسير ٢١/ ٤٦٧.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٥٩، والكشاف ٤/ ١٩٧.

(٤) في (م): لحقت.

(٥) البحر المحيط ٨/ ٣٩٢.

وهذه الجملة جوّز أن تكون علّة لإحسانهم وفِعْلِهم المذكور، كأنَّه قيل: نَفْعَلُ بكم ما نَفْعَلُ؛ لأنَّا نخاف يوماً صفته كيت وكيت، فنحن نرجو بذلك أن يَقِينا ربُّنا جلَّ وعلا شرَّه. وأن تكون علّة لعدم إرادة الجزاء والشكور، أي: إنَّا لا نريد منكم المكافأة؛ لخوفِ عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة.

وإلى الوجهين أشار في «الكشاف»[1]، وقال في «الكشف»: الثاني أَوْجَهُ؛ ليبقى قولُه: «لوجه الله» خالصاً غيرَ مشوب بحظِّ النفس مِن جَلْب نفعٍ أو دفع ضرٍّ، ولو جعل علَّة للإطعام المعلَّل على معنى: إنَّما خَصَصْنا الإحسان لوجهه تعالى؛ لأنَّا نخاف يوم جزائه، ومَن خافه لازَمَ الإخلاص، لكان وجهاً.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ بسبب خوفهم وتحفُّظهم عنه. وقرأ أبو جعفر: «فوقَّاهم» بشدِّ القاف[2]، وهو أوفق بقوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾ أي: أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنِهم نضرةً في الوجوه وسروراً في القلوب.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم على مشاقِّ الطاعات، ومهاجرةِ هوى النفس في اجتناب المحرَّمات وإيثارِ الأموال مأكلاً وملبساً ﴿جَنَّةً﴾ بستاناً عظيماً يأكلون منه ما شاؤوا ﴿وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ يلبسونه ويتزيَّنون به.

ومن رواية عطاء عن ابنِ عباس: أنَّ الحسن والحسين مرضا، فعادَهما جدُّهما محمد ﷺ ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وعادَهما مَن عادَهما مِن الصحابة، فقالوا لعليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه: يا أبا الحسن لو نَذَرت على ولدَيْك، فنذر عليٌّ وفاطمة وفضَّة - جارية لهما - إن بَرِآ مما بهما أن يصوموا ثلاثةَ أيام شكراً، فألبس اللهُ تعالى الغلامين ثوب العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فانطلق عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه إلى شمعون اليهودي الخيبري فاستقرضَ منه ثلاثة أَصْوُع من شعير، فجاء بها، فقامت فاطمة رضي الله عنها إلى صاع فطحنته وخبزت منه خمسةَ أقراص على عددهم، وصلَّى عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه مع النبيِّ ﷺ المغربَ، ثم

(١) ٤/١٩٦-١٩٧.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٣٩٦.

أتى المنزلَ فوضع الطعام بين يديه، فوقف بالباب سائلٌ، فقال: السلام عليكم يا أهلَ بيت محمد ﷺ، أنا مسكين مِن مساكين المسلمين أطعموني أَطْعَمَكم اللهُ تعالى مِن موائد الجنة. فآثروه وباتوا لم يذوقوا شيئاً إلا الماء، وأصبحوا صياماً، ثم قامت فاطمة رضي الله عنها إلى صاع آخر فطحنته وخبزته، وصلَّى عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه مع النبيِّ ﷺ المغرب، ثم أتى المنزلَ فوضع الطعام بين يديه، فوقف يتيم بالباب، وقال: السلام عليكم يا أهلَ بيت محمد ﷺ، يتيم مِن أولاد المهاجرين، أَطعموني أَطْعَمكم اللهُ تعالى من مِوائد الجنة. فآثروه ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القَراح، وأصبحوا صياماً، فلما كان يوم الثالث قامت فاطمة رضي الله عنها إلى الصاع الثالث وطحنته وخبزته، وصلَّى عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه مع النبيِّ ﷺ المغربَ فأتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، فوقف أسير بالباب، فقال: السلامُ عليكم يا أهلَ بيت محمد ﷺ، أنا أسيرُ محمدٍ عليه الصلاة والسلام أَطْعِموني أَطْعَمَكم اللهُ. فَآثَروه وباتوا لم يذوقوا إلا الماء القَراح، فلما أصبحوا أخذ عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ ورآهم يرتعشون كالفراخِ من شدَّة الجوع، قال: «يا أبا الحسن ما أشدَّ ما يَسُوءُني ما أرى بكم» وقام فانطلق معهم إلى فاطمة رضي الله عنها فرآها في محرابها قد التصقَ بطنُها بظهرها وغارت عيناها من شدَّة الجوع، فرقَّ لذلك ﷺ وساءَه ذلك، فهبط جبريل عليه السلام، فقال: خذها يا محمد هنَّأك الله تعالى في أهلِ بيتك. قال: وما آخُذُ يا جبريل؟ فأقرأه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ السورة. وفي رواية ابن مهران: فوثب النبيُّ ﷺ حتى دخل على فاطمة فأكبَّ عليها يبكي، فهبط جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ﴾ إلى آخره. وفي رواية عن عطاء: أنَّ الشعيرَ كان عن أجرة سَقْي نخل، وأنَّه جعل في كلِّ يوم ثلث منه عصيدة فآثروا بها[1].

(١) ينظر هذا الخبر ورواياته في: نوادر الأصول ص٦٤-٦٥، وأسباب النزول للواحدي ص٤٧٨، وتفسير البغوي ٤/٤٢٨، ومجمع البيان ٢٩/١٣٨-١٣٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٦١-٤٦٦ مطولاً، وعزا بعضها القرطبي إلى النقاش والثعلبي والقشيري، وقال: لا يصح ولا يثبت. . وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٥٠٣-٥٠٥ عن الأصبغ بن نباتة، وقال: هذا حديث لا يُشَكُّ في وضعه.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنَّه قال في قوله سبحانه: «ويطعمون» إلخ نزلت في عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه وفاطمة بنت رسول الله صلَّى الله تعالى عليه وعليهما وسلَّم[1]، ولم يذكر القصة، والخبر مشهور بين الناس، وذكره الواحدي في كتاب «البسيط»، وعليه قول بعض الشيعة:

إلام ألامُ وحتى متى أُعاتَب في حبِّ هذا الفتى
وهل زوّجت غيره فاطِم وفي غيره هل أتى أتى

وتعقّب بأنَّه خبر موضوع مفتعل كما ذكره الترمذيُّ[2] وابن الجوزي[3]، وآثار الوضع ظاهرة عليه لفظاً ومعنىً، ثم إنَّه يقتضي أن تكون السورة مدنيَّة؛ لأنَّ بناءَ عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه على فاطمة رضي الله عنها كان بالمدينة، وهي عند ابن عباس ـ المروي هو عنه ـ على ما أخرج النَّحَّاس مكِّيَّة، وكذا عند الجمهور في قول.

وأقول: أَمْرُ مكِّيَّتها ومدنيَّتها مختلف فيه جدًّا كما سمعت، فلا جزم فيه بشيء، وابن الجوزي نقل الخبر في «تبصرته»[4] ولم يتعقَّبه، على أنَّه ممَّن يتساهل في أمر الوضع، حتى قالوا: إنَّه لا يعوَّل عليه في هذا الباب، فاحتمال أصل النزول في الأمير كرَّم الله تعالى وجهه وفاطمة رضي الله عنها قائم، ولا جزمَ بنفي ولا إثبات، لتعارض الأخبار، ولا يكاد يَسلَمُ المرجّح عن قيل وقال، نعم لعلَّه يترجَّح عدم وقوع الكيفية التي تضمَّنتها الرواية الأولى.

ثم إنَّه على القول بنزولها فيهما لا يتخصَّص حكمها بهما، بل يشمل كلَّ مَن فَعَلَ مثل ذلك، كما ذكره الطبرسي من الشيعة في «مجمع البيان»[5] راوياً له عن

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٩٩.
(٢) لعله يقصد الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الأصول ص٦٥ حيث قال: هذا حديث مزوَّق، وقد تطرَّف فيه صاحبه حتى يشبِّه على المستمعين.... إلى آخر كلامه.
(٣) كما ذُكر قريباً في كتابه الموضوعات ٢/ ٥٠٥.
(٤) التبصرة ١/ ٤٤٩.
(٥) ٢٩/ ١٣٩.

عبد الله بنِ ميمون عن أبي عبد الله ﵁، وعلى القول بعدم النزول فيهما لا يتطامن[١] مقامهما ولا ينقص قَدْرهما، إذ دخولهما في الأبرار أمر جليٌّ، بل هو دخول أوَّليٌّ، فهما هما، وماذا عسى يقول امرؤٌ فيهما سوى أنَّ عليًّا مولى المؤمنين وَوَصيُّ النبيِّ، وفاطمة البضعة الأحمديَّة والجزء المحمدي، وأما الحَسَنان فالروح والريحان وسيدا شباب الجِنان، وليس هذا من الرفض بشيء، بل ما سواه عندي هو الغَيُّ:

أنا عبدُ الحقِّ لا عبدُ الهوى لعنَ اللهُ الهوى فيمَن لعن[٢]

ومن اللطائف على القول بنزولها فيهم أنَّه سبحانه لم يَذكُر فيها الحُورَ العِيْن وإنَّما صرَّح عزَّ وجلَّ بولدان مخلدين؛ رعايةً لحرمة البَتُول وقرَّة عينِ الرسول؛ لئلَّا تثورَ غيرتها الطبيعية إذا أحسَّت بضَرَّة، وهي في أفواه تخيُّلات الطباع البشرية ـ ولو في الجنَّة ـ مرَّة. ولا يخفى عليك أنَّ هذه زهرة ربيع لا تتحمَّل الفرك، ثم التذكير على ذلك أيضاً من باب التغليب.

وقرأ عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه: «جازاهم» على وزن فاعَلَ[٣].

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ﴾ حال من هم في «جزاهم» والعامل جزى، وخصّ الجزاء بهذه الحالة؛ لأنَّها أتمُّ حالات المتنعّم، ولا يضرُّ في ذلك قوله تعالى: ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ لأنَّ الصبر في الدنيا وما تسبَّب عليه في الآخرة. وقيل: صفة الجنة، ولم يبرز الضمير مع أنَّ الصفة جارية على غير مَن هي عليه، فلم يقل: متكئين هم فيها؛ لعدم الإلباس، كما في قوله:

قومي ذُرَا المجدِ بانوها وقد عَلِمَتْ بِكُنْهِ ذلك عدنانٌ وقَحْطانُ[٤]

---

(١) أي: لا ينخفض. المعجم الوسيط (طمن).

(٢) البيت لابن الرومي، وهو في ديوانه ٦/ ٢٥٣٢.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٩٦.

(٤) البيت في شرح ابن عقيل ١/ ٢٠٨، وأوضح المسالك ص١٠٠، وشرح الأشموني مع حاشية الصبان ١/ ١٩٣ دون نسبة. وجاء في هامش الأصل: وهو أن يكون (ذرا) مفعول بانون محذوفاً، أي: قومي بانون ذرا المجد بانوها. تدبر. انتهى منه.

وأنت تعلم أنَّ هذا رأي الكوفيَّة، ومذهب البصريَّة وجوبُ إبراز الضمير في ذلك مطلقاً، وفي البيت كلام.

وقيل: يجوز كونه حالاً مقدَّرة من ضمير «صبروا». وليس بذاك.

و«الأرائك» جمع: أريكة، وهي السرير في الحَجَلة[1] مِن دونه ستر، ولا يُسمَّى مفرداً: أريكة، وقيل: هو كلُّ ما اتُّكِئَ عليه من سرير أو فراش أو مِنَصَّة، وكأنَّ تسميته بذلك لكونه مكاناً للإقامة أخذاً من قولهم: أرِكَ بالمكان أروكاً: أقام، وأصل الأروك: الإقامة على رعي الأَرَاك الشجر المعروف، ثم استعمل في غيره من الإقامات.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ إما حالٌ ثانية مِن الضمير، أو حالٌ من المستكنِّ في «متّكئين»، وجوّز فيه كونه صفة لـ «جنة» أيضاً، والمراد من ذلك أنَّ هواءَها معتدلٌ لا حرُّ شمس يُحْمي، ولا شدّة برد يؤذي، وفي الحديث: «هواءُ الجنَّة سَجْسَج لا حرٌّ ولا قرٌّ»[2] فقصد بنفي الشمس نفيها ونفي لازمها معاً؛ لقوله سبحانه: «ولا زمهريراً»، فكأنَّه قيل: لا يرون فيها حرًّا ولا قرًّا، وقيل: الزمهرير: القمر، وعن ثعلب أنَّه في لغة طيِّئ، وأنشد:

وليلةٍ ظلامُها قد اعتكَرْ قَطَعْتُها والزَّمْهَريرُ ما زَهَرْ[3]

وليس هذا لأنَّ طبيعته باردة ـ كما قيل ـ لأنَّه في حيِّز المنع، بل قيل: إنَّه بُرهن على أنَّ الأنوار كلَّها حارَّةٌ، فيحتمل أنَّ ذلك لِلَمَعانه أخذاً له مِن ازمهرَّ الكوكب: لمع، والمعنى على هذا القول: إنَّ هواءَها مضيء بذاته لا يحتاج إلى شمس

---

(١) قال الشهاب في الحاشية ٨/ ٣٣٨: الحجلة بيت مربع من الثياب الفاخرة يرخى على السرير، يسمى بديارنا ناموسية.

(٢) لم نقف عليه مرفوعاً، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (١٥٢٥)، وابن أبي شيبة ١٣/ ١٠٠ عن عبد الله بن مسعود موقوفاً.

(٣) الرجز في النكت والعيون ٦/ ١٦٩، والكشاف ٤/ ١٩٧، ونهاية الأرب للنويري فصل في أسماء القمر اللغوية، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٢.

ولا قمر، وفي الحديث: «إنَّ الجنَّة لا خَطَر لها، هي وربِّ الكعبة نورٌ يتلألأ، وريحانة تهتزُّ، وقَصْر مشيد» الحديث[١]. ثم إنَّها مع هذا قد يظهر فيها نور أقوى مِن نورها، كما تشهد به الأخبار الصحيحة، وفي بعض الآثار عن ابنِ عباس: بينا أهل الجنة في الجنة، إذ رَأَوْا ضوءاً كضوء الشمس وقد أشرقت الجنانُ به، فيقول أهل الجنَّة: يا رضوان ما هذا، وقد قال ربُّنا: «لا يَرَوْنَ فيها شمساً ولا زمهريراً»! فيقول لهم رضوان: ليس هذا بشمس ولا قمر، ولكن عليٌّ وفاطمة رضي الله عنهما ضَحِكا، فأشرقت الجنانُ مِن نور ثغريهما[٢].

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ عطف على الجملة وحالها حالها، أو صفة لمحذوف معطوف على «جنَّة» فيما سبق، أي: وجنَّة أخرى دانية عليهم ظلالها، على أنَّهم وُعِدوا جنَّتين كما في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقرأ أبو حيوة: «دانيةٌ» بالرفع[٣]، وخرِّج على أنَّ «دانية» خبرٌ مقدَّم لـ «ظلالها»، والجملة في حيِّز الحال على أنَّ الواو عاطفة أو حاليَّة، أو في حيِّز الصفة على أنَّ الواو عاطفة أيضاً، أو للإلصاق على ما يراه الزمخشري[٤]، وقال الأخفش: «ظلالها» مرفوع بـ «دانية» على الفاعليَّة، واستدلَّ بذلك على جواز عملِ اسم الفاعل مِن غير اعتماد، نحو: قائمٌ الزيدون، وقد علمت أنَّه لا يَصلُح للاستدلال؛ لقيام ذلك الاحتمال، على أنَّه يجوز أن يكون خبراً لمبتدأ مقدَّر فيعتمد، أي: وهي دانية عليهم ظلالُها.

وقرأ أُبيٌّ: «وَدَانٍ»[٥] كقاضٍ، ولا يتمُّ الاستدلال به للأخفش أيضاً وإن كان

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٣٢)، وابن حبان (٧٣٨١) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما. قال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد فيه مقال، الضحاك المعافري ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي في طبقات التهذيب: مجهول، وسليمان بن موسى الأموي مختلف فيه، وباقي رجال الإسناد ثقات. اهـ. وقوله ﷺ: «لا خَطَر لها» أي: لا مِثْلَ لها.

(٢) تفسير الثعلبي ١٠/ ١٠٢، وهو خبر واضح البطلان.

(٣) الإملاء للكعبري ٤/ ٤٣٨، والكشاف ٤/ ١٩٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٢، والبحر ٨/ ٣٩٦.

(٤) الكشاف ٤/ ١٩٨.

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٦، والبحر ٨/ ٣٩٦.

بينه وبين ما تقدَّم فرق ما. وقرأ الأعمش: «ودانياً عليهم»[1] نحو: ﴿خُشَّعًا أَبْصَـٰرُهُمْ﴾[2] [القمر: ٧].

والمراد أنَّ ظلالَ أشجار الجنة قريبةٌ مِن الأبرار مُظِلَّةٌ عليهم؛ زيادة في نعيمهم.

﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ أي: سخِّرت ثمارها لمتناوِلها وسَهُلَ أَخْذُها، مِن الذُّلِّ وهو ضدُّ الصعوبة، قال قتادة ومجاهد وسفيان: إن كان الإنسان قائماً تناول الثمر دون كلفة، وإن كان قاعداً أو مُضْطَجعاً فكذلك، فهذا تذليلها لا يَرُدُّ اليدَ عنها بُعْدٌ ولا شَوكٌ. والجملة حال من ضمير «دانية»، أي: تدنو ظلالُها عليهم مذلّلةً لهم قطوفها، أو معطوفة على ما قبلها، وهي فعلية معطوفة على اسميَّة في قراءة «دانية» بالرفع، ونكتة التخالف أنَّ استدامةَ الظِّلِّ مطلوبة هنالك، والتجدُّدُ في تذليل القطوف على حسب الحاجة.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ﴾ جمع إناء، ككساء وأكسية، وهو ما يوضع فيه الشيء، والأواني جمع الجمع. ﴿مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع: كوب: وهو قَدَحٌ لا عُرْوةَ له، كما قال الراغب[3]، وفي «القاموس»: كوزٌ لا عروةَ له، أو لا خرطومَ له[4]. وقيل: الكوز العظيم الذي لا أُذُن له ولا عروةَ.

﴿كَانَتْ﴾ أي: تلك الأكواب ﴿قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾﴾ جمع: قارورة، وهي إناء رقيق من الزجاج يُوضَع فيه الأشربة، ونصبه على الحال، فإنَّ «كان» تامَّة، وهو كما تقول: خُلِقَتْ قواريرَ.

وقوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ﴾ بدل، والكلام على التشبيه البليغ، فالمراد

---

(١) البحر ٨/ ٣٩٦، وهي معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٦، وإعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠١ عن مسعود رضي الله عنه.
(٢) وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي وخلف، في حين قرأ الباقون: ﴿خُشَّعًا﴾ بضمِّ الخاء وفتح الشين مشدَّدة. التيسير ص٢١٧، والنشر ٢/ ٣٨٠.
(٣) المفردات (كوب).
(٤) القاموس (كوب).

تكوَّنت جامعةً بين صفاء الزجاجة وشفيفها، ولِيْنِ الفضة وبياضها، وأخرج عبد الرازق وسعيد بن منصور والبيهقيُّ عن ابنِ عباس قال: لو أخذْتَ فضةً من فضة الدنيا فضربتَها حتى جعلتَها مثل جناحِ الذُّباب لم يُرَ الماءُ مِن ورائها، ولكن قوارير الجنة بياض الفضة مع صفاء القوارير[1].

وأخرج ابنُ أبي حاتم عنه أنه قال: ليس في الجنة شيء إلا قد أُعطيتم في الدنيا شَبَهه إلا قوارير مِن فضة[2].

وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر: بتنوين «قواريراً» في الموضعين وصلاً وإبداله ألفاً وقفاً، وابن كثير يمنع صَرْفَ الثاني ويَصْرِفُ الأوَّل[3] لوقوعه في الفاصلة، وآخِرِ الآية وقف عليه بالألف مشاكلة لغيره مِن كلمات الفواصل، والتنوين عند الزمخشري[4] في الأوَّل بدلٌ مِن ألف الإطلاق، كما في قوله:

يـا صـاحِ مـا هـاجَ الـعـيـونَ الـذُّرَّفَـنْ[5]

وفي الثاني للإتْباع، فتذكَّر. والقراءة بمنع صَرْفِهما لحفص وابن عامر وحمزة وأبي عمرو، وقرأ الأعمش الثاني «قوارير» بالرفع، أي: هي قوارير[6].

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ أي: قدَّروا تلك القوارير في أنفسهم فجاءت حسب ما قدَّروا لا مزيدَ على ذلك، ولا يمكن أن يقع زيادة عليه، وفي معناه قول الطائيِّ:

ولـو صـوَّرتَ نـفـسَـكَ لـم تَـزِدْهـا   عـلـى مـا فـيـكَ مِـن كَـرَمِ الـطِّـبـاعِ[7]

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٠٠-٣٠١، وتفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٣٨، والبعث والنشور (٣٤٨).
(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٠١.
(٣) التيسير ص٢١٧، والنشر ٢/ ٣٩٥-٣٩٦، والبحر ٨/ ٣٩٧.
(٤) الكشاف ٤/ ١٩٨.
(٥) الرجز للعجاج، وهو في ديوانه ص٤٢١، والكتاب ٤/ ٢٠٧، والبحر ٨/ ٣٩٧، ووقع في الديوان: الذرَّفا وبعده:

مِـن طَـلَـلٍ أمـسـى تـخـال الـمـصـحـفـا

(٦) القراءات الشاذة ص١٦٦، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٧.
(٧) سلف ١١/ ١٣.

فإنَّه يُنبئ عن كون نفسه خُلقت على أتمِّ ما ينبغي مِن مكارم الصفات بحيث لا مزيدَ على ذلك، فضمير «قدَّروها» لـ «أبرار» المطاف عليهم.

أو: قدّروا شرابها على قَدْر الرّيِّ وهو ألذُّ للشارب، قال ابن عباس: أُتُوا بها على الحاجة لا يُفضِّلون شيئاً ولا يشتهون بعدها شيئاً.

وعن مجاهد: تقديرها أنَّها ليست بالملأى التي تفيض ولا بالناقصة التي تغيض. فالضمير ـ على ما هو الظاهر ـ للسقاة الطائفين بها، المدلولِ عليه بقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم﴾، وقد روى عبد بن حميد وابنُ المنذر عن ابن عباس أنَّه قال: قدَّرتها السقاة[١].

وقيل: المعنى: قدَّروها بأعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها، والضمير على هذا، قيل: للملائكة، وقيل: للسقاة.

وقرأ عليٌّ كرّم الله تعالى وجهه وابن عباس والسُّلَمي والشعبي وقتادة وزيد بن عليٍّ والجحدري والأصمعي عن أبي عمرو، وابن عبد الخالق عن يعقوب وغيرهم: «قُدِّرُوها» على البناء للمفعول[٢]، واختلف في تخريجها، فقال أبو عليٍّ: كأنَّ اللفظ: قُدِّروا عليها، وفي المعنى قلب؛ لأنَّ حقيقته أن يقال: قُدِّرت عليهم، فهو نحو قوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] وقولِ العرب: إذا طَلَعتِ الجَوْزاء ارتقى العودُ على الحرباء[٣].

وقال الزمخشريُّ: وجه ذلك أن يكون من قَدَرْتُ الشيءَ ـ بالتخفيف ـ أي: بيَّنت مقدارَه، فنقل إلى التفعيل، فتعدَّى لاثنين: أحدهما: الضمير النائب عن الفاعل، والثاني: «ها»، والمعنى: جُعلوا قادرين لها كما شاؤوا، وأُطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا[٤].

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٠١.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٦، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٧، والكشاف ٤/ ١٩٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٧٦، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٧-٣٩٨، والكلام وما بعده منه.
(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٦/ ٣٥٣-٣٥٤.
(٤) الكشاف ٤/ ١٩٨.

وقال أبو حاتم: قُدِّرت الأواني على قَدْر رِيِّهم. ففسَّر بعضهم هذا بأنَّ في الكلام حذفاً، وهو أنَّه كان: قُدِّر على قَدْر رِيِّهم إيَّاها، فحذف «على» فصار «قَدْر» نائب الفاعل، ثم حذف فصار «ريّهم» نائب فاعل، ثم حذف وصار واو الجمع نائبَ الفاعل، واتصل المفعول الثاني بـ «قدِّر»، فصار: قُدِّروها.

وقال أبو حيان: الأقرب أن يكون الأصل: قُدِّر رِيُّهم منها تقديراً، فحذف المضاف وهو الرِّيُّ وأُقيمَ الضمير مقامه، فصار: قُدِّروا منها، ثم اتُّسِع في الفعل فحذفت «من» ووصل الفعل إلى الضمير بنفسه فصار: قُدِّروها، فلم يكن فيه إلا حذفُ مضاف واتِّساعٌ في المجرور[1].

ولا يخفى أنَّ القلبَ زَيْفٌ، وما قرَّره البعض تكلُّف جدًّا، وفي كون ما اختاره أبو حيَّان أقرب ممَّا اختاره جارُ الله، نَظَرٌ، ولعلَّه أكثرُ تكلُّفاً منه.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ يجري فيه معظم ما جرى في قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ إلخ من الأوجه.

والزنجبيل: قال الدينوري[2]: نبتٌ في أرض عُمَان، وهو عروق تسري في الأرض وليس بشجرة، ومنه ما يُحمَل من بلاد الزنج والصين، وهو الأجود، وكانت العرب تُحبُّه؛ لأنَّه يوجب لَذْعاً في اللسان إذا مُزِجَ بالشراب فيلتذُّون به، ولذا يذكرونه في وصف رُضاب النساءِ، قال الأعشى:

كــأنَّ الــقُــرُنْــفُــلَ والــزَّنْــجَــبِــيــ ــــلَ بــاتــا بِــفِــيــهــا وأَرْيــاً مَــشُــورا[3]

وقال عمرو المسيَّب بن عَلَس[4]:

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٩٨.

(٢) في كتابه النبات ص٢١٤.

(٣) الكشاف ٤/ ١٩٨، وسمط اللآلي للبكري ١/ ١٧٦، وهو في ديوان الأعشى ص١٤٣ برواية:
كـأنَّ جَـنـيّـاً مـن الـزنـجـبـيـ ــل خـالـط فـاهـا وأَرْيـاً مـشـورا
والأَرْي: عسل النحل. وشار العسل واشتاره: جَمَعه.

(٤) كذا في الأصل و(م). ونُسبَ في طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥٦ هكذا: المسيب بن عَلَس بنِ

وكـأنَّ طَـعْـمَ الـزَّنْـجـبـيـلِ بـه إذ ذُقْـتَـه وسُـلافـةَ الـخَـمْـرِ(١)

وعدَّه بعضهم في المعرَّبات. وكون الزنجبيل اسماً لعين في الجنَّة مرويٌّ عن قتادة، قال: يَشربُ منها المقرَّبون صِرْفاً، وتُمزَج لسائر أهل الجنة.

والظاهر أنَّهم تارةً يشربون مِن كأس مزاجها كافور، وتارة يسقون من كأس مزاجها زنجبيل، ولعلَّ ذكر «يُسقَوْن» هنا دون: يشربون؛ لأنَّه الأنسب بما تقدَّمه مِن قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ إلخ، ويمكن أن يكون فيه رمزٌ إلى أنَّ هذه الكأس أعلى شأناً مِن الكأس الأولى، وعن الكلبي: يُسقَى بجامين؛ الأول مزاجه الكافور، والثاني مزاجه الزنجبيل.

والسلسبيل: كالسَّلْسَل والسَّلْسَال، قال الزجَّاج(٢): ما كان مِن الشراب غايةً في السلاسة وسهولة الانحدار في الحَلْق. وقال ابن الأعرابيِّ: لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن. وكأنَّ العين إنَّما سُمِّيت بذلك لسلاستها وسهولة مساغها. قال عكرمة: عينٌ سَلْسَلٌ ماؤها. وقال مجاهد: حديدة الجَرْي(٣)، سَلِسَة، سهلة المساغ. وقال مقاتل: عين يَتسَلْسل عليهم ماؤها في مجالسهم كيف شاؤوا.

وهي على ما روي عن قتادة عينٌ تنبع من تحت العرش من جنَّة عَدن، تتسَلْسَل إلى الجِنان.

وفي «البحر»: الظاهر أنَّ هذه العين تُسمَّى «سلسبيلاً» بمعنى تُوصَف بأنَّها سلسة في الانسياغ، سهلة في المذاق، ولا يُحمَل سلسبيل على أنَّه اسمٌ حقيقة؛ لأنَّه إذ

= عمرو بن قمامة، وفي خزانة الأدب ٣/ ٢٤٠: المسيب بن عَلَس بن مالك بن عمرو بن قمامة. وقال ابن دريد في الاشتقاق ص ٣١٦: المسيب بن عَلَس، واسمه: زهير.

(١) الكشاف ٤/ ١٩٨، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ١٧٥، وسلافة الخمر: أول ما يخرج من عصرها، والشاعر يصف رُضاب محبوبته.

(٢) معاني القرآن ٥/ ٢٦١.

(٣) ذكره البخاري عن مجاهد بلفظ، حديدة الجرية، وقال الحافظ في الفتح ٦/ ٣٢١: وحديدة بفتح المهملة وبدالين مهملتين أيضاً، أي: قوية الجرية، وذكر عياض [مشارق الأنوار (حدو)] أن القابسي رواها: حريدة، براء بدل الدال الأولى وفسَّرها بـ :ليِّنة، قال (يعني عياض): والذي قاله لا يُعرف، وإنما فسروا السلسبيل بالسهولة اللينة الجرية.

ذاك كان ممنوعَ الصرف؛ للتأنيث والعلميَّة، وقد روي عن طلحة أنَّه قرأه بغير ألف[1]، جعله عَلَماً لها، فإن كان عَلَماً فوجه قراءةِ الجمهور بالتنوين المناسبة للفواصل، كما قيل في «سلاسلا» و«قواريرا»، وزعم الزمخشريُّ[2] أنَّ الباءَ زيدت فيه حتى صارت الكلمة خماسيَّة، فإن عنى أنَّها زِيدَتْ حقيقةً فليس بجيِّد؛ لأنَّ الباء ليست من حروف الزيادة المعهودة، وإن عنى أنَّها حرف جاء في سِنْخِ[3] الكلمة وليس في سَلْسَل ولا في سِلْسَال، صحَّ، ويكون مما اتفق معناه وكان مختلفاً في المادة. انتهى. وفي «الكشف»: لا يريد الزيادة المصطلحة، ألا ترى إلى قوله: حتى صارت خماسيَّة، وهو أيضاً من الاشتقاق الأكبر، فلا تغفل.

وقال بعض المُعْرِبين: «سلسبيلاً»: أَمْرٌ للنبيِّ ﷺ ولأمَّته بسؤال السبيل إليها، وعَزَوه إلى عليٍّ كرَّم الله تعالى وجهه، وهو غيرُ مستقيم بظاهره إلا أن يُراد أنَّ جملة قول القائل: «سَلْ سبيلاً» جعلت اسماً للعين، كما قيل: تأبَّط شرًّا، وذَرَّى حبًّا، وسُمِّيت بذلك لأنَّه لا يشرب منها إلا مَن سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلُّفٌ وابتداع، وعَزْوُه إلى مثل الأمير كرَّم الله تعالى وجهه أَبْدَع، ونصَّ بعضهم على أنَّه افتراءٌ عليه كرَّم الله تعالى وجهه، وفي شعر ابنِ مطران الشاشي:

سل سلسبيلاً فيها إلى راحةِ النَّفـ ... ـسِ براحٍ كأنَّها سَلْسَبيلُ[4]

وفيه الجناس الملفَّق، واستعمله غير واحد من المُحْدَثين.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: للخدمة ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: دائمون على ما هم فيه من الطراوة والبهاء، وقيل: مُقرَّطون بخَلَدَة، وهي ضَرْب من القِرَطَة.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٦، والكشاف ٤/ ١٩٨، والبحر ٨/ ٣٩٨.

(٢) الكشاف ٤/ ١٩٨.

(٣) في الأصل و(م) ومطبوع البحر المحيط ٨/ ١٦١ والكلام منه: سنح، والمثبت من الدر المصون ١٠/ ٦١٢، والسِّنْخُ: الأصل. القاموس (سنخ).

(٤) الكشاف ٤/ ١٩٩، والكلام منه، وذكره أيضاً الثعالبي في يتيمة الدهر ٤/ ١٣٤، وفي الإعجاز والإيجاز ص٢٤٤. والراح: الخمر.

وجاء في حديث أخرجه ابن مردويه عن أنس مرفوعاً أنَّهم ألف خادم[١]. وفي بعض الآثار أضعاف ذلك[٢]:

والــجــود أعــظــم والــمــواهــب أوســع[٣]

ويختلف ذلك قلَّة وكثرة باختلاف أعمال المخدومين.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ لحُسْنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم، وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم، وانعكاس أشعة بعضهم إلى بعض، وقيل: شُبِّهوا باللؤلؤ الرَّطب إذا نُثِرَ من صَدَفِه؛ لأنَّه أحسن وأكثر ماء، وعليه هو مِن تشبيه المفرد؛ لأنَّ الانبثاث غيرُ ملحوظ، والخطاب في «رأيتهم» للنبيِّ ﷺ أو لكلٍّ واقف عليه، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: هناك، يعني في الجنة، وهو في موضع النصب على الظَّرْف، و«رأيت» منزَّل منزلةَ اللازم فيفيد العموم في المقام الخطابي، فالمعنى: إنَّ بَصَرك أينما وقع في الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ عظيمَ القدر لا تُحيط به عبارةٌ، وهو يشمل المحسوس والمعقول، وقال عبد الله بنُ عمرو والكلبي: عريضاً واسعاً، يُبصِر أدناهم منزلةً في الجنة في مُلكه[٤] مسيرة ألف عام يَرى أقصاه كما يرى أدناه، وذلك لما يُعطى من حدَّة النظر، أو هو مِن خصائص الجنة.

وقال مجاهد: هو استئذان الملائكة عليهم السلام، فلا يدخلونَ عليهم إلا بإذن.

وقال الترمذي ـ وأظنُّه كما ظنَّ أبو حيان[٥]: الحكيم لا أبا عيسى المحدِّث صاحب الجامع ـ: هو مُلْكُ التكوينِ والمشيئة إذا أرادوا شيئاً كان.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٠١، وأخرجه أيضاً ابن عبد البر في الاستذكار ٢٧/ ٤٤٥.

(٢) منها حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة لمن يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم..» الحديث، وسلف ٢٥/ ٩٨.

(٣) حاشية الشهاب ٨/ ٢٩١.

(٤) في الأصل و(م): ملك، والمثبت من الكشاف ٤/ ١٩٩، وتفسير البيضاوي ٨/ ٢٩١، وتفسير أبي السعود ٩/ ٧٤، وغيرها من التفاسير، وينظر البحر ٨/ ٣٩٩.

(٥) البحر المحيط ٨/ ٣٩٩، والكلام منه.

وقيل: هو النظر إلى الله عزَّ وجلَّ. وقيل: غير ذلك، وقيل: المُلْكُ الدائم الذي لا زوالَ له.

وزعم الفرَّاء[١] أنَّ المعنى: وإذا رأيت ما ثَمَّ رأيت.. إلخ، وخرّج على أنَّه أراد أنَّ «ثمَّ» ظرف لمحذوف وقع صلةً لموصول محذوف هو مفعول «رأيت»، والتقدير: وإذا رأيتَ ما ثَمَّ رأيت نعيماً.. إلخ، فحذف «ما» كما حذف في قوله تعالى: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] أي: ما بينكم.

وتعقَّبه الزَّجَّاج[٢] ثمَّ الزمخشري[٣] بأنه خطأ؛ لأنَّه لا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة. وأنتَ تعلم أنَّ الكوفيين يُجيزون ذلك، ومنه قوله:

فَمَنْ يهجو رسولَ الله منكم ويَمْدَحه ويَنْصُره سواء[٤]

أراد: ومَن يمدحه، فحذف الموصول وأبقى صلته.

وقد يقال: إنَّ ذلك إنَّما يَرِدُ لو أراد أنَّ الموصول مقدَّر، أمَّا لو أراد المعنى وأنَّ الظرف يغني غناء المفعول به، فهو كلام صحيح؛ لأنَّ الظرف والمرئيَّ كليهما الجنَّة.

وقرأ حميد الأعرج: «ثُمَّ» بضمِّ الثاء[٥] حرف عطف، وجواب «إذا» على هذا محذوف يقدَّر بنحو: تحيَّر فِكْرك، أو بنحو: رأيتَ عاملاً في «نعيماً».

﴿عَلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ قيل: «عاليهم» ظرفٌ بمعنى فوقهم، على أنَّه خبر مقدَّم، و«ثياب» مبتدأ مؤخَّر، والجملة حال من الضمير المجرور في «عليهم»[٦]، فهي شرحٌ لحال الأبرار المطوفِ عليهم. وقال أبو حيان[٧]: إنَّ عالي

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٢١٨.
(٢) معاني القرآن ٥/ ٢٦١.
(٣) الكشاف ٤/ ١٩٩.
(٤) البيت لحسان بن ثابت، وسلف ١٣/ ٦٣.
(٥) البحر المحيط ٨/ ٣٩٩.
(٦) تحرفت في (م) إلى: عاليهم.
(٧) البحر المحيط ٨/ ٣٩٩بنحوه.

نفسه حالٌ من ذلك الضمير وهو اسم فاعل، و«ثياب» مرفوع على الفاعليَّة به، ويحتاج في إثبات كونه ظرفاً إلى أن يكون منقولاً من كلام العرب: عالِيَك ثوب، مثلاً، ومثله فيما ذكر: عالية.

وقيل: حال مِن ضمير «لقَّاهم»، أو من ضمير «جزاهم». وقيل: من الضمير المستتر في «متكئين». والكُلُّ بعيد.

وجوّز كون الحال مِن مضاف مقدَّر قبل «نعيماً»، أو قبل «ملكاً»، أي: رأيتَ أهلَ نعيم أو أهل ملك عاليهم.. إلخ، وهو تكلُّف غيرُ محتاج إليه.

وقيل: صاحب الحال الضمير المنصوب في «حسبتهم» فهي شرح لحال الطائفين، ولا يخفى بُعْدُه؛ لما فيه من لزومِ التفكيك، ضرورةَ أنَّ ضمير «سقاهم» فيما بَعْدُ كالمتعيِّن عوده على الأبرار، وكونه من التفكيك مع القرينة المعيَّنة وهو مما لا بأسَ به ممنوع. واعترض أيضاً بأنَّ مضمون الجملة يصير داخلاً تحت الحسبان، وكيف يكون ذلك وهم لابسونَ الثيابَ حقيقةً، بخلاف كونهم لؤلؤاً فإنَّه على طريق التشبيه المقتضي لقُرْب شَبَهِهم باللؤلؤ أن يحسبوا لؤلؤاً. وأجيب بأنَّ الحسبان في حال من الأحوال لا يقتضي دخول الحال تحت الحسبان.

ورفع «خضر» على أنَّه صفةٌ «ثياب»، و«إستبرق» على أنَّه عطف على «ثياب»، والمراد: وثيابُ استبرقٍ.

والسندس، قال ثعلب: ما رَقَّ من الدِّيْباج، وقيل: ما رَقَّ مِن ثياب الحرير، والفرق أنَّ الديباجَ ضَرْبٌ من الحرير المنسوج يتلوَّن ألواناً. وقال الليث: هو ضَرْبٌ مِن البُزْيُون[1] يُتَّخَذُ من المِرْعِز[2]، وهو معرَّب بلا خلاف بين أهل اللغة على ما في «القاموس»[3] وغيره. وزعم بعض أنَّه ـ مع كونه معرَّباً ـ أصله: سِنْدِي، بياء النسبة؛ لأنَّه يُجلَب من السِّنْد، فأبدلت الياء سيناً كما قال في سادي: سادس، وهو كما ترى.

---

(١) أي: السندس. القاموس (البزيون).
(٢) المِرْعز والمِرْعِزَّى: الزَّغب الذي تحت شعر العنز، ويقال: ثوب مُمَرْعز. القاموس (رعز).
(٣) مادة (السندس).

والإستبرق: قيل: ما غَلُظَ من ثياب الحرير، وقال أبو إسحاق: الديباج الصَّفِيْق الغَلِيظ الخَشِن[1]. وقال ابن دريد: ثيابُ حريرٌ نحو الديباج. وعن ابن عبادة: هو بُرْدَة حمراء. وقيل: هو المنسوج من الذهب.

وهو اسم أعجميٌّ معرَّب عند جمع، أصله بالفارسية: إِسْتَبْرَه[2]، وفي «القاموس»[3]: معرَّب اسْتَرْوَه. وحكي ذلك عن ابنِ دريد، وأنَّه قال: إنَّه سريانيّ. وقيل: معرَّب: اسْتَفْره، وما في صورة الفاء ليست فاءً خالصة وإنَّما هي بين الفاء والباء. وقيل: عربيٌّ وافقت لغةُ العربِ فيه لغةَ غيرهم، واستصوبه الأزهريُّ[4].

وكما اختلفوا فيه هل هو معرَّب أو عربيٌّ، اختلفوا هل هو نكرةٌ أو عَلَمُ جنسٍ، مبنيٌّ، أو مُعْرَب، أو ممنوعٌ من الصَّرْف، وهمزته همزة قَطْع أو وصل، والصحيح على ما قال الخفاجيُّ: إنَّه نكرةٌ مُعْرَب مصروفٌ مقطوع الهمزة، كما يشهد به القراءة المتواترة[5]. وسيُعلم إن شاء الله تعالى حالُ ما يخالفها.

وفي «جامع التعريب»[6]: إنَّ جمعَه: أَبارق، وتصغيره: أُبَيْرِق، حذفت السين والتاء في التكسير؛ لأنَّهما زيدتا معاً فأجريا مجرى الزيادة الواحدة. وفي المسألة خلاف أيضاً مذكور في محلِّه.

ولم يذكر لون هذا الإستبرق، وأشار ناصر الدين[7] إلى أنَّه الخضرة، فـ «خضر» وإن توسَّط بين المعطوف والمعطوف عليه فهو لهما.

---

(١) معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج ٥/ ٢٦٢، وتحرف في مطبوعه «الحسن» إلى: الخشن. والمثبت موافق لما نُقل عنه في تهذيب اللغة ٩/ ٤٢٢، واللسان (أسق).

(٢) الذي في معجم الألفاظ الفارسية لأدى شير ص١٠: معرَّب: إِسْتَبْر. والذي في المعجم الذهبي ص٣٣٤: سِتَبْرق، معرَّب: استبرق، وتلفظ: ستبرك وستبره.

(٣) مادة: (برق).

(٤) تهذيب اللغة ١٤/ ٢٧٠ مادة (تنر).

(٥) حاشية الشهاب ٨/ ٢٩١.

(٦) ذكر عبد اللطيف بن محمد رياضي زاده في كتابه أسماء الكتب ص١١٩ أنه لجمال الدين عبد الوهاب.

(٧) أي: البيضاوي في تفسيره ٨/ ٢٩١ بهامش حاشية الشهاب.

وعلى كلِّ حال هذه الثياب لباسٌ لهم، وربَّما تُشعِر الآية بأنَّ تحتها ثياباً أخرى، وقيل على وجه الحاليَّة من ضمير «متَّكئين»: إنَّ المراد: فوق حِجَالهم المضروبة عليهم ثياب سندس.. إلخ، وحاصله: أنَّ حِجَالهم مكلَّلة بالسندس والإستبرق.

وقرأ ابن عباس ـ بخلاف عنه ـ والأعرج وأبو جعفر وشيبة وابنُ محيصن ونافع وحمزة: «عالِيْهِم» بسكون الياء وكسر الهاء[1]، وهي رواية أبان عن عاصم، فهو مرفوع بضمَّة مقدَّرة على الياء على أنَّه مبتدأ، و«ثياب» خبره، وعند الأخفش فاعلٌ سدَّ مسدَّ الخبر. وقيل: على أنَّه خبرٌ مقدَّم، و«ثياب» مبتدأ مؤخَّر، وأخبر به عن النكرة؛ لأنَّه نكرة، وإضافته لفظيَّة وهو في معنى الجماعة، كما في ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٧] على ما صرَّح به مكيٌّ[2]، ولا حاجةَ إلى التزامه على رأي الأخفش. وقيل: هو باقٍ على النصب، والفتحة مقدَّرة على الياء، وأنتَ تعلم أنَّ مثلَه شاذٌّ أو ضرورة، فلا ينبغي أن يُخرَّج عليه القراءةُ المتواترة.

وقرأ ابن مسعود والأعمش وطلحة وزيد بنُ عليٍّ: «عالِيَتُهُم» بالياء والتاء مضمومة[3]، وعن الأعمش أيضاً وأبان عن عاصم: فتح التاء الفوقيَّة[4]، وتخريجهما كتخريج «عاليهم» بالسكون والنصب.

وقرأ ابن سيرين ومجاهد في روايةٍ وقتادة وأبو حيوة وابن أبي عبلة والزعفراني وأبان أيضاً: «عَلَيْهم» جارًّا ومجروراً[5]، فهو خبر مقدَّم و«ثياب» مبتدأ مؤخَّر.

وقرأت عائشة: «عَلَتْهُم» بتاء التأنيث فعلاً ماضياً، ف «ثياب» فاعل.

---

(١) التيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٣٩٦ عن نافع وحمزة وأبي جعفر، والكلام من البحر ٨/ ٣٩٩.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٨٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٤، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ٤٨٢، والدر المصون ١٠/ ٦١٨، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٩.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٩٩.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٤، والبحر المحيط ٨/ ٣٩٩ والكلام منه، والقراءة ذكرت في القراءات الشاذة ص١٦٦ عن مجاهد وابن سيرين بضمِّ الهاء هكذا: عليهُمْ.

وقرأ ابن أبي عبلة وأبو حيوة: «ثيابٌ سندسٌ» بتنوين «ثياب» ورفع «سندس»[١] على أنَّه وصفٌ لها، وهذا كما تقول: ثوبٌ حريرٌ، تريد مِن هذا الجنس.

وقرأ العربيَّان ونافع في رواية: «وإستبرقٍ» بالجرِّ[٢] عطفاً على «سندس».

وقرأ ابن كثير وأبو بكر بجرِّ «خضر»[٣] صفة لـ «سندس»، وهو في معنى الجمع، وقد صرَّحوا بأنَّ وصف اسم الجنس الذي يُفرَّق بينه وبين واحدِهِ بتاء التأنيث بالجمع جائز فصيح، وعليه: ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢] و﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠] وقد جاء سندسة في الواحدة، كما قاله غير واحد، وجوِّز كونه صفة لـ «ثياب»، وجرُّه للجوار، وفيه توافق القراءتين معنًى إلا أنَّه قليل.

وقرأ الأعمش وطلحة والحسن وأبو عمرو ـ بخلاف عنهما ـ وحمزة والكسائي: «خضرٍ وإستبرقٍ» بجرِّهما[٤].

وقرأ ابن محيصن: «واسْتَبْرقَ» بوصل الألف وفتح القاف[٥]، كما في عامَّة كتب القراآت، ويفهم من «الكشاف»[٦] أنَّه قرأ بالقطع والفتح، وأنَّ غيرَه قرأ بما تقدَّم، وهو خلاف المعروف، وخرَّج الفتح على المنع مِن الصَّرْف، للعلميَّة والعجمة، وغلِّط بأنَّه نكرةٌ يدخله حرف التعريف، فيقال: الإستبرق. وقيل: إنَّ ذاك كذا، والوصل مبنيٌّ على أنَّه عربيٌّ مسمًّى باستفعل من البريق، يقال: بَرِقَ واسْتَبْرَق، كعَجِبَ واستَعْجَبَ، فهو في الأصل فعلٌ ماضٍ ثم جُعِلَ عَلَماً لهذا النوع مِن الثياب، فمُنعَ من الصَّرْف للعلميَّة ووزن الفعل دون العجمة، وتعقِّب بأنَّ كونه مُعَرَّباً مما لا ينبغي أن يُنكَر. وقيل: هو مبنيٌّ منقولٌ من جملةِ فِعْلٍ وضميرٍ مستترٍ. وحالُه لا يخفى.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٩٩.
(٢) التيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٣٩٦، والبحر ٨/ ٤٠٠ والكلام منه.
(٣) التيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٣٩٦.
(٤) التيسير ص٢١٨، والنشر ٢/ ٣٩٦.
(٥) القراءات الشاذة ص ١٦٦، والمحتسب ٢/ ٣٤٤، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٠.
(٦) ٤/ ١٩٩.

واختار أبو حيَّان[1] أنَّ «اسْتَبْرقَ» على قراءة ابنِ محيصن فعلٌ ماضٍ من البريق، كما سمعت، وأنَّه باقٍ على ذلك لم يُنقَل ولم يُجعَل عَلَماً للنوع المعروف مِن الثياب، وفيه ضمير عائد على السندس أو على الأخضر الدالِّ عليه «خضر»، كأنَّه لمَّا وصف بالخضرة وهي مما يكون فيها لشدَّتها دَهْمة وغَبَش، أخبر أنَّ في ذلك اللون بريقاً وحُسْناً يُزيل غَبَشَه، فقيل: واسْتَبرقَ، أي: برق ولمع لمعاناً شديداً، ثم قال معرِّضاً بمَن غلَّطه كأبي حاتم والزمخشري: وهذا التخريجُ أولى من تَلْحين قارئٍ جليلٍ مشهور بمعرفة العربية، وتوهيمِ ضابطٍ ثقة قد أَخَذَ عن أكابر العلماء. انتهى. وقيل: الجملة عليه معترضة أو حال بتقدير «قد» أو بدونه.

﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ﴾ جمع: سِوار، وهو معروف، وذكر الراغب أنَّه معرَّب: دستواره[2] ﴿مِن فِضَّةٖ﴾ هي فضة لائقة بتلك الدار. والظاهر أنَّ هذا عطف على «يطوف عليهم»، واختلافهما بالمضي والمضارعة لأنَّ الحِلْية[3] مقدَّمة على الطواف المتجدِّد. ولا ينافي ما هنا قوله تعالى: ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ﴾ [الكهف: ٣١] لإمكان الجمع بتعدُّد الأساور لكلٍّ، والمعاقبةِ بلبس الذهب تارةً والفضة أخرى، والتبعيضِ بأن يكون أساور بعضٍ ذهباً وبعضٍ فضَّة؛ لاختلاف الأعمال.

وقيل: هو حال من ضمير «عاليهم» بإضمار «قد» أو بدونه، فإن كان الضمير للطائفين على أن يكون «عاليهم» حالاً من ضمير «حسبتهم» جاز أن يقال: الفضة للخَدَم والذهب للمخدومين.

وجوّز أن يكون المراد بالأساور الأنوار الفائضة على أهل الجنة، المتفاوتةَ ـ لتفاوت الأعمال ـ تفاوت الذهب والفضة، والتعبير عنها بأساور الأيدي لأنَّه جزاء ما عملته أيديهم، ولا يخفى أنَّ هذا ممَّا لا يليقُ بالتفسير، وحَرِي أن يكون من باب الإشارة.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٤٠٠.
(٢) المفردات (سور).
(٣) في (م): الحالية، والمثبت موافق لما في حاشية الشهاب ٨/ ٩١، والكلام منه.

ثم إنَّ التحلية إن كانت للوِلْدان فلا كلامَ، ويكونون على القول الثاني في «مخلَّدون» مسوَّرين مُقرَّطين، وهو مِن الحُسْن بمكان، وإن كانت لأهل الجنة المخدومين، فقد استشكل بأنَّها لا تَليق بالرجال، وإنَّما تَليقُ بالنساء والوِلْدان، وأجيب بأنَّ ذلك ممَّا يختلف باختلاف العادات والطبائع، ونشأة الآخرة غير هذه النشأة، ومن المشاهد في الدنيا أنَّ بعض ملوكها يتحلَّون بأعضادهم وعلى تِيْجانهم وعلى صدورهم ببعضِ أنواع الحَلْي ممَّا هو عند بعض الطباع أَولى بالنساء والصبيان، ولا يَرَوْن ذلك بدعاً ولا نَقْصاً، كلُّ ذلك لمكان الأُلْف والعادة، فلا يبعد أن يكون مِن طباع أهل الجنة في الجنة الميلُ إلى الحَلْي مطلقاً لا سيَّما وهم جُرْد مُرْد أبناء ثلاثين، وقيل: إنَّ الأساور إنَّما تكون لنساء أهل الجنة والصبيان فقط، لكن غُلِّب في اللفظ جانبُ التذكير، وهو خلاف الظاهر، كما لايخفى.

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ هو نوع آخر يَفوقُ النوعين السابقين، وهما ما مُزِجَ بالكافور وما مُزِجَ بالزنجبيل، كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى ربِّ العالمين، ووصفه بالطهورية، قال أبو قلابة: يُؤتَون بالطعام والشراب، فإذا كان آخر ذلك أُتُوا بالشراب الطهور، فيُطهِّر بذلك قلوبَهم وبطونهم ويفيض عَرَقاً مِن جلودهم مثل ريح المسك. وعن مقاتل: هو ماءُ عين على باب الجنة مِن ساق شجرة، مَن شَرِبَ منه نَزَعَ اللهُ تعالى ما كان في قلبه مِن غِشٍّ وغِلٍّ وحسد، وما كان في جوفه مِن قَذَر وأذى. أي: إن كان. فالطهور عليهما بمعنى المطهِّر، وقد تقدَّم في ذلك كلامٌ، فتذكَّر.

وقال غير واحد: أُريدَ أنَّه في غاية الطهارة؛ لأنَّه ليس برجسٍ كخمر الدنيا التي هي في الشرع رِجْسٌ؛ لأنَّ الدارَ ليست دارَ تكليف، أو لأنَّه لم يُعصَر فتمسّه الأيدي الوَضِرة وتَدوسه الأقدام الدنسة، ولم يُجعَل في الدنان والأباريق التي لم يُعْنَ بتنظيفها، أو لأنَّه لا يؤول إلى النجاسة؛ لأنَّه يَرشَح عَرَقاً مِن أبدانهم له ريح كريح المسك.

وقيل: أُريدَ بذاك الشراب الروحانيُّ لا المحسوس، وهو عبارة عن التجلِّي الرباني الذي يُسكِرُهم عمَّا سواه:

صفاءٌ ولا ماءٌ ولُطْفٌ ولا هوًى ونُورٌ ولا نارٌ وروحٌ ولا جِسْمُ[(١)]

ولعلَّ كلّ ما ذكره ابنُ الفارض في خمريَّته التي لم يُفرَغ مِثْلها في كأسٍ إشارةٌ إلى هذا الشراب، وإيَّاه عنى بقوله:

سَقَوْني وقالوا لا تُغَنِّ ولو سَقَوْا جبالَ حنينٍ ما سَقَوني لَغَنَّتِ[(٢)]

ويُحكى أنَّه سئل أبو يزيد عن هذه الآية، فقال: سقاهم شراباً طهَّرهم به عن محبَّة غيرِه، ثم قال: إنَّ تعالى شراباً ادَّخره لأفاضل عباده يتولَّى سقيهم إيَّاه، فإذا شربوا طاشوا، وإذا طاشوا طاروا، وإذا طاروا وصلوا، وإذا وصلوا اتَّصلوا، فهم في ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

وحمل بعضهم جميع الأشربة على غير المتبادر منها، فقال: إنَّ الأنوار الفائضة مِن جواهر أكابر الملائكة وعظمائِهم عليهم السلام على هذه الأرواح، مشبَّهة بالماء العذب الذي يزيل العطش ويقوِّي البَدَن، وكما أنَّ العيونَ متفاوتة في الصفاء والكثرة والقوَّة، فكذا ينابيع الأنوار العلويَّة مختلفة، فبعضها كافوريَّة على طبع البَرْد واليُبْس ويكون صاحب ذلك في الدنيا في مقام الحزن والبكاء والانقباض، وبعضها يكون زَنْجَبِيليًّا على طبع الحَرِّ واليبس ويكون صاحبه قليل الالتفات إلى السوى، قليل المبالاة بالأجسام والجسمانيات، ثم لا يزال الروح البشري منتقلاً مِن ينبوعٍ إلى ينبوع ومن نور إلى نور، ولا شَكَّ أنَّ الأسباب والمسبَّبات متناهية في ارتقائها إلى واجب الوجود الذي هو النور المُطلَق جلَّ جلاله، فإذا وصل إلى ذلك المقام وشرب ذلك الشراب انهضمت تلك الأشربةُ المتقدِّمة، بل فنيت؛ لأنَّ نورَ ما سوى اللهِ تعالى يَضمحلُّ في مقابلة نورِ جلال الله سبحانه وكبريائه، وذلك آخِر سَيْرِ الصِّدِّيقين ومنتهى درجاتهم في الارتقاء والكمال، ولهذا ختم الله تعالى ذِكْر ثواب الأبرار بقوله جلَّ وعلا: «وسقاهم ربُّهم شراباً طهوراً».

---

(١) البيت لابن الفارض، وهو في ديوانه ص١٤٢، وسلف ١/ ٣٢٧.

(٢) حاشية الشهاب ٨/ ٢٩٢، وفيه: لا تَغيبن، بدل: لا تغنِّ، و: لغابت، بدل: لغنَّت. وهو برواية المصنف في الكشكول ١/ ٧٧، ونسبه للحلاج. ونُسب لشيخ سكِّير ضمن قصة أخرجها ابن عساكر ٦٨/ ١٨٩ عن عمر بن عبد العزيز.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكر مِن فنون الكرامات الجليلة الشأن ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ بمقابلة أعمالكم الصالحة التي اقتضاها حُسْنُ استعدادكم واختياركم، والظاهر أنَّ المَجِيْءَ بالفعل للتحقيق والدوام، وجوّز أن يكون المراد: كان في علمي وحكمي، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ أي: مرضيًّا مقبولاً، أو: مجازًى عليه غير مضيَّع.

والكلام على ما روي عن ابن عباس على إضمار القول، أي: ويقال لهم بعد دخولهم الجنَّةَ ومشاهدتهم ما أعدَّ لهم: إنَّ هذا.. إلخ، والغَرَض أن يَزْداد سرورُهم، فإنَّه يقال للمعاقب: هذا بعملك الرَّدِيء، فيزداد غمُّه، وللمثاب: هذا بطاعتك وعَمَلك الحَسَن، فيزداد سروره، ويكون ذلك تهنئةً له.

وجوّز أن يكون خطاباً من الله تعالى في الدنيا، كأنَّه سبحانه بعد أن شرح ثواب أهل الجنة، قال: إنَّ هذا كان في عِلْمي وحكمي جزاءً لكم يا معشر عبادي، وكان سعيكم مشكوراً. قيل: وهو لا يُغني عن الإضمار ليرتبطَ بما قبله.

وقد ذكر سبحانه مِن الجزاء ما تهشُّ له الألباب، وأعقبه جلَّ وعلا بما يدلُّ على الرضا الذي هو أعلى وأغلى لدى الأحباب:

إذا كنتَ عنِّي يا مُنَى القلبِ راضياً ... أرى كلَّ مَن في الكون لي يَتَبَسَّمُ[1]

وروي مِن طرق أنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه السورةَ وقد أُنزلت عليه وعنده رجلٌ مِن الحبشة أسودُ، فلمَّا بلغ صفةَ الجنان زَفَرَ زفرةً خرجت نَفْسُه، فقال رسول الله ﷺ: «أَخرجَ نَفْسَ صاحبكم الشوقُ إلى الجنَّة»[2].

ولمَّا ذكر سبحانه أوّلاً حالَ الإنسان وقَسَمه إلى الطائع والعاصي، وأمعن جلَّ شأنه فيما أعدَّه للطائع مشيراً إلى عِظَمِ سعة الرحمة، ذَكَرَ ما شرف به نبيّه ﷺ إزالةً

---

(١) البيت سلف ١٠/ ٤٣٠.

(٢) أخرجه عبد الله بن وهب من طريق ابن زيد عن النبي ﷺ، كما ذكر ابن كثير في أول السورة، ثم قال عقبه: مرسل غريب. وجاء في هامش الأصل: يتخايل من هذا أن السورة مدنيَّة، فلا تغفل. انتهى منه.

لوحشته وتقويةً لقلبه، فقال عزَّ قائلاً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ أي: أنزلناه مفرَّقاً منجَّماً في نحو ثلاث وعشرين سنة لِحكَم بالغة مقتضية له، لا غَيْرُنا كما يُعرِب عنه تكرير الضمير مع «إنَّ»، سواء كان المنفصل تأكيداً أو فصلاً أو مبتدأ.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بتأخير نَصْرك على الكفار، فإنَّ له عاقبة حميدة ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ قلَّةَ صبرٍ منك على أذاهم وضَجَراً من تأخُّر نصرك ﴿مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ قيل: إنَّ «أو» لأحد الشيئين في جميع مواقعها، ويَعرِض لها معانٍ أُخَر كالشَّكِّ والإباحة وغيرهما، فيكون أصل المعنى هنا: ولا تُطِع منهم أحدَ النوعين، ولمَّا كان: أحد، الأغلبُ عليه في غير الإثبات العمومُ، واحتمالُ غيره احتمالٌ مرجوح، صار المعنى على النهي عن إطاعة هذا وهذا، ولم يُؤْتَ بالواو؛ لاحتمال الكلام عليه النهيَ عن المجموعِ، ويحصل امتثاله بالانتهاء عن واحدٍ دون الآخَر، فلا يَرِدُ أن لا تطع[1] أحدَ النوعين، يحصل الامتثال به بتَرْك إطاعة واحدٍ مع إطاعة الآخَر، إذ يقال لمن فَعَلَ ذلك: إنَّه لم يُطِعْ أحدهما، ومن هنا قيل: إنَّ «أو» في الإثبات تفيد أحدَ الأمرين، وفي النفي تفيد نفيَ كلا الأمرين جميعاً، ولعلَّ ما ذكر في معنى كلام ابنِ الحاجب حيث قال: إن وضع «أو» لإثبات الحكم لأحد الأمرين إلا أنَّه إن حصلت قرينة يُفهَم معها أنَّ أحدَ الأمرين غيرُ حاجر عن الآخَر، مثل قولك: جَالِسِ الحسنَ أو ابنَ سيرين، سُمِّي إباحة، وإن حُجِرَ فهو لأحد الأمرين.

واستشكل بعضهم وقوعَها في النهي ك: «لا تطع منهم آثماً أو كفوراً»، إذ لو انتهى عن أحدِهما لم يمتثل، ومن ثَمَّ حَمَلها بعضهم - يعني أبا عبيدة - على أنَّها بمعنى الواو[2]، والأولى أن تبقى على بابها، وإنَّما جاء التعميم فيها مِن وراء ذلك، وهو النهي الذي فيه معنى النفي؛ لأنَّ المعنى قبل وجود النهي: تطيع آثماً أو كفوراً، أي: واحداً منهما، فإذا جاء النهي ورد على ما كان ثابتاً في المعنى، فيصير المعنى: ولا تطع واحداً منهما، فيجيء التعميمُ فيهما من جهة النهي، وهي

(١) في (م): تطلع.
(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٨٠.

على بابها فيما ذكر؛ لأنَّه لا يَحصُل الانتهاء عن أحدِهما حتى ينتهي عنهما، بخلاف الإثبات فإنَّه قد يفعلُ أحدهما دون الآخر. انتهى. وعليه ما قيل: إنَّ إفادة العموم في النفي والنهي الذي في معناه لِمَا أنَّ نقيضَ الإيجاب الجزئي السَّلبُ الكليُّ، وقريب مِن ذلك قول الزجَّاج[1]: إنَّ «أو» هاهنا أوكد من الواو؛ لأنَّك إذا قلتَ: لا تطع زيداً وعَمْراً، فأطاع أحدَهما، كان غيرَ عاصٍ، فإذا أبدلتها بـ «أو» فقد دَلَلت على أنَّ كلَّ واحد منهما أهلٌ لأن يُعصى، ويعلم منه النهي عن إطاعتهما معاً كما لا يخفى، وأفاد جار الله[2] أنَّ «أو» باقية على حقيقتها، وأنَّ النهي عن إطاعتهما جميعاً إنَّما جاء من دلالة النَّصِّ، وهي المسمَّى مفهوم الموافقة بقسمَيْه الأولى والمساوي، فتأمَّل.

والمراد بالآثم والكفور جنسهما، وتعليقُ النهي بذلك مُشعِر بعليَّة الوصفَيْن له، فلا بُدَّ أن يكون النهي عن الإطاعة في الإثم والكفر لا فيما ليس بإثم ولا كفر، والمراد: ولا تُطِع مُرتكبَ الإثم الداعي لك إليه، أو مرتكبَ الكفر الداعي إليه، أي: لا تتبع أحداً مِن الآثِم إذا دعاك إلى الإثم، ومن الكفور إذا دعاك إلى الكفر، فإنَّه إذا قيل: لا تُطِع الظالم، فُهِمَ منه: لا تتبعه في الظلم إذا دعاكَ إليه، ومَنْعُ هذا الفهم مكابَرةٌ، فلا يتمُّ الاستدلال بالآية على عدم جواز الاقتداء بالفاسق إذا صلَّى إماماً، ثم إنَّ التقسيمَ باعتبار ما يَدْعُوانِ إليه مِن الكفر والإثم المقابل له، لا باعتبار الذوات حتى يكون بعضهم آثماً وبعضهم كفوراً، فيقال: كيف ذلك وكلُّهم كَفَرة؟!

والمبالغة في كفور قيل: لموافقة الواقع، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠] واعتبار رجوعها إلى النهي كاعتبار رجوعها إلى النفي على ما قيل في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] كما ترى.

وقيل: الآثِم: المنافق، والكفور: المُشرِك المجاهر. وقيل: الآثم: عتبة بنُ ربيعة، والكفور: الوليد بنُ المغيرة؛ لأنَّ عتبة كان ركاباً للمآثم متعاطياً لأنواع

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٣.
(٢) الكشاف ٤/ ٢٠٠.

الفسوق، وكان الوليد غالياً في الكفر شديدَ الشكيمة في العُتُوِّ. وعن مقاتل: أنَّهما قالا له ﷺ: ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيكَ بالمال والتزويج، فنزلت. وقيل: الكفور: أبو جهل، والآية نزلت فيه. والأَولى ما تقدَّم، وفي النهي مع العصمة إرشاد لغير المعصوم إلى التضرُّع إلى الله تعالى والرغبة إليه سبحانه في الحفظ عن الوقوع فيما لا ينبغي.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٢٥﴾ ودَاوِمْ على ذِكْره سبحانه في جميع الأوقات، أو دُمْ على صلاة الفجر والظهر والعصر، فإنَّ الأصيل قد يُطلَق على ما بعدَ الزوال إلى المغرب فينتظمهما.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: بعضه ﴿فَاسْجُدْ﴾ فَصَلِّ ﴿لَهُ﴾ عزَّ وجلَّ، على أن السجودَ مجازٌ عن الصلاة بذِكْر الجزءِ وإرادةِ الكُلِّ، وحُمِلَ ذلك على صلاة المغرب والعشاء، وتقديمُ الظَّرْف للاعتناء والاهتمام؛ لما في صلاة الليلِ مِن مزيد كُلْفة وخلوص.

﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۝٢٦﴾ وتهجَّد له تعالى قِطعاً من الليل طويلاً، فهو أمر بالتهجُّد على ما اختاره بعضهم، وتنوين «ليلاً» للتبعيض، وأصلُ التسبيحِ التنزيهُ، ويُطلَق على مُطلَق العبادة القوليَّة والفعليَّة، وعن ابن زيد وغيره أنَّ ذلك كان فَرْضاً ونُسِخَ، فلا فرض اليوم إلا الخَمْس. وقال قوم: هو مُحكَم في شأنه عليه الصلاة والسلام. وقال آخرون: هو كذلك مطلقاً على وجه الندب. وفي تأخير الظرف قيل: دلالةٌ على أنَّه ليس بفَرْض كالذي قبله، وكذا في التعبير عنه بالتسبيح، وفيه نظر!.

وقال الطيبيُّ: الأقرب مِن حيث النظم أنَّه تعالى لمَّا نهى حبيبَه ﷺ عن إطاعة الآثِم والكفورِ وحثَّه على الصبر على أذاهم وإفراطهم في العداوة، وأراد سبحانه أن يُرشِدَه إلى متاركتهم، عقَّب ذلك بالأمر باستغراقِ أوقاته بالعبادة ليلاً ونهاراً بالصلوات كلِّها مِن غير اختصاص، وبالتسبيح بما يُطيق على منوال قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٨] انتهى. وهو حَسَن.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الكفرة ﴿يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾ وينهمكونَ في لذَّاتها الفانية ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ﴾ أي: أمامهم ﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾﴾ هو يوم القيامة، وكونه أمامهم ظاهرٌ، أو: يذرون وراءَ ظهورِهم يوماً ثقيلاً لا يَعْبَؤون به، فالظرف قيل: على الأول حالٌ من «يوماً»، وعلى هذا ظرف «يذرون»، ولو جُعلَ على وتيرة واحدة في التعلُّق صحَّ أيضاً.

ووصفُ اليوم بالثقيل؛ لتشبيه شدَّته وهَوْله بثِقَل شيء فادح[1] باهظ لحاملِه بطريق الاستعارة. والجملة كالتعليل لما أمرَ به ونهى عنه، كأنَّه قيل: لا تُطِعْهم واشتغل بالأهمِّ من العبادة؛ لأنَّ هؤلاء تركوا الآخرةَ للدنيا، فاترُك أنتَ الدنيا وأهلها للآخرة، وقيل: إنَّ هذا يفيد ترهيبَ محبِّ العاجل وترغيبَ محبِّ الآجل، والأوَّل علَّة للنهي عن إطاعة الآثِم والكفور، والثاني علَّة للأمر بالعبادة.

﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ﴾ لا غيرنا ﴿وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ﴾ أي: أَحْكَمْنا رَبْط مفاصلهم بالأعصاب والعُرُوق. والأسر في الأصل: الشَّدُّ والرَّبْط، وأطلق على ما يُشَدُّ به ويُربَط كما هنا، وإرادة الأعصاب والعُرُوق لشَبَهها بالحبال المربوط بها، ووجه الشَّبَه ظاهر، ومِن هنا قد يقول العارف: مَن كان أَسْرُه مِن ذاته وسجنه دنياه في حياته، فَلْيَبكِ[2] مدَّة عُمُره وليتأسَّف على وجوده بأسره. والمراد شدَّة الخَلْق وكونه مُوثقاً حَسَناً، ومنه: فرس مأسور الخَلْق: إذا كان موثَّقه حَسَنه.

وعن مجاهد: الأسْرُ: الشَّرْج. وفسّر بمجرى الفضلة، وشدُّ ذلك جَعْلُه بحيث إذا خرج الأذى انقبضَ، ولا يخفى أنَّ هذا داخل في شدَّة الخَلْق، وكونه موثقاً حَسَناً.

﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ أي: أهلكناهم وبدَّلنا أمثالهم في شدَّة الخَلْق ﴿تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ بديعاً لا ريبَ فيه، يعني البعثَ والنشأة الأخرى، فالتبديل في الصفات؛ لأنَّ المعادَ هو المبتدأ، ولكون الأمر محقَّقاً كائناً جِيْءَ بـ «إذا»، وذِكْر المشيئة لإبهام وقته، ومثلُه شائع، كما يقول العظيمُ لمن يسأله الإنعام: إذا شئت أُحسنُ إليكَ.

---

(١) في (م): قادح.
(٢) في الأصل و(م): فليشك. والمثبت من حاشية الشهاب ٨/ ٢٩٤، والكلام منه.

ويجوز أن يكون المعنى: وإذا شئنا أهلكناهم وبدَّلنا غيرهم ممَّن يُطيع، فالتبديل في الذوات، و«إذا» لتحقُّق قدرتُه تعالى عليه وتحقُّق ما يقتضيه مِن كفرهم المقتضي لاستئصالهم، فجعل ذلك المقدور المهدّد به كالمحقّق، وعبّر عنه بما يُعبَّر به عنه. ولعلَّه الذي أراده الزمخشريُّ[1] بما نُقلَ عنه مِن قوله: إنَّما جاز ذلك؛ لأنَّه وعيدٌ جِيْءَ به على سبيل المبالغة، كأنَّ له وقتاً معيّناً، ولا يعترض عليه بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] لأنَّ النكات لا يلزم اطِّرادها، فافهم، والوجه الأوَّل أوفقُ بسياق النظم الجليل.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ إشارة إلى السورة أو الآيات القرآنية ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ أي: فمَن شاء أن يتَّخذ إليه تعالى سبيلاً ـ أي: وسيلةً تُوصِله إلى ثوابِه ـ اتّخذَه، أي: تقرَّب إليه بالطاعة، فهي تُوْصِلُ إيصالَ[2] السبيلِ للمقاصد.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ أي: شيئاً، أو اتِّخاذ السبيل ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا وقت مشيئةِ الله تعالى لمشيئتكم. وقال الزمخشريُّ: أي: وما تشاؤون الطاعةَ إلا أن يشاء الله تعالى قَسْركم عليها[3]. وهو تحريفٌ للآية بلا دليل، ويلزمه على ما في «الانتصاف»[4] أنَّ مشيئةَ العبدِ لا توجد إلا إذا انتفت، وهو عن مذهب الاعتزال بمعزلٍ، وأبعد مَنْزِل. والظاهر ما قرَّرنا؛ لأنَّ المفعول المحذوف هو المذكور أوّلاً كما تقول: لو شئت لقتلتُ زيداً، أي: لو شئتَ القتلَ لا لو شئت زيداً، ولا يمكن للمعتزلة أن ينازعوا أهلَّ الحقِّ في ذلك؛ لأنَّ المشيئةَ ليست من الأفعال الاختياريَّة، وإلا لتَسَلْسلَت، بل الفعل المقرون بها منها، فدعوى استقلالِ العبد مكابرة، وكذلك دعوى الجَبْر المُطلَق مهاترة، والأمر بين الأمرين لإثبات المشيئتين، وحاصله على ما حقَّقه الكورانيُّ: أنَّ العبدَ مختارٌ في أفعاله، وغيرُ مختار في اختياره، والثواب والعقاب لحُسْنِ استعداد النفس الأمري وسوئه، فكلٌّ يعمل على شاكلته، وسبحان مَن أعطى كلَّ شيء خَلْقه ثم هدى.

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٠١، والكلام من حاشية الشهاب ٨/ ٢٩٤.

(٢) في (م): أيضاً.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٠١.

(٤) ٤/ ٢٠١.

وفي «التفسير الكبير»[(١)]: هذه الآية مِن الآيات التي تلاطمت فيها أمواج القَدَر والجَبْر، فالقدريُّ يتمسَّك بالجملة الأولى، ويقول: إنَّ مفادها كون مشيئة العبدِ مستلزمة للفعل، وهو مذهبي، والجبريُّ يتمسَّك بضمِّ الجملة الثانية، ويقول: إنَّ مفادها أنَّ مشيئةَ الله تعالى مستلزمةٌ لمشيئة العبد، فيتحصَّل من الجملتين أنَّ مشيئةَ الله تعالى مستلزمة لمشيئة العبد، وأنَّ مشيئةَ العبد مستلزمةٌ لفعل العبد، كما تُؤذِن به الشرطيَّة، فإذن مشيئةُ الله تعالى مستلزمةٌ لفعل العبد؛ لأنَّ مُستلزَمَ المستلزمِ مُستلزم، وذلك هو الجبر وهو صريح مذهبي.

وتعقّب بأنَّ هذا ليس بالجبر المحضِ المسلوب معه الاختيار بالكليَّة، بل يرجع أيضاً إلى أمر بين أمرين.

وقدَّر بعضُ الأجلَّة مفعولَ «يشاء» الاتخاذ والتحصيل ردًّا للكلام على الصدر، فقال: إنَّ قوله سبحانه: «وما تشاؤون» إلخ تحقيقٌ للحقِّ ببيانِ أنَّ مجرَّدَ مشيئتهم غيرُ كافية في اتخاذ السبيل، كما هو المفهوم مِن ظاهر الشرطيَّة، أي: وما تشاؤون اتِّخاذ السبيل ولا تقدرونَ على تحصيله في وقت مِن الأوقات إلا وقت مشيئته تعالى اتِّخاذَه وتحصيله لكم، إذ لا دخلَ لمشيئة العبد إلا في الكسب، وإنَّما التأثير والخَلْق لمشيئة الله عزَّ وجلَّ.

وفيه نوعُ مخالفةٍ للظاهر كما لا يخفى، نعم قيل: إنَّ ظاهر الشرطيَّة أنَّ مشيئةَ العبد مطلقاً مستلزمةٌ للفعل، فيلزم أنَّه متى شاء فعلاً فَعَلَه مع أنَّ الواقعَ خلافه فلا بُدَّ مما قاله هذا البعض، وجعل الجملة الثانية تحقيقاً للحقِّ؟ وأجيب بأنَّها للتحقيق على وجه آخَر، وذلك أنَّ الأولى أفهمت الاستلزام، والثانية بيَّنت أنَّ هذه المشيئةَ المستلزمة لا تتحقَّق إلا وقت مشيئةِ الله تعالى إيَّاها، فكأنَّه قيل: وما تشاؤون مشيئةً تستلزم الفعل إلا وقت أن يشاء اللهُ تعالى مشيئتكم تلك، فتأمَّل.

وأنتَ تَعلمُ أنَّ هذه المسألة من محار الأفهام، ومزالُّ أقدام أقوام بعد أقوام، وأقوى شُبَه الجبريَّة أنَّه قد تقرَّر أنَّ الشيءَ ما لم يَجِبْ لم يوجد، فإن وجب صدور

(١) ٣٠/ ٢٦٢.

الفعل فلا اختيارَ، وإلا فلا صدورَ، وبعبارة أخرى أنَّ جميع ما يتوقَّف عليه الفعلُ إذا تحقَّق، فإما أن يَلزم الفعل فيلزم الاضطرار، أو لا، فيلزم جواز تخلُّف المعلول عن علَّته التامَّة، بل مع الصدور الترجُّح بلا مرجِّح، فقد قيل: إنَّها نحو شبهة ابنِ كمونة في التوحيد يصعب التفصِّي عنها، وللفقير العاجز - جَبَرَ الله تعالى فَقْره ويسَّر أَمْرَه - عزمٌ على تأليف رسالة إن شاء الله تعالى في ذلك سالكاً فيها بتوفيقه سبحانه أحسنَ المسالك، وإن كان الكورانيُّ قدِّس سرُّه لم يَدَعْ فيها مقالاً، وأوشكَ أن يَدَعَ كلَّ مَن جاء بعدُ فيها بشيءٍ عليه عيالاً، والله تعالى الموفِّق.

وقرأ العربيَّان وابنُ كثير: «وما يشاؤون» بياء الغيبة[1]، وقرأ ابنُ مسعود: «إلا ما يشاء الله»[2]، و«ما» فيه مصدريَّة كـ «أنْ» في قراءة الجماعة، وقد أشرنا إلى أنَّ المصدرَ في محلِّ نصب على الظرفيَّة بتقدير المضاف السادِّ هو مسدَّه، وهو ما اختاره غيرُ واحد، وتعقَّبه أبو حيَّان بأنَّهم نصُّوا على أنَّه لا يقوم مقامَ الظَّرْف إلا المصدر المصرَّح، فلا يجوز: أَجِيئُكَ أن يصيحَ الديكُ، أو: ما يصيح الديكُ، وإنَّما يجوز: أجيئكَ صياحَ الديك[3]. وكأنَّه لهذا قيل: إنَّ «أنْ يشاء» بتقدير حرف الجرِّ، والاستثناء من أعمِّ الأسباب، أي: وما تشاؤون بسببٍ من الأسباب إلا بأن يشاءَ اللهُ تعالى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ مبالغاً في العِلْم، فيَعلم مشيئاتِ العباد المتعلِّقة بالأفعال التي سألوها بألسنة استعداداتهم ﴿حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ مبالغاً في الحكمة، فيُفيض على كلٍّ ما هو الأوفق باستعدادِه، وما هو عليه في نفس الأمر من المشيئة، أو أنَّه تعالى مبالغ في العِلْم والحكمة فيعلمُ ما يستأهله كلُّ أحدٍ من الطاعة وخلافها، فلا يشاء لهم إلا ما يستدعيه عِلْمه سبحانه وتقتضيه حكمته عزَّ وجلَّ.

وقيل: «عليماً» أي: يعلم ما يتعلَّق به مشيئة العباد مِن الأعمال، «حكيماً» لا يشاء إلا على وفق حكمته، وهو أن يشاء العبد فيشاء الرَّبُّ سبحانه وتعالى،

(١) التيسير ص٢١٨، والنشر ٢/٣٩٦، والبحر المحيط ٨/٤٠١.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٦، والبحر المحيط ٨/٤٠١.

(٣) البحر ٨/٤٠٢.

لا العكس؛ ليتأتّى التكليفُ مِن غير انفرادٍ لأحد المشيئتين عن الأخرى. وفيه بحث.

وقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ إلخ، بيانٌ لما تضمَّنته الجملة قَبْلُ، أي: يُدخِل سبحانه في رحمته مَن يشاء أن يُدخِله فيها، وهو الذي عَلِمَ فيه الخيرَ حيث يوفِّقه لما يؤدي إلى دخول الجنة من الإيمان والطاعة.

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لأنفسهم، وهم الذين عَلِمَ فيهم الشَّرَّ ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ متناهياً في الإيلام، ونصب «الظالمين» بإضمار فِعْلٍ يفسِّره «أعدَّ» إلخ، وقُدِّر: يُعذِّب، وقد يُقدَّر: أَوْعَدَ، أو: كافأَ، أو شبه ذلك، ولم يُقدّر «أعدّ» لأنَّه لا يتعدَّى [بنفسه بل][1] باللام.

وقرأ ابن الزبير وأبان بن عثمان وابن أبي عبلة: «والظالمون»[2] على الابتداء، وقراءة الجمهور أحسن ـ وإن أوجبت تقديراً ـ للطباق فيها، وذهابِه في هذه؛ إذ الجملة عليها اسميَّة، والأولى فعليَّة، ولا يقال: زيادة التأكيد في طرف الوعيد مطلوبةٌ؛ لأنَّا نقول: الأمر بالعكس لو حقِّق، لسبق الرحمة الغضب.

وقرأ عبد الله: «وللظالمين» بلام الجرّ[3]، فقيل: متعلّق بما بعدُ على سبيل التوكيد، وقيل: هو بتقدير: أعدَّ للظالمينَ أعدَّ لهم، والجمهور على الأوَّل.

ثمَّ إنَّ هذه السورة وإن تضمَّنت مِن سَعَة رحمة الله عزَّ وجلَّ ما تضمَّنت إلا أنَّها أشارت مِن عظيم جلاله سبحانه وتعالى إلى ما أشارت، أخرج أحمد والترمذي ـ وحسَّنه ـ وابنُ ماجه والضياء في «المختارة»، والحاكم وصححه، وغيرهم: عن أبي ذَرٍّ قال: قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ حتى ختمها، ثم قال: «إني أرى ما لا تَرونَ وأسمع ما لا تسمعونَ، أَطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابع إلا وملك واضعٌ جبهته ساجداً تعالى، واللهِ لو

(١) ما بين حاصرتين من حاشية الشهاب ٨/ ٢٩٤، والكلام منه.
(٢) القراءات الشاذة ص١٦٦، والبحر المحيط ٨/ ٤٠٢.
(٣) القراءات الشاذة ص١٦٦ (وتحرف في مطبوعه إلى: والظالمين)، والبحر المحيط ٤/ ٤٠٢.

تعلمونَ ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذَّذتم بالنساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تَجْأَرون إلى الله عزَّ وجلَّ»[1]. وهذا كالظاهر فيما قلنا، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الأبرار والمقرَّبين الأخيار فيرزقنا جنَّة وحريراً، ويجعل سعينا لديه مشكوراً بحرمة النبيِّ ﷺ وأهل بيته المُطَهَّرين مِن الرجس تطهيراً.

(١) أحمد (٢١٥١٦)، والترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠).

(سورة الإنسان)

(مكيّة، وهي إحدى وثلاثون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾

﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ قد مضىٰ ﴿عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ آدم عليه السلام ﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أربعون سنة مصورًا قبل نفخ الروح فيه ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ لم يذكر اسمه ولم يدرِ ما يراد به لأنه كان طينًا يمرّ به الزمان ولو غير موجود لم يوصف بأنه قد أتىٰ عليه حين من الدهر. ومحل ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ النصب على الحال من الإنسان أي أتىٰ عليه حين من الدهر غير مذكور ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي ولد آدم، وقيل الأول ولد آدم أيضًا و﴿حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ على هذا مدة لبثه في بطن أُمه إلى أن صار شيئًا مذكورًا بين الناس ﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ نعت أو بدل منها أي من نطفة قد امتزج فيها الماءان. وشجه ومزجه بمعنىٰ و﴿نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ **(كبرمة أعشار)** فهو لفظ مفرد غير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة الإنسان) وتُسمى سورة الدهر والأمشاج وهل أتى **(مكية)** أو مدنية **(وهي إحدى وثلاثون آية)** ولا خلاف في عدد آياتها ومائتان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفًا. **قوله: (كبرمة أعشار)** في أن صيغة أفعال فيها لفظ

جمع ولذا وقع صفة للمفرد ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ حال أي خلقناه مبتلين **(أي مريدين ابتلاءه)** بالأمر والنهي له ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ ذا سمع وبصر.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بيّنا له طريق الهدى بأدلّة العقل والسمع ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ مؤمنًا ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ كافرًا حالان من الهاء في ﴿هَدَيْنَٰهُ﴾ أي إن شكر وكفر فقد هديناه السبيل في الحالين أو من السبيل أي عرّفناه السبيل إما سبيلًا شاكرًا وأما سبيلًا كفورًا. **(ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز)**. ولما ذكر الفريقين أتبعهما ما أعد لهما فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟﴾ جمع سلسلة بغير تنوين: حفص و**(مكيّ)** وأبو عمرو وحمزة، وبه ليناسب ﴿وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ إذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب: غيرهم **(﴿وَأَغْلَٰلًا﴾) جمع غلّ)** ﴿وَسَعِيرًا﴾ نارًا موقدة.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾

وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ جمع برّ أو بارّ كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وهم الصادقون في الإيمان أو الذين لا يؤذون الذرّ ولا يضمرون الشرّ ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ خمر فنفس الخمر تسمى كأسًا. وقيل: الكأس الزجاجة إذا كان فيها خمر ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ **(ما تمزج به)** ﴿كَافُورًا﴾ ماء كافور وهو اسم عين في الجنّة ماؤها في

مفرد، ولذلك وقعت صفة لمفرد ليدلّ على تحقق معنى الكثرة فيه لا جمع مكسر مثل أشراف وأيتام. يقال: برمة أعشار إذا انكسرت قطعًا أي متكسرة كأنها صارت عشر قطع والبرمة القدر. **قوله**: **(أي مريدين ابتلاه)** ويعني أنه حال مقدّرة لا مقارنة إذ لا ابتلاء وقت خلقه.

قوله: **(ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز)** من حيث إن السبيل وصف بوصف مَن سلكه. **قوله**: **(مكيّ)** أي عبد الله بن كثير المكيّ. **قوله**: **(﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ جمع غلّ)** بالضم طوق من حديد يجعل في العنق مثل قفل وأقفال.

قوله: **(ما تمزج به)** كالخرام لما يخرم به فهو اسم آلة. اهـ شهاب.

بياض الكافور ورائحته وبرده ﴿عَيْنًا﴾ (**بدل منه**) ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ أي منها أو الباء زائدة أو هو محمول على المعنىٰ أي يلتذ بها (**أو يروى**) بها. وإنما قال أولًا بحرف «من» وثانيًا بحرف الباء لأن الكأس مبتدأ شربهم وأول غايته، وأما العين فيها يمزجون شرابهم فكأنه قيل: يشرب عباد الله بها الخمر ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ (**يجرونها**) حيث شاءوا من منازلهم ﴿تَفْجِيرًا﴾ سهلًا لا يمتنع عليهم.

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾

﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ بما أوجبوا على أنفسهم، وهو جواب «من» عسىٰ أن يقول: ما لهم يرزقون ذلك؟ والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لأن مَن وفّىٰ بما أوجبه على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفىٰ ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ﴾ شدائده ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ منتشرًا (**من استطار الفجر**) ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ (عَلَىٰ حُبِّهِ)﴾ أي حب الطعام من الاشتهاء والحاجة إليه (**أو على حبّ الله**) ﴿مِسْكِينًا﴾ فقيرًا عاجزًا عن الاكتساب ﴿وَيَتِيمًا﴾ صغيرًا لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ مأسورًا مملوكًا أو غيره.

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾

ثم علّلوا إطعامهم فقالوا: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ أي لطلب ثوابه أو هو بيان من الله. عزّ وجلّ عما في ضمائرهم، لأن الله تعالىٰ علمه منهم فأثنىٰ عليهم وإن لم يقولوا شيئًا ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً﴾ هدية على ذلك ﴿وَلَا شُكُورًا﴾ ثناء

قوله: (بدل منه) أي من الكافور على حذف مضاف أي ماء عين لأن العين التي هي منبع الماء لا تبدل من نفس الماء إلا بتقدير مضاف. **قوله**: (**أو يروى**) في لسان العرب رُوِيَ من الماء بالكسر ومن اللبن يروى ريًّا وروًّا أيضًا مثل رضي وتروى وارتوى كله بمعنى والاسم الري أيضًا. **قوله**: (**يُجْرونها**) من الإجراء.

قوله: (**من استطار الفجر**) الفجر فجران مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ومستطير وهو الصادق لانتشاره في الأفق. **قوله**: (﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾) مصدر مضاف للمفعول. **قوله**: (**أو على حبّ الله**) عزّ وجلّ أي لحب الله.

(وهو مصدر) كالشكر ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ أي إنا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله على طلب المكافأة بالصدقة، أو إنا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (**وصف اليوم بصفة أهله**) من الأشقياء نحو: نهارك صائم. والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ صانهم من شدائده ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أعطاهم بدل عبوس الفجار ﴿نَضْرَةً﴾ حسنًا في الوجوه ﴿وَسُرُورًا﴾ فرحًا في القلوب ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم علة الإيثار. (**نزلت في علي وفاطمة**) و(**فضة**) جارية لهما، لما مرض الحسن والحسين ﷺ نذروا صوم ثلاثة أيام فاستقرض علي ﷺ من

قوله: (وهو مصدر) كالقعود والدخول والخروج. **قوله**: (**وصف اليوم بصفة أهله**) فوصفه بالعبوس مجاز في الإسناد.

قوله: (**نزلت في عليّ وفاطمة...**) الخ. قال في تفسير الكبير لم يذكر أحد من أكابر المعتزلة كأبي بكر الأصم وأبي عليّ الجبائي وأبي القاسم الكعبي وأبي مسلم الأصفهاني والقاضي عبد الجبار بن أحمد في تفاسيرهم أن هذه الآيات نزلت في حق عليّ بن أبي طالب عليه السلام والواحدي من أصحابنا ذكر في كتاب البسيط أنها نزلت في حق عليّ عليه السلام وصاحب الكشاف من المعتزلة ذكر هذه القصة. اهـ. وفي الدرّ المنثور أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قال: نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ. اهـ. وفي القنوي قيل: حديث موضوع ذكره ابن الجوزي في الموضوعات. وقال الترمذي: حديث مفتعل وآثار الوضع ظاهرة عليه لفظًا ومعنى مع أنه يقتضي كون السورة مدنيّة لأن تزوج علي بفاطمة رضي الله تعالى عنهما في المدينة كان بعد وقعة أحد. وقد قال المصنّف: إن السورة مكيّة وقد تبع المصنّف الزمخشري وغيره من قدماء المفسّرين ولعلهم اطلعوا على عدم وضعه أو لاختلاف فيه والقول بأنه يقتضي كون السورة مدنيّة مدفوع بأنه يجوز أن يكون حكاية قبل وقوعه كما قيل في نظائره. انتهى بحروفه فافهم.

وقوله: (فضّة) بلفظ أُخت الذهب اسم لجارية لهما.

يهوديّ ثلاثة (**أصوع**) من الشعير، فطحنت فاطمة ﷺ كل يوم صاعًا وخبزت فآثروا بذلك ثلاثة عشايا على أنفسهم مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا ولم يذوقوا إلا الماء في وقت الإفطار. ﴿جَنَّةً﴾ بستانًا فيه مأكل هنيء ﴿وَحَرِيرًا﴾ ملبسًا بهيًّا.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾

﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ حال من «هم» في ﴿وَجَزَىٰهُم﴾ ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأسرة (**جمع الأريكة**) ﴿لَا يَرَوْنَ﴾ حال من الضمير المرفوع في ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ غير رائين ﴿فِيهَا﴾ في الجنّة ﴿شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ لأنه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهواؤها معتدل، لا حر شمس يحمي ولا شدّة برد تؤذي. وفي الحديث: «هواء الجنّة (**سجسج**) لا حرّ (**ولا قرّ**)». فالزمهرير البرد الشديد. وقيل: القمر أي الجنّة مضيئة لا يحتاج فيها إلى شمس وقمر ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ قريبة منهم ظلال أشجارها عطفت على جنّة أي وجنّة أخرى دانية عليهم ظلالها كأنهم وعدوا بجنتين لأنهم وصفوا بالخوف بقوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾ - ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن: الآية ٤٦] - ﴿وَذُلِّلَتْ﴾ سخّرت للقائم والقاعد والمتكىء وهو حال من ﴿وَدَانِيَةً﴾ أي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها عليهم، أو معطوفة عليها أي ودانية عليهم ظلالها ومذلّلة ﴿قُطُوفُهَا﴾ ثمارها (**جمع قطف**). ﴿تَذْلِيلًا﴾.

وقوله: (**أصوع**) جمع صاع وهو معروف وهو يؤنّث ولذا قال ثلاث أصوع.

قوله: (**جمع الأريكة**) وهي السرير في الحجلة بالتحريك واحدة حجال العروس وهي بيت يزيّن بالثياب والأسرة والستور والسرير لا يسمى أريكة إلا إذا كان في الحجلة كالسجل وهو الدلو المملوء بالماء وإذا كان فارغًا لا يسمى سجلًا، وكذا الكأس لا تُسمى كأسًا إلا إذا كانت مملوءة من الخمر ومثله كثير. اهـ شيخ زاده رحمه الله. **قوله**: (**سَجْسَجٌ**) في لسان العرب السجسج الهواء المعتدل بين الحرّ والبرد. اهـ. **قوله**: (**ولا قُرّ**) القرّ بالضم البرد. **قوله**: (**جمع قطف**) بالكسر.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ أي يدير عليهم خدمهم كؤوس الشراب. **(والآنية جمع إناء)** وهو وعاء الماء ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أي من فضة **(جمع كوب)** وهو إبريق **(لا عروة له)** ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۠﴾ **(«كان» تامّة أي كونت)** فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ أي مخلوقة من فضة فهي جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها يرى ما فيها من الشراب من خارجها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: قوارير كل أرض من تربتها وأرض الجنّة فضة. **(قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالتنوين فيهما. وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما. وابن كثير بتنوين الأول)** والتنوين في الأول لتناسب الآية المتقدمة والمتأخرة، وفي الثاني لاتباعه الأول. والوقف على الأول قد قيل ولا يوثق به لأن الثاني بدل من الأول ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ صفة لـ ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ **(أي أهل الجنة قدروها)** على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم، أو السقاة جعلوها

قوله: (والآنية جمع إناء) وأصلها أأنية بهمزتين الأولى همزة أفعلة مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة فقلبت الثانية ألفًا لسكونها وانفتاح ما قبلها. **قوله: (جمع كوب)** مثل قفل وأقفال. **قوله: (لا عروة له)** أي لا أذن له. **قوله: («كان» تامة أي كونت)** أي حدثت فيكون قوارير الأول حالًا من فاعل كان ولعل الوجه في اختيار كونها تامّة مع جواز كونها ناقصة و قوارير الأول خبرها أنها إذا جعلت بمعنى كوّنت وحدثت ينتقل الذهن إلى المكوّن المحدث وحيث لا يكون إلّا الله كان المعنى كوّنت حال كونها قوارير بتكوين الله تعالى فتكون إشارة إلى تفخيم الآنية بكونها أثر قدرة الله تعالى. **قوله: (قرأ نافع والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر بالتنوين فيهما)** والوقف عليهما بالألف. **قوله: (وحمزة وابن عامر وأبو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما)** وعدم الوقف عليهما بالألف لحمزة وحده والوقف عليهما بالألف لهشام (يروي عن ابن عامر) وحده والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها لأبي عمرو وابن ذكوان (يروي عن ابن عامر) وحفص. **قوله: (وابن كثير بتنوين الأول)** دون الثاني والوقف على الأول بالألف وعلى الثاني بدونها. **قوله: (أي أهل الجنة قدروها. . .)** الخ والمعنى قدّر الشاربون في أنفسهم وتمنوا كون تلك القوارير على مقادير وأشكال على حسب ما يريدون ويشتهون

(على قدر ريّ شاربها) فهي ألذّ لهم وأخفّ عليهم. وعن مجاهد: **(لا تفيض ولا تغيض)**.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾

﴿وَيُسْقَوْنَ﴾ أي الأبرار ﴿فِيهَا﴾ في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا﴾ بدل من ﴿زَنجَبِيلًا﴾ ﴿فِيهَا﴾ في الجنّة ﴿تُسَمَّىٰ﴾ تلك العين ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ سميت العين زنجبيلًا نطعم الزنجبيل فيها، والعرب تستلذه وتستطيبه. وسلسبيلًا لسلاسة **(انحدارها)** وسهولة **(مساغها)**. قال **(أبو عبيدة)**: ماء سلسبيل أي عذب طيب ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ﴾ غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين، أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدمًا لأهل الجنّة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ لا يموتون ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ﴾ لحسنهم وصفاء ألوانهم **(وانبثاثهم)** في مجالسهم ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ وتخصيص المنثور لأنه أزين في النظر من المنظوم.

فجاءت كما قدروها، فإن منتهى ما يريده الرجل في الآنية التي يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل. أما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله: ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾. وأما النقاء فقد ذكره بقوله: ﴿مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: الآية ٣٣]. وأما الشكل والمقدار فقد ذكره بقوله: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾. **قوله**: **(على قدر ريّ شاربها)** أي شهوتهم إذ لا عطش في الجنة والريّ بكسر الراء وفتحها. **قوله**: **(لا تفيض)** أي لا تزيد. **قوله**: **(ولا تغيض)** أي ولا تنقص.

قوله: **(انحدارها)** أي العين فإنه مؤنّث. **قوله**: **(مساغها)** مصدر ميمي. **قوله**: **(أبو عبيدة)** بضم العين المهملة وإثبات الهاء في آخره معمر بن المثنى وكانت ولادته في شهر رجب الفرد سنة عشر ومائة في الليلة التي تُوفي بها الحسن البصري رضي الله تعالى عنه، وتُوفي سنة تسع ومائتين بالبصرة. **قوله**: **(وانبثاثهم)** أي تفرّقهم في محل الخدمة عند اشتغالهم بأنواع الخدمة وطوافهم على الأبرار المخدومين مسارعين في الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ إذا كان متفرّقًا كان أحسن من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفًا للمجتمع منه في اللمعان والبريق وشبّهت الحور العين باللؤلؤ

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ (ثَمَّ)﴾ **ظرف أي في الجنّة)** وليس لـ ﴿رَأَيْتَ﴾ مفعول ظاهر ولا مقدّر ليشيع في كل مرئي تقديره وإذا اكتسبت الرؤية في الجنّة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ كثيرًا ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعًا. **(يُروَى أن أدنىٰ أهل الجنّة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه)**. وقيل: **(ملك لا يعقبه هلك)**، أو لهم فيها ما يشاءون أو تسلم عليهم الملائكة ويستأذنون في الدخول عليهم.

﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

﴿عَالِيَهُمْ﴾ بالنصب على أنه حال من الضمير في ﴿وَيَطُوفُ وِلْدَانٌ﴾ أي يطوف عليهم ولدان عاليًا للمطوّف عليهم ثياب. **(وبالسكون: مدنيّ وحمزة)** على أنه مبتدأ

المكنون أي المحفوظ المخزون لأنهن لا يمهنّ في الخدمة فلا ينتشرن انتشار الولدان.

قوله: (﴿ثَمَّ﴾ ظرف أي في الجنة) أي ظرف بمعنى هناك نصب محلًا على الظرفية. **قوله: (يُروَى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه)** كذا في تفسير الكشاف والبيضاوي والخازن والخطيب والبغوي. وروى الإمام أحمد والحاكم عن ابن عمر أن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر أزواجه وخدمه وسرره وأن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين.اهـ. وروى الترمذي عن ابن عمر أن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جِنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله مَن ينظر إلى وجهه الكريم غدوة وعشية.اهـ. **قوله: (يرى أقصاه كما يرى أدناه)** أي أقربه إليه لما يعطى من حدة النظر أو وهو من خصائص الجنة.اهـ شهاب. **قوله: (ملك لا يعقبه هلك)** في المصباح هلك الشيء هلكًا من باب ضرب وهلاكًا وهلوكًا ومهلكًا بفتح الميم. وأما اللام فمثلثة والاسم الهلك مثل قفل والهلكة مثال قصبة بمعنى الهلاك.اهـ.

قوله: (وبالسكون) أي بسكون الياء بعد اللام وكسر الهاء **(مدنيّ)** أي قرأه نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ ولس من السبعة **(وحمزة)**. وقرأ الباقون بفتح

خبره ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ أي ما يعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج. ﴿خُضْرٌ﴾ جمع أخضر ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ غليظ يرفعهما حملًا على الثياب: نافع وحفص، وبجرهما: حمزة وعلي حملًا على ﴿سُندُسٍ﴾ **(وبرفع الأول وجرّ الثاني أو عكسه: غيرهم)** ﴿وَحُلُّوٓاْ﴾ **(عطف على ﴿وَيَطُوفُ﴾)** ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وفي سورة «الملائكة»: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [الحج: الآية ٢٣]. قال **(ابن المسيّب)**: لا أحد من أهل الجنّة إلا وفي يده ثلاثة أسورة: واحدة من فضة وأخرى من ذهب وأُخرى من لؤلؤ. ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أُضيف إليه تعالىٰ للتشريف والتخصيص. وقيل: إن الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون: لقد طال أخذنا من الوسائط فإذا هم بكاسات تلاقي أفواههم بغير أكف من غيب إلى عبد ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ ليس **(برجس)** كخمر الدنيا لأن كونها رجسًا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم، أو لأنه لم يعصر فتمسّه الأيدي **(الوضرة)** وتدوسه الأقدام الدنسة يقال لأهل الجنّة.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ لأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ محمودًا مقبولًا مرضيًا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا.

الياء وضم الهاء لأن الياء لما سكنت كسرت الهاء، ولما تحرّكت ضمت الهاء. **قوله: (وبرفعِ الأول وجر الثاني أو عكسه: غيرهم)** أي قرأ أبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وليسا من السبعة برفع ﴿خُضْرٌ﴾ وجرّ ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾. وقرأ ابن كثير وأبو بكر شعبة بجر ﴿خُضْرٍ﴾ ورفع ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾. **قوله: (عطف على ﴿وَيَطُوفُ﴾)** على طريق عطف فعلية على فعلية ﴿وَحُلُّوٓاْ﴾ وإن كان ماضيًا لفظًا فإنه مستقبل معنى وعبر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه و﴿أَسَاوِرَ﴾ مفعول ثانٍ لحلّوا بمعنى ويحلون. **قوله: (ابن المسيّب)** هو سعيد بن المسيّب القرشي المخزومي المدني، اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل، وقال ابن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علمًا منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين. **قوله: (برِجْس)** أي بنجس. **قوله: (الوضرة)** في المصباح وضر وضرًا فهو وضر مثل وسخ وسخًا فهو وسخ وزنًا ومعنى. اهـ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ تكرير الضمير بعد إيقاعه اسمًا لأن تأكيد على تأكيد لمعنىٰ احتصاص الله بالتنزيل ليستقرّ في نفس النبيّ ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله **(مفرقًا)** إلا حكمة وصوابًا ومن الحكمة الأمر بالمصابرة ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الأذيّة وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ من الكفرة **(للضجر)** من تأخير الظفر ﴿ءَاثِمًا﴾ راكبًا لما هو إثم داعيًا لك إليه ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ فاعلًا لما هو كفر داعيًا لك إليه، لأنهم إما أن يدعوه إلى مساعدتهم على فعل ما هو إثم أو كفر أو غير إثم ولا كفر، فنهىٰ أن يساعدهم على الأولين دون الثالث. وقيل: الآثم **(عتبة)** لأنه كان ركابًا للمآثم والفسوق. والكفور: **(الوليد)** لأنه كان غالبًا في الكفر والجحود. والظاهر أن المراد كل آثم وكافر أي لا تطع أحدهما، وإذا نهىٰ عن طاعة أحدهما لا بعينه فقد نهىٰ عن طاعتهما معًا ومتفرّقًا. ولو كان بالواو لجاز أن يطيع أحدهما لأن الواو للجمع فيكون منهيًا عن طاعتهما معًا لا عن طاعة أحدهما، وإذا نهىٰ عن طاعة أحدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعًا أنهىٰ. وقيل: «أو» بمعنىٰ «ولا» أي ولا تطع آثمًا ولا كفورًا.

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾ صلّ له ﴿بُكْرَةً﴾ صلاة الفجر (﴿وَأَصِيلًا﴾ **صلاة الظهر والعصر)** ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ وبعض الليل فصّل صلاة العشاءين ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا

قوله: **(مفرقًا)** بناء على أن التنزيل للتدريج وقد يستعمل في النزول جملة كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: الآية ٣٢] الآية. **قوله**: **(للضجر)** في مختار الصحاح الضَّجَر القَلَق من الغمّ. اهـ. **قوله**: **(عتبة)** بن ربيعة. **قوله (الوليد)** بن المغيرة.

قوله: (﴿وَأَصِيلًا﴾ **صلاة الظهر والعصر)** لأن الأصيل اسم للوقت الذي يكون بعد الزوال إلى الغروب.

طَوِيلًا﴾ أي تهجد له (هزيعًا) طويلًا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه. ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الكفرة ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يؤثرونها على الآخرة ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ (قدامهم أو خلف ظهورهم) ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا لا يعبئون به وهو القيامة لأن شدائده تثقل على الكفار.

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ﴾ أحكمنا ﴿أَسْرَهُمْ﴾ خلقهم عن ابن عباس ﵄ والفراء ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ أي إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في الخلقة ممن يطيع ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ بالتقرّب إليه بالطاعة له واتباع رسوله ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ اتخاذ السبيل إلى الله. (**وبالياء: مكي وشامي وأبو عمرو. ومحل** ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ **النصب**) على الظرف أي (**إلا وقت مشيئة الله**)، وإنما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك. وقيل: هو لعموم المشيئة في الطاعة والعصيان والكفر والإيمان فيكون حجة لنا على المعتزلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون منهم من الأحوال ﴿حَكِيمًا﴾ مصيبًا في الأقوال والأفعال.

قوله: (هزيعًا) في المصباح الهزيع من الليل. قال ابن فارس هو الطائفة منه. اهـ. **قوله**: (**قدامهم أو خلف ظهورهم**) فإن الوراء يستعمل في كل واحد من المعنيين. وفي الصحاح وراء بمعنى خلف وقد تكون بمعنى قدام فهي من الأضداد فهو إن كان بمعنى القدام يكون حالًا من قوله: ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ وهو مفعول ﴿وَيَذَرُونَ﴾ لا ظرف له، وإن كان بمعنى خلف يكون ظرفًا لـ ﴿وَيَذَرُونَ﴾ كأنه قيل: ويذرونه خلف ظهورهم فحينئذٍ يكون قوله: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ استعارة تمثيلية بأن شبّهت حالهم في عدم اهتمامهم بيوم القيامة وإعراضهم عنه بجعلهم إياه وراء ظهورهم فاستعمل ما يدل على الحال المشبّه بها في الحال المشبّهة.

قوله: (**وبالياء: مكيّ**) أي ابن كثير المكيّ (**وشاميّ**) أي ابن عامر الشاميّ (**وأبو عمرو**). وقرأ الباقون بالتاء من فوق. **قوله**: (**ومحل** ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ **النصب**) على الظرف بتقدير المضاف وهو الوقت أي (**إلا وقت مشيئة الله**) فهو

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنون ﴿فِي رَحْمَتِهِۦۚ﴾ جنّته لأنها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لأنهم يقولون قد شاء أن يدخل كلّاً في رحمته لأنه شاء إيمان الكل، والله تعالى أخبر أنه يدخل مَن يشاء في رحمته وهو الذي علم منه أنه يختار الهدى ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين لأنهم وضعوا العبادة في غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ (**نحو: أوعد وكافأ**).

استثناء مفرغ أي ما تشاؤون الطاعة والتقرّب بها وقتًا من الأوقات إلّا وقت أن يشاء الله تعالى مشيئتكم فإن جميع ما يجري على الإنسان من الطاعة والمعصية والكفر والإيمان إنما يجري عليه بخلق الله تعالى وما يخلقه إلا بمشيئته فلا يشاء أن يخلق فيكم مشيئة الطاعة إلا إذا علم منكم اختيار ذلك، **قوله: (نحو: أوعد وكافأ)** بالهمز في آخره بمعنى جازى ولم يقدر المذكور بعينه لأنه لا يتعدى بنفسه بل باللام كما يقدر في نحو: زيدًا مررت به، جاوزت زيدًا مررت به.

الحمد لله على إتمام ما يتعلّق بسورة الإنسان
والصلاة والسلام على أفضل مَن أوتي البيان من بني عدنان
وعلى آله وأصحابه ذوي العرفان والإيقان.
اللّهمّ ارزقنا جنة وحريرًا، واسقنا شرابًا طهورًا،
ونوّر قلوبنا بالإخلاص والنّيّة الصالحة تنويرًا